شرح كتاب حلية طالب العلم

شرح كتاب حلية طالب العلم

لفضيلة الشيخ الدكتور

بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

فؤاد بن يوسف أبو سعيد حفظه الله تعالى

قسم الدورات العلمية- الدائرة العلمية

جمعية دار الكتاب والسنة- فلسطين

(١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م)

سيرة المؤلف ومقدمة الكتاب

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، **من** يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، **ومن** يضللْ فلا هاديَ له، **وأشهدُ** أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، **وأشهدُ** أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، **ومن** اهتدى بهديه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

هذا كتاب **حلية طالب العلم،** وهو لمؤلفه الشيخ: **بكر بن عبد الله أبو زيد** رحمه الله تعالى، وهو:

فضيلة الشيخ الدكتور

بكر بن عبد الله أبو زيد

في سطور

الشيخ الدكتور/ **بكر بن عبد الله أبو زيد** من قبيلة بني زيد، **القبيلة القضاعية** المشهورة في وسط نجد، وهو من مدينة شقراء، **ثم** الدوادمي حيث ولد فيها في أول شهر ذي الحجة عام أربعة وستين وثلاث مئة وألف من الهجرة.

نشأ نشأة كريمة في بيت صلاح وثراء وعراقة نسب.

درس في الكتّاب ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، **وأكملها** في مدينة الرياض، **حيث** واصل جميع مراحل التعليم الابتدائي، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، ثم المعهد العالي للقضاء، **وكان** بجانب دراسته النظامية يتلقى العلم عن عدد من المشايخ.

اللغة:

أخذ اللغة عن شيخه وهو الشيخ صالح بن عبد الله بن مطلق القاضي المتقاعد في الرياض، وكان يحفظ من مقامات الحريري خمسا وعشرين مقاما بشرحها لأبي العباس الشريشي، وقد ضبطها عليه.

علم الميقات:

وأخذ علم الميقات -مواقيت الصلوات وغيرها-، وحفظ منظومة منظومته المتداولة على ألسنة المشايخ.

وقد انتفع انتفاعا بليغا من رحلته إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم -من الرياض إلى المدينة، منذ عام ثلاثة وثمانين وثلاث مئة وألف -من الهجرة-؛ حيث أخذ علم الميقات أيضا عن بعض المشايخ.

علوم أخرى:

ولازم شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز —رحمه الله-، وقرأ عليه عددا من الرسائل، ودرس عليه كتاب الحج من المنتقى في المسجد الحرام.

ولازم شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي—رحمه الله— المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة وألف من الهجرة -لازمه- عشر سنين دأب في المسجد النبوي، وفي دروسه في عصر رمضان، و —أيضا- في منزله، وقرأ عليه بعض تفسيره "أضواء البيان"، والجزء الأول من "آداب البحث والمناظرة"، ومواضع من المذكرة في أصول الفقه، وعلم النسب من كتاب ابن عبد البر "القصد والأمم في أنساب العرب والعجم"، ونبذا سواها.

وقد أثر فيه الشيخ رحمه الله تأثيرا بالغا حبب إليه النظر في لسان العرب -في اللغة العربية-، وأصول اللغة العربية حتى صار لها التأثير الظاهر —والبالغ- عليه في أسلوبه وبيانه -كما سنقرأ عليكم من كلامه، كيف تأثر من اللغة، وكيف أبدع فيها، خصوصا في الأسلوب والبيان-، وبالجملة فقد كان مختصا به، وتخرج على يديه، وكان مغرما بتحصيل الإجازات العلمية في كتب السنة، وله ثَبَتٌ في هذا.

وقد تخرج من كلية الشريعة عام ثمانيةٍ وثمانين وثلاث مئة وألف من الهجرة منتسبا، وكان ترتيبه الأول من بين الخريجين، -يعني بعد أن انتهى من العلوم رجع منتسبا مرة أخرى، ويأخذ الشهادة النظامية-.

واختير للقضاء فعمل قاضيا في محكمة المدينة الكبرى منذ عام ثمانية وثمانين وثلاث مئة وألف حتى نهاية عام أربع مئة وألف من الهجرة.

وفي عام تسعين وثلاث مئة وألف عُين مدرسا بالمسجد النبوي الشريف فدرس فيه الفرائض –المواريث– والحديث، واستمر حتى عام أربع مئة وألف، ثم عُين بعدها بسنة وكيلا لوزارة العدل، واستمر في الوكالة حتى عام ثلاثة عشر وأربع مئة وألف من الهجرة –رحمه الله–.

وعُين –أيضا– عضوا لمجلس القضاء الأعلى بهيئته العامة، ثم ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وعين رئيسا له منذ عام خمسة وأربع مئة وألف حتى تاريخه، وعين أيضا عام خمسة وأربع مئة وألف عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي.

وفي عام ثلاثة عشر وأربع مئة وألف عين عضوا في هيئة كبار العلماء، وعضوا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وفي أثناء عمله في القضاء واصل الدراسة منتسبا في المعهد العالي للقضاء، فتحصل منه على العالمية –والتي نسميها– (الماجستير)، والعالمية العالية –والتي نسميها– (الدكتوراة).

والشيخ بكر –حفظه الله– له مؤلفات عدة تمتاز بالدقة في البحث والجزالة في الأسلوب.

طبع منها نحو خمسين مؤلفا –نذكر– منها:

١– ابن القيم. حياته، وآثاره، وموارده. ٢– التقريب لعلوم ابن القيم. ٣– فقه النوازل. مجلدان. ٤– معجم المناهي اللفظية. ٥– طبقات النسابين. ٦– معرفة النسخ الحديثية. ٧– التحديث فيما لا يصح فيه حديث. ٨– حلية طالب العلم. ٩– التعالم. ١٠– الرقابة على التراث. ١١– تعريب الألقاب العلمية. ١٢– آداب طالب الحديث من الجامع للخطيب. ١٣– التراجم الذاتية من العزاب والعلماء وغيرهم. ١٤– تسمية المولود. ١٥– عقيدة ابن أبي زيد القيراوني والرد على من خالفها. ١٦– تصنيف الناس بين الظن واليقين. ١٧– حكم الانتماء. ١٨– هجر المبتدع. ١٩– التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير. ٢٠– براءة أهل السنة من الواقع في علماء الأمة. ٢١– خصائص جزيرة العرب. ٢٢– جزء في مسح الوجه باليدين بعد الدعاء. ٢٣– جزء في زيارة النساء للقبور. ٢٤– بدع القراء. ٢٥– لا جديد في أحكام الصلاة. ٢٦– تحقيق كتاب "الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث" للعامري. ٢٧– تحقيق اختيارات ابن

تيمية للبرهان ابن القيم. ٢٨– أذكار طرفي النهار. ٢٩– تحريف النصوص. ٣٠– المثامنة في العقار. ٣١– آداب الهاتف. ٣٢– أدب الثوب والأزرة. إلى غير ذلك.

-**كذلك له كتب أنصحكم** بشرائها كلِّها إن استطعتم، أو اقتنائها، أو نسخها من الشبكة العنكبوتية وتضعونها عندكم إذا كان عندكم هذا الجهاز، تجعلوها عندكم فستفيدون منها، نفع الله به المسلمين، ونسأل الله أن ينفع.-

نسأل الله للشيخ بكر الأجر، وأن يزيده من فضله، وأن ينفع به المسلمين، وأن يحفظه ويجعله مباركا أين ما كان.

والله أعلم

هذا الكتاب؛

-**أما بالنسبة** لهذا الكتاب فلم أقع على شرح له سوى شرح من أكبر منه سنا، ألا وهو الشيخ ابن عثيمين، وقد شرح هذا الكتاب، **والدكتور بكر** أصغر منه بستة عشر عاما، **والشيخ ابن عثيمين** أكبر منه بهذا القدر، ومع ذلك شرحه كاملا، فهذا من باب تواضع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وغزارة علم صاحب هذا الكتاب.

ثم **عندي تنبيه**؛ لماذا اخترنا هذا الكتاب؟

عندما عرض عليّ التخيير من بين المواضيع التي نجعلها في هذه الدورة، ولي مآخذ على كلمة الدورة، ولو قلنا اليوم العلمي كان أولى وأحرى، فكرت فيها فوجدت هذا الكتاب هو المناسب لحال طلبة العلم والشباب المعاصر، الذي عنده طاقة، وعنده حماس، وعنده إقبال كثير جدا على الدين، لكن ليس أي دين، لابد أن يكون الدين المعتدل المنصف، دين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والعلم وفضائله التي سمعنا عنها شيئا قبل قليل لا تنفع صاحبها، وليس لصاحبها شيء إن لم يتغمده ويسبقه الأدب والأخلاق، **فإذا عدم المتعلم الأدب والأخلاق** لن يبارك في علمه، ربما يكون أحفظ الناس، **وأحفظ** للنصوص، والأسطر ويقول: الحديث في السطر الفلاني، في الصفحة الفلانية، **ولكنه لا أدب عنده**، هذا لا يبارك لنا فيه، لا يفرح له، فلابد من هذا الأمر، فأعجبني هذا الكتاب.

والأمر الآخر؛ أن الرجل من المملكة العربية السعودية، **وما هو معنى ذلك؟** هو فقط الكلام عن الأدب هناك؟ ليس هذا مرمى القصيد الذي اخترت فيه هذا الكتاب لهذه الدورة، **وإنما لما يلي**:

أولا: العالم الإسلامي مليء بأهل الخير، وأيضا مليء بالعلماء في مشارق الأرض ومغاربها.

ثانيا: واخترت هذا؛ لأنني أنا تعلمت هناك، ومنذ ثلاثين سنة تقريبا تخرجت من هناك، فلهم فضل عليَّ في هذا الأمر.

ثالثا: أن الذي علَّمني هناك أكثرهم من مصر، استقطبوا واستجلبوا ليعلموا في المدينة المنورة، كما يعلموا في مكة المكرمة، كما هو الآن في الرياض وغيرها، فمعظم العلوم التي نستقيها هناك من سائر بلاد الإسلام.

فما علَّمني من بلاد السعودية إلا أنفارا معدودين، ثلاثة أو أربعة، بينما كان أكثر من ثلاثة عشر شيخا أزهريا مصريا أخذنا عنهم العلم، وسنديٌّ واحد، وهنديٌّ واحد، وسودانيون اثنان أو ثلاثة، وعراقي، وهؤلاء هم الذين أتذكرهم الآن، وهم الذين أخذنا عنهم العلم.

فالعلم عندما يكون مشتملا على عقول مختلفة، **تعطيك** وتصبُّ فيك الشيء الذي تأخذه بثقة وطمأنينة بأمر الله سبحانه وتعالى.

رابعا: ثم الذي يُعَلَّم هناك ما هو؟ تفسير ابن كثير، وهو شافعي، والعقيدة الطحاوية، والطحاوي حنفي، ونيل الأوطار، للشوكاني يمني مجتهد، **إذن فالمسألة** ما هي عصبية لمذهبية الحنابلة، ولا ما شابه ذلك، كما يتهم بعض الناس.

فهذا الذي دفعني ودعاني أنا أختار هذا الكتاب، **أيضا لما فيه من توجيهات مركزة؛** لأنها كما سنعلم بعد قليل هذا العلم، علم الأدب والأخلاق، هو جزء من الإسلام، فالدين عقيدة وتوحيد، عبادة ومعاملة، وأخلاق وآداب، هذا هو ديننا، **فالخالي من هذا الخالي من الأخلاق والآداب،** كإنسان متجرد من لباسه، الذي عنده علم، وعنده حفظ، ويحفظ القرآن والأحاديث وليس عنده أدب، هذا متجرد من ثيابه، الخير عنده كثير، لكن أكمل هذا الخير، فلذلك سُمِّيَت **(حلية)**، تُحلِّي، صفة أو لباس، وحلية الإنسان لباسه، وحلية الإنسان صفته، هذا والله أعلم.

قال الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى:

[المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأشهد أن لا إله إلا الله، **وأشهد** أن محمدا رسول الله، **اللهم** صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، **أما بعد:**

فأقيِّدُ معالمَ هذه الحلية المباركة عام ١٤٠٨هـ، والمسلمون –ولله الحمد– يعايشون يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقي والنضوج في أفئدة شباب الأمة، مجدها ودمها المجدد لحياتها، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى، يتقلبون في أعطاف العلم، مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش، والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصراً، فسبحان من يحيي ويميت قلوباً].

في هذه الفقرة يبين الشيخ رحمه الله المعالم العامة لهذه الحلية، وهذا الكتاب، وكان تقييده لهذا الأمر عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف من الهجرة.

يقول في وقته: كان المسلمون يعيشون يقظة علمية، وبالفعل منذ ثلاثين عاما، أو أربعين، يقظة علمية وتوجه شديد جدا إلى طلب العلم، وهذا الأمر يسَّر الناس، ويسَّر المخلصين، ويسر خصوصا العلماء الذين يجدون لهم طلبة لهذا العلم، وهذا التوجه استمر وتنشط ووصل واستمر في الترقي، وهو إقبال الناس والطلبة على العلم، وأكثر من يحمل هذا هم الشباب والفتيان، ومدح الله سبحانه وتعالى الفتية كما في سورة الكهف: **{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}**. (الكهف: ١٣)

فالترقي يدفع في قلوبهم، وفي أجسامهم وفي عقولهم رقيًّا بمجدها، ويجدد دمها، ويجدد لها حياتها، وبالفعل **فالعلم** من نتائجه تجديد في الأفكار والمعارف، **فالذي** يتعلم الآن مسألة ليس هو كما كان قبل قليل، بل أصبح بها عالما، وتصبح عليه تبعات ومسائل، يقول رحمه الله:

(إذ نرى الكتائب الشبابية تترى)، يعني الشباب يذهبون إلى المساجد، ما يسمعوا في مجلس علم، وهذا في بلاد الحجاز، وفي بلاد الشام أيضا كالأردن، وهذا الذي أعرفه بهذا الكلام يتوجهون إلى مثل هذه الأمور، تترى، وهذا يدل على أنهم يتتابعون جماعات جماعات، وزرافات وزرافات، ويتقلبون في أعطاف العلم، كل هذا مدح، قال:

(مثقلين بحمله؛ فمنه يأخذون، ومنه ينهلون، فلديهم من الطموح والجامعية)، يعني يطمح أن يكون جماعة، يريد أن يحصِّلَ علما كثيرا في وقت قليل، وهذه صفة طيبة، لكنها تحتاج إلى بيان وتوضيح وتفكير، كذلك عندهم اطلاع مذهل، **فلذلك** يغوصون في مكنونات المسائل، يبحثون وعندهم نشاط في هذا الأمر، فهذا يفرح الصدور، ويفرح المسلمين، وهذا نصر لدين الله عز وجل، فسبحان من يحيي ويميت قلوبا، لأن القلوب تحيى بالعلم وتموت بالجهل، **لكن** الشيخ يستدرك ذلك فيقول المؤلف رحمه الله:=

[لكن، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة، نشراً للضمانات التي تكف عنها العثار، والتعصب في مثاني الطلب والعمل؛ من تموجات فكرية، وعقدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية].

في هذه الفقرة أيضا؛ كلامٌ مهمٌّ جدًّا، ويسمِّي ما حدث من إقبال الشباب على هذه الأمور، وعلى هذا العلم، نواة.

النواة في عرف الفلاحين والزارعين أصحاب الأرض هي البذرة الأولى لنمو شجرة أو نبتة، تنمو على ساق لها أوراق، ولها زهور ثم يكون لها ثمار، هذه الثمرة أو النواة لا تنفع إلا إذا تعاهدها صاحبها بسقي وتشذيب، أي قص الزائد منها والجاف، والتعهد في مساراتها كافة، حتى يصير فيها الإنتاج، فهذه تكف عنها العثار، **فالنبتة** وهي صغيرة تتعرض لدابة تأكلها، أو تطؤها فتكسرها، أو تتعرض لدود أو حشرات أو ما شابه ذلك.

وهذا في أثناء الطلب والعمل لهذا الإنسان الذي عنده هذه النواة الطيبة، والتي تثمر ثمرا حسنا ربما تطؤها، أو تأكلها تلك الدواب أو الحشرات، فهنا تشبيه، شبه العقائد الباطلة، والسلوكيات المنحرفة والطائفية المقيتة، بالحشرات والدواب، هذه كلها مقيتة، والحزبية البغيضة، التي ذمها الله سبحانه وتعالى في

كتابه فقال: **{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}**. (المؤمنون: ٥٣)، فلذلك هذا الشيء يجب على طالب العلم أن يتفقه في مثل هذه الأمور حتى يتقي أمثال هذا العثار.

قال المؤلف رحمه الله: **[وقد جعلتُ طَوعَ أيديهم رسالةً في التعالم، تكشف المندسين بينهم؛ خشية أن يردوهم، ويضيعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب، فيستلوهم وهم لا يشعرون.**

واليوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالة تحمل (**الصفة الكاشفة**) لحليتك، فها أنا ذا أجعل سن القلم على القرطاس، فاتْلُ ما أرقم لك، أنعم الله بك عينا.

لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحليَ بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهدى الحسن، **والسمت الصالح**: سمة أهل الإسلام، وأن العلم -وهو أثمن درَّة في تاج الشرع المطهر- لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته.

ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا...

والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي].

فهذه النواة لابد من التعاهد والتعهد لها بالسقي والمباشرة حتى تنمو في الطريق السليم، ولا تتعرض للتموجات الفكرية، والعقدية والسلوكية والحزبية، يقول الشيخ رحمه الله: وقد جعلت طوع أيديهم، أي لهؤلاء الطلبة نسأل الله أن نكون منهم جميعا، فهذه الرسالة التي بين أيدينا فيها التعاليم، تعلمك وتعرفك معالم معينة لآداب طالب العلم، تكشف المندسين بينهم خشية أن يردوهم، ويوقعونهم في مهاوي الردى، فهذه تكشفهم بحلية طالب العلم، إذا علمتها وعرفتها تعرف طالب العلم من غيره.

وإلا! ضيعوا عليهم أمرهم، وبعثروا مسيرتهم في الطلب، فيستلُّوهم أي يخرجوهم من علمهم الأبيض الناصع النظيف، العالي الراقي، وهم لا يشعرون، لذلك جعل نفسه أخا لكم أخا لنا، الدكتور بكر، جعل نفسا أخا، فقال: واليوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالة تحمل (**الصفة**

الكاشفة) ([1])، وكلمة الصفة الكاشفة هذه هي مصطلح من المصطلحات التي اتفق عليها أهل اللغة، لذلك تجد كلمة **الظَبْأة** ([2])، هذا مصطلح للضبع العرجاء، لا ينطبق على غيرها، إذا يوجد ضبع سليم ليس بأعرج، ما نقول عنه ظبأة، وإذا وجد ضبعة مؤنث سليمة بالتاء تمشي سيرا سويا لا تسمى ظبأة، إنما الظبأ للضبع العرجاء، كما ذكر ذلك في القاموس وفي شرحه، فهنا تحمل الصفة الكاشفة لحلية طالب العلم، تكشف غيرتك.

وبالفعل لن يصبر على طلب العلم من افتقد مثل هذه الأمور، أو يحصِّل علما خاليا من الأدب، قال: تحمل الصفة الكاشفة لحليتك، فها أنا ذا أجعل، وهذا كلامٌ راقٍ منه، أجعل سن القلم على القرطاس، فاتل؛ يعني اقرأ ما أرقم لك، من رَقَّمَ معناها كتب، أنعم الله بك عينا، وهذه من المصطلحات التي لا مانع من تكرارها، وذكر الشيخ بكر في موسوعة المناهي اللفظية، بأنه جائز أن تقول: **(أنعم الله بك عينا)** ([3]).

فلقد تواردت موجبات الشرع؛ أي الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، على أن التحلي بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهدي الحسن، أي السيرة الطيبة، والسمت الصالح من رؤيته، كما قال صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الإيمان والتوحيد "**إذا رؤوا ذكر الله تعالى**". ([4])، يعني إذا رأيته تذكر الله سبحانه وتعالى، اللهم اجعلنا منهم يارب، وهذه الصفات سمة أي علامة أهل الإسلام، وأن العلم –وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر– لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته، إذن تتحلى وتتصف بماذا؟ هذا ما سنعلمه فيما بعد.

([1]) **[الصّفة على أَرْبَعَة أوجه:** فَإِن الْمَوْصُوف **إِمَّا أَن لَا يعلم** فيراد تَمْيِيزه من سَائِر الْأَجْنَاس بِمَا يكشفه فَهِيَ الصّفة الكاشفة، **وَإِمَّا أَن لَا يعلم** أَيْضا لَكِن الْتبس من بعض الْوُجُوه فَيُؤتى بِمَا يرفعهُ فَهِيَ الصّفة المخصصة، **وَإِمَّا أَنه لم يلتبس** وَلَكِن يُوهم الالتباس فَيُؤتى بِمَا يقرره فَهِيَ الصّفة الْمُؤَكّدَة، **وَإِلَّا فَهِيَ الصّفة المادحة والذامة**، وَالصّفة الكاشفة خبر عَن الْمَوْصُوف عِنْد التَّحْقِيق] الكليات لأبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) (ص: ٥٤٥)

([2]) **[{الظَّبْأَةُ}** هِيَ (الضَّبُعُ) بِفَتْح فضم (العرْجاءُ) صفة كاشِفَةٌ، وَهُوَ حَيَوَان مَعْرُوف]. تاج العروس (١/ ٣٣٢)

([3]) [أَنعمَ الله بك عيناً، أي أقرَّ الله عينَك بمن تحبُّه]. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٤٣)

([4]) انظر الصحيحة (٦/ ٨٣٥) ح (٢٨٤٩).

كذلك عليك أن تتخلى وتبتعد وتجتنب الآفات التي تذهب وتنغص عليك علمك، ولهذا عناها العلماء أي اهتموا بها بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، **إما على وجه العموم** لكافة العلوم، فكل العلوم تحتاج ذلك، **أو على وجه الخصوص**، بأن يختص كل علم بآداب خاصة، غير الآداب العامة مثل:

آداب حملة القرآن الكريم، **آداب** المحدث، **آداب** المفتي، **آداب** القاضي، **آداب** المحتسب، **آداب** الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ... الخ، وهذا الشأن في الآداب العامة، **فالآن** لا نخص أدبا واحدا من الآداب، إنما تخصنا نحن عامة، فإذا حصلنا على العامة، ربما نحصل على الآداب الخاصة، فنكون من حفظة كتاب الله عز وجل، فنحتاج إلى آداب خاصة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حِلَق العلم آدابَ الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه، يدرس طلابه كتاب الزرنوجي (م سنة ٥٩٣هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: **"تعليم المتعلم طريق التعلم"**.

فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، **فيدرج** تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدراسة النظامية.

وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تهذب الطالب، **وتسلك** به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم، وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته].

إذن يحكي لنا الشيخ –رحمه الله– الحث على إحياء هذا العلم الذي ضاع بين ثنايا الكتب، هو موجود سطرا لكنه ضاع عملا، وإن كان بعض الناس يقرؤه ويمر عليه مرورا، يقول رحمه الله: أدركت، ولعله في العقد الآخر من حياته رحمه الله، بعض حلقات العلم في المسجد النبوي، والمسجد النبوي لا يقل فيه كل يوم عن خمس حلقات، لا يقل، فهذا في التفسير، وهذا في الحديث، وهذا في التوحيد، وغيرها، لكن هذا يقول فيه: كان بعض المدرسين يدرس كتاب الزرنوجي المتوفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة يعني القرن السادس الهجري، رحمه الله سبحانه وتعالى، هذا الكتاب اسمه (**تعليم المتعلم طريق التعلم**)، كأن يجعل طالبا

يقرأ والشيخ يشرح ، فحضر هذا الأمر، وهذا أثر فيه، وتمنى أن يكون في هذا سُنة حسنة في المساجد تبدأ بها الدروس، وسنة حسنة في الجامعات، وفي المدارس، وفي المعاهد.

فعسى أن يصل أهل العلم بهذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، يصلوه لأنه ينقطع، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد ومواد الدراسة النظامية، فَرَجَا أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في أن يكون في التنبيه على هذه المادة، مادة الأدب والأخلاق.

والعجيب أنهم كانوا يدرسوننا في الثانوية الأدب، **وما المقصود من الأدب؟** ليس هذا الذي نتكلم عنه الآن، بل المقصود الأدب والبلاغة، فربما يكون يدرسونه لا أدب فيه، مثل: شعر عمر ابن أبي ربيعة (1)، مليء بوصف النساء نسأل الله السلامة، وإن كان فيه لغة رصينة، **لكن** هنا يقصد بالأدب تلك الصفة التي تتعلق بالإنسان مع نفسه، مع ربه، مع غيره، هذا هو المقصود.

لذلك؛ هذه المادة تهذب الطالب، وتسلك به الجادة، ومعنى الجادة الطريق الموصل إلى الهدف المنشود في آداب الطلب وحمل العلم، وأدبه مع نفسه، وأدبه مع مدرسه ودرسه وزميله وكتابه، أنت تتأدب مع هذا، **فكيف نتأدب مع الكتاب؟** فبعض الناس يمسك الكتاب ويمزقه، هذا ما هو أدب مع الكتاب، هذا يحتاج إلى تأدب، يمسك القلم ويكسره، أو على الطاولة واللوحة والمقعد يملأه بالأوساخ، فهذا ما هو من الأدب، بل يحتاج فاعله إلى أدب.

مع مدرسه؛ سمع وطاعة وتأدب، ودرسه استماع وتلقي وكتابة وتقييد، وتهذيب، ومع زميله فمن قلة الأدب فتجد كثيرا من الطلبة معلمه وشيخه يشرح، وتجده يؤذي زميله، ويطلب منه أمورا تشغله، هذا مخالف للأدب.

وثمرة علمه هذه النتيجة، فإذا أخذت العلم هذه الثمرة تحتاج إلى أدب، وهكذا في مراحل حياته.

---

(1) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب. (٢٣- ٩٣هـ).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [**فإليك حلية تحوي مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فات أدب منها، اقترف المفرط آفة من آفاته**، فمقلٌّ ومستكثر، وكما أن هذه الآدابَ درجاتٌ صاعدةٌ إلى السنة فالوجوب، فنواقضُها دركاتٌ هابطة إلى الكراهة فالتحريم.

ومنها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلف، ومنها ما يختص به طالب العلم، **ومنها** ما يدرك بضرورة الشرع، **ومنها** ما يعرف بالطبع، ويدل عليه عموم الشرع، من الحمل على محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ولم أعن الاستيفاء، لكن سياقتها تجري على سبيل ضرب المثال، قاصداً الدلالة على المهمات، فإذا وافقت نفساً صالحة لها، تناولت هذا القليل فكثرته، وهذا المجمل ففصلته، ومن أخذ بها، انتفع ونفع.

وهي بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله في علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم، جمعنا الله بهم في جنته، آمين].

فإليك حلية، كلمة (إليك) جار ومجرور، **لكن ماذا تعني هنا؟** وفي اللغة **ماذا يقول عنها العلماء؟** اسم فعل أمر، بمعنى خذ، لكن لو قال: إليك عني، أي تجنبني وابتعد عني، فقال في المثال: **(إليك عني أيها المنافق)**، أو إليك أيها المنافق، فهو يريد الابتعاد عنه يريد أن يبتعد عنه، لكن هنا: **فإليك حلية**، فحلية تكون هنا منصوبة؛ لأنها مفعول به ثان، **تحوي مجموعة آداب**، نواقضها مجموعة آفات، فالحلية هذه فيها آداب، والتي ينقضها هو الآفة، وهو النقص الذي يعتري حلية هذا الإنسان، فإذا فات أدب منها اقترف المفرط آفة من آفاته.

وانظر إلى نفسك أيها المتعلم، يا من تريد التحلي، فمقل ومستكثر، يعني مقل من الآداب فيستكثر من الآفات، ومقل من الآفات، فمستكثر من الآداب، وهذه الآداب درجات صاعدة، فالأدب قد يكون مباحا، لكن قد يصعد إلى المندوب والمستحب، والحسن، يصعد إلى السنة، يصعد إلى الواجب، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة، فالوجوب، فنواقضها دركات، هابطة إلى الكراهة والتحريم، فهذه آداب تدور حول هذا الأمر.

هذه الآداب منها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلف، عموم الخلق، حتى مع النملة، ممنوع تحرق النمل، ومنها ما يختص به طالب العلم أنت طالب علم، **فهناك أمور تختص بك**، ومنها ما يترك بضرورة

الشرع، شيء عام الشرع ضرورة لا محالة أن تتحلى بهذا الشيء، **ومنها** ما يوافق الطبع ويكرهه الإنسان، ثم يقع فيه ويدل عليه عموم الشرع، وهنا يوجد حمل على المحاسن والأشياء الحميدة والحسنة الطيبة، محاسن الآداب، كذلك حمل على مكارم الأخلاق، وهو شيء داخلي يدفع الإنسان لفعل هذا الأدب الطيب، ويمنع الإنسان من فعل المعاكس المضاد، والمضار والآفة.

لكن الشيخ رحمه الله يستميح عذرا هنا في أنه لم يعن الاستيفاء، فهو لم يأت بكل الآداب، ولم يأتي بكل الآفات، يقول: لكن سياقتها تجري على سبيل ضرب المثال، فعندما يضرب لك مثالا تحت ضرب المثال هناك تفاصيل كثيرة جدا، **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}**. (العنكبوت: ٤٣).

لكنه هنا يقصد الدلالة على المهمات من الأمور، فكأنها رؤوس أقلام لما بعدها، فإذا وافقت نفساً صالحة لها، كل مَعْلَم من هذه المعالم، تناولت هذا القليل فكثرته، فهو يبحث عن القليل فيكثره، من المكارم والمحاسن، وهذا المجمل ففصلته، فهو أعطاك هذا المجمل، وهذا المجمل وافق نفسا صالحة يكون هناك التفصيل، لكني أقول: كل هذا لا يكون إلا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، فالموفق هو الله، ليس كما يقال: شطارة العبد، أو يتشبه بقارون الذي **{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}**. (القصص: ٧٨)

إنما هو من الله سبحانه وتعالى، ومن أخذ بها، انتفع في دينه ودنياه، ونفع غيره.

وهي بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله في علمهم، إذن فهذا الأدب يلقن إما بالكلام كما أقول الآن وأتكلم أمامكم.

وإما بالاقتداء ترى مؤدبا أمامك، الشيخ العالم فلان، أو مدرس، أو طبيب، أو كذا أخلاق عالية، فأنت تحب أن تقتدي به، كما يقتدي الشاب المتحمِّس الذي عنده قوة للتعلم، وكذا بالملاكم والمصارع القوي الذي يراه ويحب أن يتشبه به، لكن النفس الصالحة تتشبه بالصالحين، ترى شخصية أخرى هي أجمل أخلاقا وأحسن آدابا، تقرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم فتحب أن تتشبه به، تقرأ عن الصحابة تسمع ثم ترى، فتتأدب بها، فهذه بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله في علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم، وهذا نجده في العلماء، علماء المسلمين، والمشايخ حفظهم الله جميعا، من مات منهم ومن هو على قيد الحياة الآن، كلهم على خير إن شاء الله، وإن كانوا غير معصومين من الأخطاء، فلسنا كبعض الطوائف التي تعتقد

في الأئمة العصمة، ليس هناك عصمة إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، **أما بقية الناس** فغير معصومين ويقعون في الأخطاء، ونحن أولهم، بل نحن محملون بالأخطاء، نسأل الله السلامة.

هؤلاء الذين يهتدى بهم، وبارك الله في علمهم، وهذا الإنسان المؤدب أخذ الأدب من أدبهم، صاروا أئمة يهتدى بهم، جمعنا الله بهم في جنته، آمين.

شرح الفصل الأول: آداب الطالب في نفسه

الجزء الأول

قال المؤلف رحمه الله:

[(١) العلم عبادة

أصلُ الأصول في هذه "**الحلية**" بل ولكل أمر مطلوب علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: العلم صلاة السر، وعبادة القلب، وعليه، فإن شرط العبادة إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، لقوله: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}**. الآية (البينة: ٥).

وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إنما الأعمال بالنيات**"، الحديث.

فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل: الرياء؛ رياء شرك، أو رياء الإخلاص، ومنه التسميع؛ بأن يقول مسمعاً: علمت وحفظت...

وعليه؛ فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور، والتفوق على الأقران، واجعله سلماً لأغراض وأغراض، من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب مَحمَدة، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية، أفسدتها، وذهبت بركة العلم.

ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمي الحمى.

وللعلماء في هذا أقوال ومواقف بينت طرفاً منها في المبحث الأول من كتاب (**التعالم**)، ويزاد عليه نهى العلماء عن (**الطبوليات**)، وهى المسائل التي يراد بها الشهرة].

جعل الدكتور -رحمه الله- كتابه حلية طالب العلم بعد المقدمة على سبعة فصول، وكل فصل فيها مهتم بجانب وناحية من جوانب أدب طالب العلم، فجعل الفصل الأول وهو موضوع اليوم؛

آداب الطالب في نفسه، وبدأها بمبحث العلم، وعرَّف أنَّ العلم عبادة، يعني أنتم جئتم من بيوتكم لتتلقوا درسا من العلم، فأنتم في عبادة، وهذه العبادة يثاب عليها الإنسان، لكن هذه العبادة لابد وأن تكون خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

فهذا أصل من أصول هذه الحلية، ولكلّ أمر مطلوب، علمك أن العلم عبادة، اعلم تماما عندما تكون صادقا في استفسارك عن مسألة ما، تبحث عنها في كتاب، أو تسأل من هو أعلم منك، فأنت في هذه الحالة إذا نويت وجه الله، فأنت في عبادة.

لذلك الاستهزاء أو الاستهتار أو ضرب أقوال العلماء بعضها ببعض، فهذا كله من مبطلات الثواب على هذه العبادة، ويصبح العلم هاهنا ليس بعبادة، فلابد أن يكون خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى، ولذا يقول بعض العلماء:

العلم صلاة السرِّ، يعني صلاة خفية، صلاة لا تظهر فيها ما يظهر من أحكام الصلوات؛ من قيام وركوع وخشوع وسجود، وما شابه ذلك، وإنما هي في القلب، فتجد الإنسان يمسك الكتاب، أو يجلس عند العالم، أو يطلب العلم والسؤال والاستفسار، لكن لا تجده يظهر عليه هذا، فهذا الصالح في نيته يتساوى مع المنافق مثلا في الطلب، فكلهم سيان، ويفصل ذلك ويميزه، صلاة السرّ وهي العلم لله وحده لا شريك له، تبتغي بذلك أن تزداد علما من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والعلم عبادة القلب، كما أن العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وما شابه ذلك، عبادات الجسد بأكمله بما فيها القلب، أما العلم خاص بالقلب، فشرط فيه النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى، كما قال في سورة البينة: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}**. الآية (البينة: ٥).

وحديث عمر رضي الله تعالى عنه أول حديث في صحيح البخاري، في تصحيح النيات، وأورده البخاري رحمه الله في صحيحه في أكثر من سبعة مواضع، بألفاظ مختلفة، بالجمع والإفراد، وما شابه ذلك، **"إنما العمل"**، **"إنما الأعمال"**، **"بالنية"**، **"بالنيات"**، كله ليبين أن العلم مع أنه عمل لكنه عمل القلب، فيحتاج إلى نية خالصة لله سبحانه وتعالى.

فإذا فقد العلم إخلاص النية، فهو يتعلم لكن لا يوجد عنده النية الخالصة لله عز وجل، يتعلم العلم ليكابر به، ليرد به على أكابر العماء مثلا، يتعلم العلم حتى يشار إليه بالبنان، فيقال له: عالم، فهذا وقع في أحطّ المخالفات، مخالفات التي هي هدف، فالإنسان يريد هدفا من وراء هذا العلم، بهذا الشيء، أفسد عليه الوصول إلى الهدف؛ لأن هذه الأهداف بيد الله سبحانه وتعالى، وأنت تطلبها من الله، فإذا لم تحسن الطلب، لن تتحصل الهدف، فالذي يحطم العلم الرياء، والسمعة.

فالرياء؛ هذا يكون رياء إخلاص، يعني هو لا يخلص في هذا العمل، فهو يجعله لغير الله سبحانه وتعالى، إذن إنسان يتعلم القرآن ليقال عنه: قارئ، حتى يظهر على فضائية من الفضائيات، أو إذاعة من الإذاعات يرتزق، إن صح التعبير، هذا قرأ وما شاء الله على قراءته، لكن النية ليست لله، بل لهذا الأمر.

وكذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر في الحديث المجاهد، في الظاهر أنه مقاتل، وفي الحقيقة أنه يقاتل ليقال عنه: شجاع وجريء، وكذلك المتصدِّق والمزكِي، والذي يقدم المال للمساجد، ويتبرع للأرامل والمستشفيات، والنية ليقال: عنه كريم، ليقال عنه: جواد.

وأما التسميع؛ فهناك رياء وسمعة، التسميع: هو أن يفعل فعلا معينا، ويقول للناس: فعلت، وحفظت وقرأت وعندي علم من كذا وكذا، ويقول ذلك بنية أن يسمع الناس بما عنده، وفي كلا الحالين أحبط عمله، فالرياء يحبط الأعمال.

فلذلك ينصحنا الشيخ –رحمه الله– بالتزام التخلص من الشوائب، من كل ما يشوب صدق الطلب في النية.

ومنها: حبُّ الظهور، يحبُّ أن يكون أعلى من زملائه، يحبُّ هذا الشيء، وهذا ليس من باب الحسد المغبوط، الحسد المغبوط هو أن تحبَّ لنفسك وتحبَّ لغيرك أيضا، لكن هناك تنافس بينك وبين الزملاء، من هم مثلك، فتتنافس في هذا الأمر لتنال درجات أعلى من كنوز العلم.

صاحبك وزميلك ينام وأنت تدرس، زميلك يتقاعس عن مثل هذه الندوات والدورات والمحاضرات، زميلك يتقاعس، وأنت تنافسه في ذلك لا مانع.

بخلاف من يتباهى أمام زملائه، فربما يتشبَّع بما لم يُعط، وليس عنده ما عند زميله، لكنه يصوِّر لنفسه أنه عنده معالم كل شيء، وهو يعلم بكل شيء.

كذلك حبُّ التفوق على الأقران، لكن عليك أن تجعل علمك هذا خالصا لله، لا أن تجعله سُلَّماً لغرض من الأغراض، أو جاه، أو مال، أو سمعة، أو طلب مَحْمَدة، كمن يقول عن نفسه: (يا لطيف أعطيناهم درسا! وما أحد قال لنا: ما شاء عليكم، درسكم طيب، وغيرها!)

لا! فهذا طلب المحمدة، فيمتنع عن أن يعطيهم بعد ذلك، هذا لا يصح، فالأصل أن ترجع إليهم مرات ومرات، لكن أولئك الذين يمدحونك ربما بعد ذلك يذمونك، فلا تغتبط بمن يمدح، ولا تحزن بمن يذم، ما دمت على البصيرة.

كذلك بعض الناس يتعلم العلم ليصرف وجوه الناس إليه، حتى يستمع الناس إليه، ويأتي الشيخ فلان كم جلس عندكم اليوم؟ يقول: عشرة، وذاك يقول: عشرين، والثالث يقول: ثلاثين، ويحدث التباهي في هذا الأمر، ليس الأمر كذلك، فلذا هذه الدورة مستمرة إن شاء الله، ولا نتباهى بقلة الحضور أو كثرته أو عدمه؛ لأن هذه الكثرة قد تضرّ، وأي مضرّة؟ قد تضرّ المدرِّس؛ ما شاء الله! عنده طلاب، وعنده تلاميذ، فيفتخر، فتذهب ثمرة العلم، وتذهب البركة التي في العلم.

وكذلك القلة إذا كانت مجحفة، أي ما يحضر إلا واحد أو اثنان، فهذه صعبة، فالتكلُّف والحضور المبكِّر يختصره الشيخ إلى أمور أخرى، وعند أناس آخرين لهم حق في طلب العلم.

فلذلك هذه الأمور فيها خير كثير، خصوصا النية، وإخلاص القلب، فالقلب سمي قلبا لأنه متقلب، مرة بهذا القلب يجعلك مع الله في السماوات العلى، وتتفكر في الجنان، ومرة يجعلك تتقلب في أعراض

الدنيا، من شهوات النساء والأموال، والعقارات وما شابه ذلك، هذه إذا شابت النية أفسدتها، وذهبت بركة العلم.

فاجعل من نفسك على نفسك حارسا وحاميا، وحافظا من شوب الإرادة لغير الله تعالى، من شرك الإرادة لغير الله، وأذكر هنا قولا لابن الجوزي رحمه الله، فله كتابان متضادان في العنوان؛ الأول اسمه **(الأذكياء)**، والثاني **(الحمقى والمغفلين)**، فيذكر في كتاب الحمقى والمغفلين عافانا الله وإياكم من الحمق وأهله؛ أن (أعرابيا يصلي، فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم**!)**

فأين النية لله عز وجل؟ فلذا عليك أن تحمي الحمى، حمى القلب، **فللعلماء** في هذا أقوالٌ ومواقف بين رحمه الله شيئا منها في كتاب **(التعالم)**.

ولذا كما نصحتكم أن تجمعوا كلَّ كتب الشيخ التي ألفها، خصوصا التعالم، وحلية طالب العلم.

لكن؛ يزاد عليه نهى العلماء عن **(الطبوليات)**، وهذا اللفظ وغيره ستسمعونها من الشيخ، وهي عجيبة، وبالنسبة لنا غريبة، وربما نمر عليها لأول مرة، أو نسمعها.

الطبوليات: مأخوذة من الطبل، يعني زفّة، والزفة فيها طبل، **فمعنى الطبوليات**: أن يأتي هذا الطالب وهذا الشيخ بمسائل تجعله في شهرة، يأتي بمسائل غريبة وعجيبة جدا، يطرحها للناس، حتى يشهر.

وقد كتبت قديما مقالا في مجلة الاستقامة عنوانه: (إذا أردت أن تشهر فافعل ما ينكر)، إذا جئت بشيء غريب أو منكر، فستجعل كل الناس تعرفك، والمثل يقول: (خالف تعرف)، ونسأل الله السلامة.

فالطبوليات هي المسائل التي يراد بها الشهرة.

قال المؤلف رحمه الله: [وقد قيل: **(زلة العالم مضروب لها الطبل)**، وعن سفيان رحمه الله تعالى أنه قال: **(كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصُّرَّة، سُلِبْته)**.

فاستمسك رحمك الله تعالى بالعروة الوثقى، العاصمة من هذه الشوائب؛ بأن تكون مع بذل الجهد في الإخلاص شديدَ الخوف من نواقضه، عظيمَ الافتقار والالتجاء إليه سبحانه.

ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى قوله: (**ما عالجت شيئاً أشد على من نيتي**).

وعن عمر بن ذر رحمه الله أنه قال لوالده: (**يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟**) فقال: (**يا بني! ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة**)، وفقك الله لرشدك آمين.

الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، **محبة** الله تعالى **ومحبة** رسوله صلى الله عليه وسلم، **وتحقيقِها** بتمحُّضِ المتابعة، وقَفْوِ الأثرِ للمعصوم، قال الله تعالى: **{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}**.

وبالجملة؛ فهذان أصل هذه الحلية، ويقعان منها موقع التاج من الحُلَّة.

فيا أيها الطُّلاب! ها أنتم هؤلاء تربَّعتم للدرس، وتعلَّقتم بأنفس عَلَقِ (**طلبِ العلم**)، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، **فهي العُدَّة**، وهي مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، وهي مبعث القوة، ومعراج السموّ، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا].

كلمات طيبات ما أظنها إلى تحتاج إلى شرح طويل، ولكن التحذير من الطبوليات، قد قيل بين العلماء: (**زلة العالم مضروب لها الطبل**)، يعني لو إنسان فعل الأفاعيل الكثيرة، وهو مغمور من الناس، لو فعل واحدة منها عالم من العلماء أو داع من الدعاة لفُضِح على رؤوس الأشهاد.

وأتذكر في هذا الشيخ سليم شراب -رحمه الله رحمة واسعة- وأعطى درسا في المسجد الكبير بالمغازي، وإذا به يبين حكما شرعيا، لكن قال لهم: (انشروا هذا الكلام، -يخاطب الجالسين أمامه من كبار السن-، انشروه في بيوتكم لأهليكم، والله لو أحدثت حدثا، وقالها بالعامية، لوجدت الخبر عند زوجتي الآن، ألا تنشروا دين الله يا عباد الله**!**).

وهنا جاء بمثلها، فقال: (**زلة العالم مضروب الطبل**)، سواء قصدها أم لم يقصدها، زلة، ما في اعتذار من الناس، هذا عالم، وهذا بشر، ليس معصوما، هذا سفيان رحمه الله يقول: (**كنت أوتيت فهم القرآن**)،

وهذا من تواضعه، يعني عنده فهم للقرآن، قال: (**فلما قبلت الصرة، سلبته**)، فالصرة هي الوظيفة أو المال، وهو ليس بحرام، لكنه شعر أن حدثا صار عنده، أثّر عليه في فهم القرآن.

ولذا قال: (فاستمسك رحمك الله بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب؛ بأن تكون مع بذل الجهد بإخلاص ومع هذا شديد الخوف من الله تعالى)؛ أن تبتلى بنواقض هذا الحمى الذي جعلته على نفسك، والحصن الحصين، أن تخاف من سلبه، لذلك قال خليل الرحمن: **{... وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ...}**. (إبراهيم: ٣٥، ٣٦)، فإبراهيم عليه السلام كان يخاف من الشرك بالله عز وجل، وهو أبو الأنبياء، وهو الذي أسس التوحيد لأبنائه الأنبياء من بعده، وللأمم من بعده، يخاف من عبادة الأوثان، فكيف بنا نحن في هذا الزمان؟!

يقول الثوري رحمه الله: (**ما عالجت شيئاً أشد على من نيتي**)، يعني هو ذاهب للعلم، ذاهب لعمل خير، ذاهب للصلاة، ذاهب لخطبة، ذاهب للحج، ذاهب للعمرة، يعالج نيته أن تكون صافية نقية، تقية صحيحة، مستقيمة سليمة، متوجهة إلى الله عز وجل، لا تشوبها شائبة، فهذه المعالجة كان يشعر فيها شدة عليه؛ لأن هذه مشكلة؛ أن تفعل خيرا وتكون آتيا من مناطق بعيدة، وتجد عند الله في النهاية أن عملك غير مقبول، مالَك أجرٌ ولا ثواب!

والسبب؛ ابتغيت غير وجه الله سبحانه وتعالى في هذا العمل، وهو عمل بسيط سهل ميسور، لكن الصعب كيف أن توجهه ويكون لله سبحانه وتعالى.

عمر بن ذر أحد التابعين قال لوالده: (**يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء**)، يعني بذلك أن كلامك وموعظتك تدخل في قلوبهم، (**وإذا وعظهم غيرك لا يبكون**؟) يعني نفس كلامك في الآيات والأحاديث وقصص السابقين، لكن ما يحدث عندهم كما يحدث عندما أنت تعظ الناس، قال: (**يا بنى! ليست النائحة الثكلى**) التي تنوح على ولدها أو زوجها، هو فقيدها مثل (**كالنائحة المستأجرة**)، التي يحضرونها بالأجرة، فليس هذه كهذه.

وفعلا يقصد بذلك أنه هو نائحة ثكلى، هو الذي يشعر بأنه من أصحاب تلك المواعظ، يخشى أن يكون هو من أهل النار الذين تكلم عنهم، وحذر الناس أن يكونوا من أهل النار، فيشعر بأنه هو المقصر، فلذلك تخرج هذه المواعظ من قلبه فتستقر في قلوب الناس.

ويدعو لك أيها الطالب للعلم فيقول: (**وفقك الله لرشدك آمين**).

وهذه خصلة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، خصلة المحبة، محبة الله ومحبة رسوله، فلابد من التحقيق في هذه المحبة بتتبع الأثر.

قال المؤلف رحمه الله:

[(٢) كن على جادّة السلف الصالح

كن سلفياً على الجادَّة، **طريقِ** السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد، والعبادات، ونحوها، متميّزاً بالتزام آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض في علم الكلام، وما يجلبُ الآثام، ويصدُّ عن الشرع.

قال الذهبي رحمه الله تعالى: وصحّ عن الدار قطني أنه قال: (**ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام**)، قلت: لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً. اهـ.

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المتَّبعون آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى: (**وَأَهْلُ السُّنَّةِ نَقَاوَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ**). (١) اهـ.

فالزم السبيل، {**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**}]. (الأنعام: ١٥٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٨).

قلنا تحتاج هذه الخصلة الطيبة؛ -إحسان النية- تحتاج إلى محبة الله تعالى، ولا أتصوَّر أحدا يدعي أنه يكره الله سبحانه وتعالى، لكن هذه المحبة -محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم- تحتاج أن يتمحَّص المحبُّ، ويكون محضُ الأثر، اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (آل عمران: ٣١)، فهذا هو أصل الحلية التي يجب أن يتحلَّى بها طالب العلم خاصة، وكل المسلمين عامة، محبة الله ورسوله، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فأنتم **أيها الطُّلاب** تربَّعتم للدرس، وتعلَّقتم بأنفس عَلَقٍ، حتى سميت العلقة **{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}**. (العلق: ٢)، لأنه يتعلق بشيء، فأنتم متعلقون بهذا الحبل المتين، **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}**. (آل عمران: ١٠٣)، الكتاب والسنة، فطلب العلم عَلَق، وحبل يوصلك إلى الله وإلى رسوله، يوصلك إلى الدار الآخرة، يوصلك إلى الجنة، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فهي العُدَّة، وهي مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، يعني تهبط عليك الفضائل من الله عز وجل، وأيضا تهبط عليك المحامد، وهي مبعث القوة عندك أيها العبد، ومعراج السموّ والرفعة، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا.

وفي هذا الباب التالي، يقول لك: (كن على الجادة، جادة السلف الصالح)، **فمن هم السلف الصالح؟** وهم الذين نتكلم عنهم، ونسمع كلمة (سلفيّ)، و(سلفيون)، والسلف الصالح، هم كما قال مشايخنا، وكما تعلمتها من شيخنا العراقي د. الشيخ (سعد الهاشمي)، وهو موجود في مكة إلى الآن بعد أن كبر سنه، **فهذا** يقول ويبين لنا الفاصل بين السلف والخلف، وجعلها سنة ثلاث وثلاثمائة من الهجرة بموت النسائي صاحب السنن، فمن مات في هذه السنة أو قبلها فيكون من السلف، أمَّا من بعدهم فمن انتسب إليهم فيكون سلفيًّا، فلا يوجد سلف اليوم، فالسلف انتهوا، فنسأل الله أن نكون خير خلف لخير سلف.

فالثلاثة قرون المفضلة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية هم السلف الصالح، قال فيهم ما ثبت عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**"، -قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا- "**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**". (١)

---

(١) حديث: "**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**". (خ) (٣٦٥٠)، (م) ٢١٤- (٢٥٣٥).

فعد ثلاثة قرون، وفي رواية عدّ الرابع وشكّ فيه، قال: لا أدري أقال: **(ثم الذين يلونهم)**، أي للمرة الرابعة من القرون أم لا، فالمشكوك فيه نحذفه، ويبقى المتفق عليه، قال: ثم بعد ذلك يظهر في الناس السمن، وتسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمين أحدهم شهادته.

فطريق السلف الصالح ومنهم الصحابة رضي الله تعالى، وتلاميذهم من التابعين، وتلاميذ تلاميذهم أتباع التابعين، فيدخل فيهم أبو بكر رضي الله عنه إلى آخر من مات من الصحابة، ويدخل فيهم الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد، ويدخل فيهم أصحاب الصحاح والسنن، وأصحاب التواريخ، وأصحاب المصنفات والمسانيد، الذين عاشوا في هذه القرون الثلاثة المفضلة، فهؤلاء اقتفَوا أثرَ من قبلهم، يعني الصحابة أخذوا من النبي صلى الله عليه وسلم، وتلاميذهم أخذوا منهم، وهكذا.

فأخذوا أثر من قبلهم في جميع أبواب الدين، توحيد وعبادات، ومعاملات وآداب وأخلاق ونحوها، **فهنا التميُّز بالتزام** آثار الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنَّك توظِّف السنن التي تعلمتَها على نفسك، فالسنن تبدأُ بها بنفسك حتى تكونَ قدوةً لغيرك، دون ادِّعاء أو كلام، بمجر أن يراهم الناس يعرفون أنهم على الجادة، إنهم أولياء الله بحقٍّ، عَنْ ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ أَوْلِيَاءُ اللهِ؟!**) قَالَ: "**الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ**". (١)

بسمتهم وهديهم، وأخلاقهم وآدابهم، كما سنعلم ذلك بتفصيل بعد ذلك.

توظيف السنن على نفسك هذه مهمة جدًّا، لأنَّ بعضَ الناس؛ الله سبحانه وتعالى هداه، وأحبَّ السنَّة وأهلها، وفعل فعلهم، ثم صارَ يلعنُ ويشتمُ غيره، ممن هو في الفسق والفجور غارق، أو في قلَّة المبالاة بالسنة، وأنا أذكره وأقول له: يا أخي جزاك الله خيرا ألم تذكر قول الله تعالى: **{كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}**. (النساء: ٩٤)

فادعُ له بأن يمنَّ الله عليه، كما منَّ عليك، فالدعوة بالهداية أولى، بل هي الواجب أن تدعوَ بالهداية والثبات، لا بالهلاك، افتح الفسبكة والشبكة العنكبوتية، تجد اللعن والسبَّ على المسلمين من المسلمين، في شتى بقاع الأرض، ما سلم منهم؛ إلا من لم يعلموه مسلما، ونسأل الله السلامة.

---

(١) "**الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ**". (ن) (١١٢٣٥)، (بز) (٥٠٣٤)، صَحِيح الْجَامِع (٢٥٨٧)، الصَّحِيحَة (١٦٤٦).

وليس هذا دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا أصحابِه رضي الله عنهم، ولا من عاش في القرون المفضلة رحمهم الله، لا والله، من كانت همته وعلمه اللعن، هذا فيه قدوة بالروافض، وما شابه ذلك، وهم الذين لم يسلم من سبِّهم وشتمهم أحد، حتى أنهم في النهاية ربما يلعنون أنفسهم، نسأل الله السلامة.

وظِّفْ السنن على نفسك، اترك الجدال، والمراء، والمخاصمات خصوصا في علم الكلام، والخوض فيه والفلسفة، والأشياء التي لا فائدة لك من ورائها.

صدقوني! يا أسفاه على شباب يجلس بعضهم إلى بعض طيلة الليل على مسألة معينة، ليست من مسائل الشرع ولا الدين، لكن الشيطان جعلها في أنفسهم وفي ظنهم أنها من مسائل الشرع والدين، وطيلة الليل وهم عليها، والكلام في فلان، والكلام في علان، وشغلوا أنفسهم عن حفظ آية، وتعلم حكمٍ شرعي، وقراءة حديث نبوي، انشغلوا بالسب والشتم والإقصاء والإبعاد، والتبديع والتفسيق والتكفير، وسمِّ ما شئت، دع المراء ودع الجدل، ولو كنت محقًّا، إذا وصلت بك المسألة أن الذي أمامك لا يستفيد، لا تستمر معه، اتركه، اترك المراء وإن كنت محقًّا، ما دام دخل في المراء، فاخرج أنت.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"أَنَا زَعِيمٌ"** =أي ضامن وكفيل= **"بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ"** = أَيْ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا ، تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُون حَوْلَ الْمُدُن ، وَتَحْت الْقِلَاع= **"لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ"** = أَيْ: ترك الجِدَال= **"وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ"**. (١)

كذلك بعض الأشياء يدخل فيها جلبُ الآثام، في تلك الليالي تقع الآثام وهو لا يدري، والملَك الذي يكتب السيئات يسجل، والصحيفة تسود، والملك الذي يكتب الحسنات قلمه واقف، لا يكتب شيئا، ربما إلى منتصف الليل أو ما بعده، نسأل الله السلامة، يحدث هذا أو لا؟ أنا واحد منكم، أسمع مثلكم وأرى، فنسأل الله السلامة.

---

(١) حديث "**أَنَا زَعِيمٌ**": (د) ٤٨٠٠، (ت) ١٩٩٣، (جة) ٥١، انظر صحيح الجامع: ١٤٦٤، الصَّحِيحَة: ٢٧٣، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ١٣٩.

طالب العلم لابد أن يكون على الجادة، سلفيا، منتسب إلى السلف الصالح في العهود المفضلة، قال الذهبي رحمه الله: (**وصحّ عن الدار قطني أنه قال: ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام**)، ومع ذلك يشهد له الذهبي رحمه الله بأن علم الكلام لم يدخل الرجل ولم يخض فيه، ولا الجدال، ولم يتلبس فيه أبداً بل كان سلفيا يشهد الذهبي له بهذا الأمر، ومع ذلك يكرهه ويبغضه وإن لم يمارسه.

لذلك قال: وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المتبعون آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (**وأهل السنة: نقاوةُ المسلمين**)، فالنقاوة هي الصفاء، لذلك يسمون البذور التي يريدون أن يزرعوها تقاوٍ، ونقاوٍ ينتقوها من بين البذور كلها للجودة، فائدة كبيرة جدا منها، وفيها مقاومات للحشرات وما شابه ذلك، فيزرعونها في الأرض، فانظر ابن تيمية رحمه الله **ماذا يقول:** فأهل السنة هم نقاوة المسلمين، إذن ففي المسلمين أمور أخرى، ليس كل المسلمين نقاوة، نقاوتهم أهل السنة، نسأل الله أن نكون منهم، وهم خير الناس للناس، كيف تعرف حالك سنيا مائة بالمائة ما شاء الله؟ كيف أنت مع الناس، مع الناس عامة مؤمنهم وكافرهم، والناس خاصة إخوانك في الدين وفي العقيدة، وفي التوحيد، وفي المنهج، وفي الطريقة، وفي السبيل، كيف أنت معهم؟ كيف أنت مع جيرانك وإخوانك؟ وهم خير الناس للناس. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ)، قَالَ: "**كُنْ مُحْسِنًا**"، قَالَ: (وَكَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**"). (١)

فالزم السبيل، **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**. (الأنعام: ١٥٣).

---

(١) حديث "**كُنْ مُحْسِنًا**"، (ك) ١٣٩٩، (حم) ٣٨٠٨، (جة) ٤٢٢٣، (ك) ١٣٩٩، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٢٧٧، الصَّحِيحَة: ١٣٢٧.

قال المؤلف رحمه الله:

[(٣) ملازمة خشية الله تعالى

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها، والدعوة إليها؛ دالاًّ على الله بعلمك وسَمْتك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة، والسمتِ الصالح.

ومِلاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (**أصل العلم خشية الله تعالى**).

فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعدُّ عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بسند فيه لطيفةٌ إسناديَّةٌ بروايةِ آباءٍ تسعة، فقال: أخبرنا أبو الفرج عبدُ الوهاب بنُ عبدِ العزيز بنِ الحارث بنِ أسد بنِ الليثِ بنِ سليمانَ بن الأسودِ عن بن سفيانَ بن يزيدَ بن أُكينةَ بن عبدِ الله التميمي من حفظه؛ قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (**هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل**). أهـ. وهذا اللفظ بنحوه مروي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى].

يقال عن هذا: إنه من لطائف السند، حيث فيه تسعة رواة يروي الأبناء عن الآباء.

وعلى طالب العلم أن يتحلى بملازمة خشية الله، تصوّر أن الإنسان محسن النية، لكن ما كان ملازما للخشية، والخشية ترافق المراقبة، فما خشيته تراقبه، يعني تراقب أحوالك معك، هل أحوالك ترضي الله فتفعلها، هل تغضبه فتبتعد عنها، فالتحلي إلى عمارة الظاهر، تحتاج إلى عمارة الباطن، وهي بخشية الله سبحانه وتعالى مع المحافظة على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها، ليس حفظها فقط، بل العمل بها والدعوة إليها؛ وأن تدل على الله عز وجل، أنت تكون دليلا على الله بسمتك وهديك وعلمك،

نكرر هذا الحديث، ويا ليتكم تقرؤونه وتقرؤون شرحه، "**الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ**"، رؤوا في الشارع، في المسجد، رؤوا في أي مكان؛ الناس يشيرون إليه بالبنان.

لي صاحب سودانيٌّ، زميل في الجامعة الإسلامية بالمدينة، في كلية الحديث قبل ثلاثين سنة، تقابلت معه بعد مدة طويلة، بعد عشرين سنة أو خمسا وعشرين، وكان في المدينة مع الشيخ الدكتور صالح الرفاعي، فأخبرنا بأنه مبتعث من قبل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية؛ داعيا إلى الله عز وجل في إحدى الدول الأوروبية، وأهلها لا يفقهون العربية، ابتعِث داعيا هناك، فقال:

(**كنت أمر على أطفال، فكانوا إذا رأوني**)، قالوا: (**السلام عليكم**)، قلت له: (**لماذا قالوها لك؟**) قال: (**تعوَّدوا مني، فإذا استقبلتهم من بعيد ردوا علي السلام**)، عرف بهذا الشيء، وعرف بهذه اللفظة، فأنت تحتاج لأن تعرف، وتحتاج لأن يشار إليك، لا يشار إليك لأن يقال عنك: داعٍ إلى الله، فأنت تقول وتدعو ما شاء الله، لكن لتعرف بسمتك وهديك النبوي السني.

علمت مرة –وكنت سائرا في طريق، وجاء هذا الخبر لي متأخرا، ولم أكن أدري به من قبل–، أن أحد الناس كان قد سبّ الدين، –أستغفر الله العظيم–، هذا الذي علمته فيما بعد، فقال السابُّ: (**كان في تلك اللحظة قد مرَّ الشيخ فؤاد**)، –وأنا والله ما دريت عن سبِّه–، فقال السابُّ: (**والله أيامها قد خجلت في نفسي، وتبت إلى الله**)، سبحان الله! خاف مني، وأنا ماذا أفعل معه؟! لكن هذا جعله أن يتذكر الله عز وجل، فيقلع عن هذا الذنب، وليس هذا مدحا للنفس، بل من باب الذكرى والتذكر والتدبر.

كما قال هنا: (**دالاً على الله بعلمك وسمتك وعلمك، متحليا بالرجولة**)، يعني كن رجلا في العلم، وفي الهدي وفي السَّمت، ولا تمشِ مشية المتماوت؛ بل امشِ مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقرب شيء نشبهها بمشية الجيش اليوم في الطابور العسكري، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما يتقلَّع، (١) كأنه ينتزع قدمه من الأرض انتزاعا، ليس مشية الذي يجر نفسه، ويترك أثرا وراءه من غبار، نسأل الله السلامة، لا ليست مشية المتماوت.

(١) (.. كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ ..). (حم) (١٠٥٣).

كذلك تحتاج -يا طالب العلم أيضا- إلى المساهلة والمسامحة مع الآخرين، والسمت الصالح؛ من لُبس وهيئة، ومِلاك ذلك خشيةُ الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (**أصل العلم خشية الله تعالى**)، فكلما خشيت من الله عز وجل ازددت علما بأمر الله سبحانه وتعالى، لا تدري من أين يأتيك العلم، من أين يثبت في قلبك هذا العلم، كلما خشيت الله سبحانه وتعالى، **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**. (فاطر: ٢٨)، **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}**. (البقرة: ٢٨٢)، تقوى الله مخافة الله، الزم خشية الله ليس أمام الناس فقط متعبِّدٌ متنسك ما شاء الله، وإذا خلا إلى محارم الله انتهكها**!** أمام الناس قِدِّيس، وفي الخفاء إبليس**!** نسأل الله السلامة.

فخشية الله تلزم في السرِّ والعلن، **فإن خير البريَّة** من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، ولو كان لا يعلم شيئا ولا يكتب، لا يعرف يكتب اسمه ولكنه يخاف الله هذا عالم، مثل عجوز كبيرة في السن، أو عجوزٍ طاعنٍ في العمر، أو عامِّيٍ يخاف الله هذا عالم، وإنسان آخر يحفظ القرآن، ويحفظ كتب السنن الستة وغيرها، ويحفظ الكتب التواريخ وغيرها، وكتبَ الفقه، فهذا ليس بعالم إذا لم يخش الله، **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ}**، أسلوب قصر، **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**. (فاطر: ٢٨)

فخير البرية من؟ إنه العالِم، ولا يغِبْ عن بالك؛ أن العالم لا يعدُّ عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله، عِلْمه يعمل به في السرِّ والعلن، وحُقَّ لهذا العالم أن تصليَ عليه الملائكة، ويصلي عليه حتى النملة في جحرها، والحوت في البحار، يصلون على معلم الناس الخير، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ؛ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**". (١)

(١) حديث: "**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ** ..."، (ت) (٢٦٨٥)، (مي) (٢٨٩)، (طب) (٧٩١١)، صَحِيح الْجَامِع (١٨٣٨)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: (٨١). قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: سَمِعْت أَبَا عَمَّارٍ الْحُسَيْنَ بْنَ حُرَيْثٍ الْخُزَاعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: (**عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ؛ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ**).

أسأل الله لي ولكم ولسائر المسلمين الذين يعلِّمون الناس أن نكون من هؤلاء، اللهم آمين.

وهذا السند الذي فيه لطيفة عن تسعة آباء، ترجع كلها إلى عليٍّ رضي الله تعالى عنه، ويقال: إنها ترجع إلى سفيان، لكنها إلى علي أثبت.

هتف العلم بالعمل، يعني العلم قال للعمل ناداه، فإن أجابه، وإلا ارتحل، فمن المرتحل؟ العلم، إذا العمل ليس عندك، بل عندك العلم جئت به، فالعلم يناديه، فإن أجابه العمل كان بها، فيستقر عندك العلم والعمل، فإن لم يأتك العمل، وما أجابك العمل، ارتحل العلم، وإن بقي فيبقى دون بركة، ودون نماء، وهذه تحتاج إلى أمر آخر، وهو:

قال المؤلف رحمه الله:

[(٤) دوام المراقبة

التحلّي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر.

فأقبل على الله بكُلِّيَّتِك، **وليمتلئْ** قلبُك بمحبَّتِه، **ولسانُك** بذكره، **والاستبشارُ** والفرح والسرور بأحكامه وحكمه سبحانه.

(٥) خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء

تحلَّ بآدابِ النفس، من العفافِ والحلم، والصبرِ والتواضعِ للحقِّ، وسكونِ الطائر من الوقارِ والرزانة، وخفضِ الجناح، متحمِّلاً ذُلَّ التعلُّمِ لعِزَّةِ العلم، ذليلاً للحقِّ.

وعليه، فاحذر نواقضَ هذه الآداب، فإنها مع الإثمِ تقيم على نفسك شاهداً على أن في العقل عِلَّة، وعلى حرمانٍ من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء، فإنه نفاقٌ وكبرياء، وقد بلغَ من شدة التوقي منه عند السلف مبلغاً.

ومن دقيقِه؛ ما أسنده الذهبي في ترجمة عمرو بن الأسود العنسيِّ، المُتوفَّ في خلافة عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى؛ أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، ([1]) فسئل عن ذلك؟ فقال: (مخافة أن تنافق يدي).

قلت: (**يمسكها خوفاً من أن يخطر بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء**). ([2]) أهـ].

دوام المراقبة، وهذا الشيء مهم جدًّا في أفعالك كلِّها، أن تكون مراقَبًا؛

أولا وقبل كلِّ شيء من الله سبحانه وتعالى.

فإن نسيت مراقبة الله سبحانه وتعالى فلا تنسَ مراقبة الملكين؛ رقيبٌ وعتيدٌ، اللذين يسجِّلان عليك كلَّ حركة وسكنة، وكلَّ كلمة وحرف.

فإن نسيت هؤلاء أيضا؛ فلا تنسَ ما حولك من شجرٍ وحجرٍ ومدر، وإنسٍ وجنٍّ، كلُّهم شهودٌ ضدك.

فإن نسيت هؤلاء؛ فلا تنسَ جلدَك وسمعَك وبصرَك، ويديك ورجليك كلهم شهود عليك، ثم تنسى هذا كله!! فتخسر المراقبة، فلابد من دوام المراقبة.

لو أن إنسانا وضعوا له آلة تصوير (كاميرا) خفية في مكان، وعلم بذلك سيبقى متحفظا من أفعاله وحركاته، ويقول عن نفسه أنه مراقب، فإذا كان ذلك كذلك؛ فأنت عليك شهود من نفسك أيضا، كلُّهم هؤلاء يدلُّون عليك ويشهدون عليك أو لك يوم القيامة.

فلذلك أقبل بكلِّيَّتك على الله، ومحبة الله الغفور الرحيم الودود، وليمتلئ قلبك، ويرطب لسانك بذكر الله سبحانه وتعالى، واستبشر وافرح بأحكام الله سبحانه وتعالى التي عَلِمتها، والتي لم تعلمْها، وكل ذلك مع

([1]) جاء في (الثقات) لابن حبان (٥/ ١٧١) رقم: (4414): [عمرو بن الأسود العنسى، كنيته أبو عياض، وقد قيل: أبو عبد الرحمن، من عباد أهل الشام وزهادهم، وكان يقسم على الله فيبره، يروى عن عمرو ومعاوية، روى عنه خالد بن معدان والشاميون، وكان إذا خرج من بيته، وضع يمينه على شماله مخافة الخيلاء].

([2]) تاريخ الإسلام للذهبي ت بشار (٢/ ٥٢٦).

المراقبة؛ لأنها تجعلك تحسب حسابا لمن تعاملهم في نفسك، فتعامل الوالدين، والإخوة والأخوات في البيت، والجيران والزملاء والناس في الأسواق، وفي المحاكم وغيرها.

فهنا عليك –يا طالب العلم– أن تنبذ الخيلاء، لكن الإنسان إذا كان وحده لا يتكبر، يتكبر على من؟

لكن إذا كان مع غيره يظهر الخيلاء، وتنبثق من الخيلاء الكبرياء..

فتحلَّ بآداب النفس؛ بأن تكون عفيفا حليما، صبورا متواضعا، أن تكون متبعا للحق، وأن تسكن سكون الطائر من الوقار والرزانة، وليس التماوت، ففرق بين التماوت والرزانة، وخفض الجناح لإخوانك المؤمنين المسلمين، متحمِّلاً ذلَ التعلُّم لعزَّة العلم، ذليلا للحق.

لذلك مما يذكر في هذا مما قرأته لبعض إخواننا على (الفسبكة) للأخ الشيخ: (طاهر المحسي) يذكر عن الشيخ بهجت البيطار رحمه الله تعالى، جاءه الطلبة، وكان ينتظر بعد صلاة الصبح، فما جاء الطلبة، فذهب إلى بيته، فجاء طالبان، فما وجدا الشيخ في المسجد، فذهبا إلى بيته فدقَّا الباب، فخرج الشيخ إليهما، فقال: (من؟!) قالا: (جئنا نأخذ الدرس)، لكنهما جاءا بعد فوات الأوان، قال: (انتظرا)، فصعد، وظنَّا أنه سيفتح الباب ليدخلا، وبعد قليل إذا بدلو ماءٍ باردٍ يسكب عليهما، فقال: (هذا جزاء من تأخر عن العلم)، رحمهم الله جميعا.

لكننا نقول: ومع الذِّلَّة للعلم، كان الصحابة رضي الله عنهم يجلس بعضهم على أبواب بعض، ويقبِّلُ بعضهم ركابَ بعض، وأيديَ بعض؛ طلبا للعلم، وتقرَّبًا إلى الله عز وجل، كلُّ هذا وأنفسهم باعوها لله سبحانه وتعالى، فلمن بعناها في هذا الزمان؟!!

فاحذر –يا عبد الله– نواقضَ هذه الآداب، فإنها مع الإثم، بل هي ليست إثم فقط، ولكنها تقيمُ على نفسك شاهداً على أن في العقل عِلَّة، إذا جئت بهذه النواقض، فإنه في هذا العقل علَّة، وعلى حرمان من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء، فإنه نفاقٌ وكبرياء، وقد بلغ التوقِّي من هذا الأمر عند السلف مبلغاً عظيما.

لذلك؛ من هذا الأمر الذي ذكروه ما ذكره الذهبي رحمه الله في ترجمة (عمرو بن الأسود العنسي)؛ كان إذا خرج من المسجد يخشى على نفسه من الرياء في المشي، بأن تسبق يد الأخرى، فكان يضع يده اليمنى على اليسرى، ويخرج من بيته إلى المسجد؛ خشية أن يخرج فيه شيء من الرياء، والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[(٦) واحذر داء الجبابرة

(**الكبر**)، فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به، فتطاوُلك على معلِّمك كبرياء، واستنكافُك عمَّن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمْأَة كِبْر، وعنوان حرمان.

العلم حرب للفتى المتعالي ... ... كالسيل حرب للمكان العالي (١)

فالزم رحمك الله اللصوقَ إلى الأرض، والإزراء على نفسك، وهضمها، ومراغمتِها عند الاستشراف لكبرياءٍ أو غطرسةٍ، أو حبِّ ظهورٍ أو عُجب.. ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبةِ لهيبته، المطفئةِ لنوره، وكلما ازددت علماً أو رفعة في ولاية، فالزم ذلك، تُحرِزْ سعادةً عظمى، ومقاماً يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله ابن الإمام الحجة الراوية في الكتب الستة بكر بن عبد الله المزني رحمهما الله تعالى، قال: (سمعت إنساناً يحدث عن أبي، أنه كان واقفاً بعرفة، فرقَّ)، فقال: (لولا أني فيهم؛ لقلت: قد غفر لهم). خرجه الذهبي، ثم قال: (قلت: كذلك ينبغي للعبد أن يزري على نفسه ويهضمها)].

إنه الكبر؛ داء الجبابرة، مرض، وفعلا هو مرض خطير، مرض الجبابرة، هو يتجبر على غيره، لكن لأنه ضعيف ليس بيده ملك الجبار، فيتكبَّر عليهم بقلبه، ويختال عليهم، ويأتيه الحرص، ويأتيه الحسد، ويأتيه الكبرياء، وهذه كلها، كانت في إبليس، أوَّل ذنب عُصي الله به الحسد، حسد جرّ إلى الكبر، وجر إلى ذنوب كثيرة جدا، جر إلى الكفر والعياذ بالله، **فإبليس** كافر بسبب تعنته وكبريائه.

إذن؛

(١) [والعَلاءُ والعلاءُ: الرفعة والشرف، وكذلك المَعْلاةُ، والجمع المعالي]، من الصحاح. والمتعالي: المتكبر.

العلم حرب للفتى المتعالي ***كالسيل حرب للمكان العالي

وهذه لعلها من الشيخ، لأنني بحثت عنها في أبيات الشعر فلم أجده بهذا العجز الأول: العلم حرب للفتى المتعالي، فالفتى المتكبِّر العلم حرب عليه، كالسيل حرب للمكان العالي؛ لأن السيل إذا جاء من مكان عالٍ، يجره مع كل ما أمامه.

فالزم رحمك الله اللصوقَ إلى الأرض، وهذه معناها التواضع، والإزراء على نفسك، فاتهم نفسك دائما، اهضمها راغمها، من الرغام، مراغمتها على الاستشراد، عندما تسترشد للغطرسة والكبرياء والعجب، وما شابه ذلك، أرغمها أنزلها تحت، لكن ليس معنى هذ الكلام كما يفعل بعضهم، عندما جاؤوا لأحدهم يطلبون منه أن يذهب معهم لصلاة الجمعة...، فقال: (أنتم ترفضون)، فقالوا: (كيف نرفض، أنت ما تصلي الجمعة؟) فذهب معهم، وأراد أن يتواضع، فمرّ بميلغة كلب، وهو إناء يشرب الكلب منه، فتوضأ منه، فاعترضوا عليه وطردوه: (أخرج كيف تتوضأ بنجس؟) قال: (قلت لكم أنا أتواضع، وأنتم لا تريدون أن أتواضع!!) أو كما قيل. (١)

وأحدهم وضع العذرة على شاربه، فقالوا: (ما هذا اللون الأصفر، وما هذه الرائحة الكريهة المنتنة؟!) قال: (أتواضع بها لله).

ليس من هذا النوع الذي يراد لطالب العلم، النوع المراد التوسط.

فقد تواضع محمد صلى الله عليه وسلم، للجارية التي تأخذ بيده وتسأله، وتمشي به في طرقات المدينة. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (**إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا، حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا**). (٢)

تواضعه للطفل الصغير ينحني له حتى يركب على ظهره؛ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ**

---

(١) راجع القصة بنصها في (الطبقات) للشعراني ترجمة (بركات الخياط)، ص: (٤٨٩).

(٢) (إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) (جة) (٤١٧٧)، (حم) (١١٩٦٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا)، قَالَ أَبِي: **(فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ)**، قَالَ النَّاسُ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ!)** قَالَ: **"كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ"**. (١)

تواضعه للمرأة العجوز وما شابه ذلك، هذا هو التواضع، وليس الذلَّة مطلقا. (٢)

بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى، أخذته رقة وهو في عرفة، وقد روى له أصحاب الكتب الستة أبو داود والبخاري والترمذي وابن ماجة يعني راوية جديث، فلما أخذته رِقَّة في عرفة، فماذا قال؟! انظر إلى التواضع في قوله هذا، وهذا الذي نريده، قال: **(لولا أني فيهم، لقلت: قد غفر لهم)**. (٣)، وكأنه يقول: الظاهر أن وجودي بينهم سبب في عدم مغفرة الله لهم، يعني تمنى لو أن لم يكن بينهم لعلّها تنزل الرحمة، وهو من رواة الكتب الستة، إذن كم روى من الأحاديث، **فماذا** نقول عن أنفسنا وعن الذين يتكبرون على الناس؟

يقول الذهبي رحمه الله: كذلك ينبغي للعبد أن يزري على نفسه ويهضمها، فإذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يبكون خشية النار، فماذا نفعل نحن في هذا الزمان.

قال المؤلف رحمه الله:

---

(١) حديث: "**ابْنِي ارْتَحَلَنِي**" (س) (١١٤١)

(٢) ومن تواضعه أنه (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ). (يعتقل الشاة) أَيْ: يحلبها. الحديث رواه (طب) (ج١٢/ ص٦٧) ح (١٢٤٩٤)، (هب) (٨١٩٢)، صَحِيح الْجَامِع (٤٩١٥، ٤٩٤٥)، الصَّحِيحَة (٢١٢٥).

(٣) (توفي ما بين سنة ١٠١- ١١٠هـ) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ت بشار (٣/ ١٨).

[(٧) القناعة والزهادة

التحلي بالقناعة والزهادة، **وحقيقة الزهد:** الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه، بالكفِّ عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس.

ويؤثر عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: **(لو أوصى إنسان لِأعقلِ الناس، صرف إلى الزهاد)**.

وعن محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى لما قيل له: **(ألا تصنف كتابا في الزهد؟)** قال: **(قد صنفت كتاباً في البيوع)**. يعني: الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحِرَف. اهـ.

وعليه، فليكن معتدلاً في معاشه بما لا يشينه، بحيث يصون نفسه ومن يعول، ولا يرد مواطن الذلة والهون.

وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطى المتوفَّ في: ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ رحمه الله تعالى متقلِّلاً من الدنيا، وقد شاهدتُه لا يعرفُ فئاتِ العُملةَ الورقيّة، وقد شافَهَني بقوله: لقد جئت من البلاد شنقيط، ومعي كنز قلَّ أن يوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذلُ العلمَ لنيلِ المآرب الدنيوية، فرحمه الله تعالى رحمه واسعة آمين].

على طالب العلم الصادق التحلي بالزهادة والقناعة، فما هو الزهد؟

الزهد أن تبتعد عن الحرام، وتبتعد عن حماه، حتى ما يقرب منه من مكروه، تبتعد عنه، وتكفّ عن المشتبهات، وأيضا عن التطلع إلى ما في أيدي الناس، من الأمور الدنيوية، أما ترك التطلع إلى الأمور الشرعية والدينية، فهذا ليس من الزهد، كأن تقول: أن لا أريد أن أتعلّم علم فلان، فتزهد فيه، هذا لا، إذن الزهد في الحرام، والابتعاد عن حماه، بالكف عن الشبهات، والتطلع إلى ما في أيدي الناس، هذا هو الزهد.

لكن ما هو الورع؟ الورع ترك كثير من المباحات، وكثير من الحلال خشية الوقوع في الحرام، أعلى درجة، الزهد يجب على كل إنسان أن يكون زاهدا عن الحرام، أما التورع فيستحب لكل إنسان أن يكون إنسانا مسلما متورعا، واستنبط من ذلك الإمام الشافعي رحمه الله: **(لو أوصى إنسان لأعقل الناس)**، وقال

هذه قطعة الأرض، أو هذه الفلوس عشرون دينارا أو ألف هذه لأعقل للناس، فجاء أهله يسألون لأعقل الناس لمن نعطيها، قال: (**للزهاد**)، وليس معناها المتصوفين! ليس هذا القصد ولا المراد، وإنما زهاد في الدنيا، كفوا عن الحرام، وابتعدوا عنها، وابتعدوا عن المشتبهات من الأمور.

لكن لما قيل لمحمد بن الحسن الشيباني وهو من تلاميذ الإمام أبي حنيفة: (ألا تصنف كتابا في الزهد؟) قال: (صنفت كتاباً في البيوع). فالبيوع مليئة بالمخالفة والغش، والتخسيس في الميزان والغبن، مليئة بأمور كثيرة جدًّا محرمات، فهذا يجعل الإنسان الزاهد يعرف الأحكام في البيوع والحلال والحرام وما شابه ذلك فيها، فألَّف كتابا يدل على الزهد، فالزاهد من؟ الذي يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر الأعمال والمعاملات والحرف، فلا يكون معتدلاً في معاشه إذا خلطه بما يشينه، لكن لابد أن يصون نفسه ومن يعول، وعليه أن لا يرد مواطن الذلة والهوان.

ويذكر عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى وأنا ما أدركته في المدينة، ولكني أدركت أحد أبنائه، كان يدرِّس في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة الذي توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، كان متقلِّلاً من الدنيا، ولا يعرفُ الفئاتِ النقدية، أن هذه مائة ريال، أو خمسمائة ريال، أو خمسين ريال، لا يعرفها بل لا يميز بينها، ليس جهلا منه، ولكنه زهد في الدنيا، فلا داعي لمعرفتها، ولا داعي لذلك، ويقول مشافهة للشيخ بكر رحمهما الله تعالى: (لقد جئت من البلاد شنقيط، ومعي كنز قلَّ أن يوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها)، عنده أسلوب ولسان عجيب جدا رحمه الله، اقرؤوا سيرته، (ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذلُ العلمَ لنيلِ المآرب الدنيوية)، فرحمه الله سبحانه وتعالى رحمه واسعة.

وأنا أذكر في هذه المناسبة؛ عميد كلية الحديث التي كنت قد تلقيت فيها دراستي الجامعية، وقد توفي رحمة الله تعالى عليه كان يأتي إلى الجامعة، وقد رقع ثوبه، هو الشيخ محمد أمان جامي، رحمه الله رحمة واسعة، كان أسود البشرة من الحبشة، وكان يأتي وثوبه مرقوع، ليس من قلة المادة، ولكنه يقول: لماذا اشتري الجديد، وأنا أستطيع أن انتفع بهذا، رحمه الله رحمة واسعة.

قال المؤلف رحمه الله:

[(٨) التحلِّي برونقِ العلم

التحلي برونق العلم؛ حُسنُ السمت، والهديُ الصالح؛ من دوامِ السكينة والوقار، والخشوع والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلّي عن نواقضها.

وعن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: (**كانوا يتعلمون الهديَ كما يتعلمون العلم**).

وعن رجاء بن حيوة رحمه الله تعالى أنه قال لرجل: (**حدِّثْنا، ولا تحدِّثْنا عن متماوتٍ ولا طعان**). رواهما الخطيب في الجامع، وقال: (**يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعبَ والعبث، والتبذُّلَ في المجالس بالسُّخْف**) =وهو رقة العقل=، (**والضحكِ والقهقهةِ، وكثرةِ التنادر، وإدمانِ المزاحِ والإكثار منه، فإنما يُستجازُ من المزاح بيسيره ونادره وطريفه، والذي لا يخرج عن حدِّ الأدبِ وطريقةِ العلم، فأما متَّصلهُ وفاحشه، وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلَب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرةُ المزاح والضحك يضع من القَدْر، ويزيلُ المروءة**). أهـ.

وقد قيل: (**من أكثر من شيء، عرف به**)، فتجنب هاتيك السقطات في مجالستك ومحادثتك.

وبعض من يجهلُ يظنُّ أن التبسُّط =والزيادة= في هذا أَرْيَحِيَّة. =والأريحيُّ واسع الخُلُق؛ كما في القاموس.=

وعن الأحنف بن قيس قال: (**جنِّبوا مجالسنا ذكرَ النساء والطعام، إني أُبغِضُ الرجل يكونُ وصَّافاً لفرجه وبطنه**).

وفي كتاب المحدَّثِ الملهَمِ أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في القضاء: (ومن تزين بما ليس فيه، شانه الله)، وانظر شرحه لابن القيم رحمه الله تعالى].

التحلي برونق العلم، **ما المقصود برونق العلم؟** الرونق الشيء الجميل الحسن، الذي يظهر، فكيف يظهر عليك أنك طالب علم؟ حُسن السمت، كررها الشيخ وسيكررها في الملابس والأمور الحسنة والجميلة، وليست المقصود بها التفاخر والتعالي، والهدي الصالح، الطريقة المستقيمة من الأفعال والأقوال، ودوام السكينة والوقار، والخشوع والتواضع، وأن تلزم طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ومن عاش

في القرون المفضلة، وتعمِّر الظاهر والباطن بالخير، وتتخلَّى عن نواقض هذه الأمور، فقد كانوا أي السلف الصالح يتعلمون الهديَ، يعني كيف يلتزمون بالأخلاق والآداب بين الناس كما يتعلمون العلم.

وكذلك يقول رجاء بن حيوة رحمه الله: **(حدِّثْنا، ولا تحدِّثْنا عن متماوتٍ ولا طعان)**، ([1]) لا عن متماوت أي يجعل نفسه كأنه حيوان أليف، مثل القط أو الخروف أو النعجة، ما ينفع هذا، ولا طعان، أي عكس ذلك مباشرة، عنده الجرأة على الطعن في الأعراض، واللعن والسب وما شابه ذلك، فهذا كله ابتعد عنه.

لذلك؛ يجب على الطالب، طالب الحديث أن يتجنب مثل هذه المنغصات والمفسدات للعلم، ولأدب العلم، يعني اللعب، والكثرة منه، والعبث، والتبذُّلَ في المجالس بالسُّخْف أي قلة العقل، والضحكِ والقهقهةِ، وكثرةِ التنادر، يعني يحاول الإنسان إذا غلبه شيء من هذا يكظم ما استطاع.

تخيل إنسانا في حالة الضحك كيف يكون؟ الذي بلغت منه ذروة الضحك، ونظر إلى نفسه وقد بلغ به الضحك إلى منتهاه؟

والنبي صلى الله عليه وسلم كان قصارى ضحكه التبسم، صلى الله عليه وسلم، ([2]) فإذا غلبك هذا، فحاول تكظم وتكتم ما استطعت.

وأذكر بعض الإخوة كان زميلي في الجامعة، فحدثني وهو من سكان العقبة بالأردن، أنه جلس في مجلس فيه الكلام بالبدوي، فتذكرني، فصار يقول كلمة، قال: (فباغتني الضحك، فما استطعت أن أتمالك نفسي، وكدت أن أخرج عن حدِّ الأدب، وبدأت في داخلي وفي نفسي أتذكر النار، وغضب الله عز وجل، والكفَّار في الآخرة، حتى ذهب عني ما وجدت، وكتمت الضحك).

فكيف لو حدث ذلك؟ وهو يجلس عند الناس ضيفا، هو تذكر صديقا له بكلمة، لكن أثارت عنده انبعاثا للضحك، ولكنه حكم نفسه فيها.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٢٥٨).

(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ)، (خ) (٤٨٢٨).

وهذا حدث عندما كنا صغارا ونأتي إلى المسجد، يتغلَّب على الواحد منَّا الضحك، يريد أن يغلبه، لكن أنت دافع وحاول أن تجاهد نفسك فتبعدها بالتفكير في أمور أخرى مخالفة ومضادة، حتى لا تذهب منك الهيبة؛ لأن كثرة الضحك تذهب الهيبة، وتميت القلب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ"**. (١)

لكن لا بأس منه إذا كان قليلا، فقد كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أحيانا، ويفعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لكن لم يخرجهم ذلك عن جادَّة الهيبة.

وكذلك المزاح (٢) وكثرته وإدمانه، حتى يغلب على بعض الناس أنه من حين ما يرونه على الفضائيات يضحكون، ومن دون أن يتكلم ولا كلمة.

وإنسان آخر، من أوّل ما يرونه يقولون: إنه سيبكي، وُصِمَ بعضُ الناس بصفات معينة، انتهى الأمر، فهذا عند الناس موصوم بهذا، وهذا موصوم بهذا.

فالذي يبكي ويبكي الناس، فلو ضحك مرة نشروها على الفسبكة، والذي يضحك الناس لو بكى مرة يحدث نفس الشيء ينشرونها هذه المرة على الشبكة العنكبوتية.

فالإنسان إذا تعوَّد على شيء، الناس لا ينتظرون منه إلا هذا الشيء الذي تعودوه منه، فأنت كن وسطا في هذا يا طالب العلم، لذلك الأدب اليسير، والنوادر التي تجلب البشر والسرور على الناس، فهذا لا مانع فيه، أما تجلب الشر وتستكثر منه، وتميت القلب فهذا مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القَدْر والمكانة، يضع من قدر الإنسان، ويزيلُ المروءة، فكما قلنا: مَن أَكثَر مِن شيء عُرف به، فتجنب يا عبد الله! هاتيك السقطات في مجالستك ومحادثتك.

---

(١) (جة) (٤١٩٣)، وغيره واللفظ له، انظر صَحِيح الْجَامِع (٤٥٨٠)، الصَّحِيحَة (٩٣٠).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ، حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ، وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا". (حم) (٨٦١٥)، (طس) (٥١٠٣)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ (٢٩٣٩).

وهذه الجملة: (الْإِيمَانَ كُلَّهُ) مهمَّة جداً، لأنها تُبَيِّنُ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في كل أحاديثه التي قال فيها: "لَا يؤمن أحدكم حتى..."، فمقصوده بذلك: الإيمان كلَّه، كما ذكر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث.

بعض الناس الذين يجهلون يظنُّ أنَّ التبسُّطَ والزيادةَ عن الحدَّ هذا فيه أَرْيَحِيَّة، هكذا هي مضبوطة ومعناها: الرجل الواسع الخُلُق، فليست هذه هي الأريحيَّة، الأريحيَّة وسطية، مطلوب منا أن نكونَ في أريحية، وأن يكون الإنسان أريحيًّا، لكن ليس لدرجة مذمومة، هذا الأحنف بن قيس يقول: وَعَنْهُ قَالَ: (**جَنِّبُوا مَجَالِسَنَا؛ ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ، إِنِّي أُبْغِضُ الرَّجُلَ يَكُوْنُ وَصَّافاً لِفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ**). (١)

كذلك يكتب عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين في القضاء للناس وقضاته: (... **وَمَنْ تَزَيَّنَ لَهُمْ بِمَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؛ شَانَهُ اللهُ**...). (٢)

لذلك وفي الختام أذكر شيخًا لنا، وقد توفي رحمة الله تعالى عليه، وهو المصري الوحيد الذي يدرس (التوحيد) في بلاد الحجاز، أو في الجامعة الإسلامية على الأقلّ، حتى لا أكون متأوِّلا، أو متأثما؛ لأنّ عقيدتَه صافية، هو الشيخ عبد الفتاح سلامة رحمه الله، فهذا الرجل له في قلوبنا –نحن الطلبة– هيبةٌ شديدة جدًّا، إذا دخل الفصل والله**!** لا معه عصا ولا معه شيء يضرب به، ولكن له هيبة عجيبة جدًّا، إذا بدأ بالشرح الكلُّ يسمع، وإذا تأخر إنسان لا يدخل، لأنه يخاف من لسانه، أقلُّ شيء؛ لماذا يا بني فعلت ذلك؟ لماذا تأخرت؟ وأنا كنت أغنتم كلامه، وأسجِّل كلَّ ما يقول حسب طاقتي وسرعة القلم، أسجل عندي كلامه، وكان يشرح لنا (**العقيدة الطحاوية**) رحمه الله، أذكر في آخر السنة الجامعية يقلُّ الطلاب في الجامعة الإسلامية، وعندنا هنا أيضا في المدارس والثانوية، فإذا بهم يجمعون الطلبة الموجودين في صفين يجمعونهم في صفٍّ واحد، حتى يدخروا جهد الأساتذة والمدرسين، فكان هو الذي جعلوه عندنا، ويبدو أنه كان عنده فراغ، وأجلسونا في صف آخر، ودخل أحد الطلاب من الصف الآخر، وهو فلسطيني معه الجنسية الأردنية، فوجئ بوجود الشيخ؛ لأنه لا يتوقع وجوده، فعندما دخل بدل أن يقول: (**السلام عليكم**)، قال: (**بسم الله**)، ودخل وجلس وحمرّ وجهه خجلا وهيبة، فقال: (**إيه يا ابني؟ إنتا عايز تذبح**)، لأنه فوجئ به مفاجأة ما كان يتوقعها، فلو علم ذاك الطالب بوجود الشيخ لما دخل، وهذا من هيبة المشايخ والعلماء، رحمهم الله.

قال الشيخ رحمه الله تعالى:

---

(١) ترجمة الأَحْنَفُ: سير أعلام النبلاء ط الحديث (٥/ ٤٤)، المجالسة وجواهر العلم (ص: ١٤٢) رقم (644).

(٢) (هق) (٢٠٣٢٤)، (قط) (ج٤/ ٢٠٦) ح(١٥).

[(٩) تحلَّ بالمروءة

التحلي بـ (المروءة)، وما يحمل إليها، من مكارمِ الأخلاق، وطلاقةِ الوجه، وإفشاءِ السلام، وتحمُّلِ الناس، والأنفةِ من غيرِ كبرياء، والعزةِ في غير جبروت، والشهامةِ في غيرِ عصبية، والحميةِ في غير جاهلية.

وعليه فتنَكّبُ (خوارمِ المروءة)، في طبعٍ، أو قولٍ، أو عملٍ؛ من حرفةٍ مُهينة، أو خَلَّةٍ رديئة، كالعُجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقارِ الآخرين، وغشيانِ مواطن الريب.

(١٠) التمتع بخصال الرجولة

تمتع بخصال الرجولة، من الشجاعة، **وشدة** البأس في الحق، **ومكارم** الأخلاق، **والبذلِ** في سبيل المعروف، **حتى** تنقطع دونك آمال الرجال.

وعليه، فاحذر نواقضَها؛ من ضعفِ الجأش، وقلةِ الصبر، وضعفِ المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قوله الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومة في حالة تلفحُ بسمومها في وجوه الصالحين من عباده.

(١١) هجر الترفُّه

لا تسترسل في التنعُّم والرفاهية، **فإن** البذاذةَ من الإيمان، **وخذ** بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في كتابه المشهور، **وفيه:** وإياكم والتنعم وزي العجم، **وتمعددوا، واخشوشنوا**.

وعليه، فازوَرَّ عن زيفِ الحضارة، فإنه يؤنث الطباع، ويرخى الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، ويصل المجدون لغاياتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق في ملبسك، وإن كان منها شيات ليست محرمة ولا مكروهة، لكن ليست سمتاً صالحاً، والحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، بل تحديد له، وهل اللباس إلا وسيلة التعبير عن الذات؟!

فكن حذراً في لباسك، لأنه يعبر لغيرك عن تقويمك، في الانتماء، والتكوين، والذوق، ولهذا قيل: الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من: الرصانة والتعقل، أو التمشيخ والرهبنة، أو التصابي وحب الظهور.

فخذ مِن اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالا لقائل، ولا لمزا للامز، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لبسك بما يلتقي مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قربة، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أحب إلي أن أنظر القارئ أبيض الثياب.

أي: ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق.

والناس كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي، أما اللباس الإفرنجي، فغير خاف عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتِيَ بلباس مشوَّه، لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع، تحفُّه بالسمت الصالح والهدي الحسن.

وتطلب دلائل ذلك في كتب السنة الرقاق، لا سيما في الجامع للخطيب.

ولا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم ينبهون على هذا في كتب الرقاق والآداب واللباس، والله أعلم.

(١٢) الإعراض عن مجالس اللغو

لا تطأ بساط من يغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابياً عن ذلك، فإن فعلت ذلك، فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

(١٣) الإعراض عن الهيشات

التصون من اللغط والهيشات، فإن الغلط تحت اللغط، وهذا ينافي أدب الطلب.

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب الوسيط في أدباء شنقيط، وعنه في معجم المعاجم:

أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالماً، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ باب بن أحمد:

مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب، فقال: بل لم يخل منه كتاب، فقال القاضي: هذا القاموس يعنى أنه يدخل في عموم كتاب فتناول صاحب الترجمة القاموس، وأول ما وقع نظره عليه: والهيشة: الفتنة، وأم حبين، وليس في الهيشات قود، أي: في القتيل في الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج. أهـ ملخصاً].

=هذه تكملة وتتمة للفصل الأول **من آداب الطالب في نفسه،** في الحلقة الأولى ما يجب على طالب العلم في نفسه من التحلي به من أن العلمَ عبادة، والخصلةَ الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، محبة الله عز وجل ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع أثر النبي صلى الله عليه وسلم.

والكينونة على جادّة السلف الصالح، **وملازمة** الخشية لله تعالى، **ودوام** المراقبة، **وخفض** الجناح، **ونبذ** الخيلاء والكبرياء، **والحذر** من داء الجبابرة؛ **وهو** الكِبْر، ولزوم القناعة والزهادة، **والتحلي** برونق العلم؛ وهو حُسنُ السمت.

ونتمم ما تبقى من الفصل الأول من آداب الطالب في نفسه، تحل بالمروءة، وعرَّف أعراض المروءة، ومنها مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه وبشاشته، ومنها إفشاء السلام بين الناس، والتحمل والصبر من الناس، والأنفةِ أن تكون عندك، لكن؛ من غيرِ كبرياء، أي أن تتعزز من التسول مثلا، وتأنف من العطاء، وتأنف من مدِّ اليد للآخرين، وإنما تكون بغير كبرياء، وكذلك أن تكون عندك عزة، والعزة لابد أن تكون خالية من الجبروت، وأن يكون عندك شهامةِ، وهذه الشهامة لابد أن تكون في غيرِ عصبية، وأن يكون عندك حمية لدينك بغير جاهلية.

وعكس ذلك تماما؛ خوارم المروءة، وخوارمها تكون في الطبعٍ، أو القولٍ، أو العملٍ؛ أو أن تخرم المروءة في حرفةٍ مُهينة التي تذلُّ الإنسان، أو من الصفات الرديئة، من العُجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقارِ الآخرين، وأن تغشى أماكن ومواطن الشك، ودور الريب، كإنسان صالح وطالب علم ما الذي جعلنا نراه يخرج من هذا المكان الموبوء مثلا: مكان دعارة، أو مكان شرب خمور، أو مكان مشهور بأمور غير طيبة سواء في دين أو دنيا.

وهذا الإنسان الطالب للعلم، عليه أن يتمتع بخصال الرجولة، وهذا عكس التماوت، فهو يحتاج إلى شجاعة وشدة بأس لكن في الحق، ويحتاج إلى مكارم في الأخلاق، وأن تبذل لا أن تأخذ، **بل تكون** من المعطين، لا من الآخذين في سبيل الله وفي المعروف، حتى تتمنى أن يكون مثلك آمال الرجال، بأن يقول الناس: يا ليتنا مثل فلان، نعطي ولا نأخذ من أمور الدنيا.

وعليه، فاحذر هذه النواقض لمثل هذه الأمور؛ منها ضعفِ الجأش، وقلةِ الصبر، وضعفِ المكارم، فهذه تضيع العلم وتهضمه، **وتقطع** اللسان عن قولة الحق دائما، **فالذي** يمد يده دائما ويحتاج للآخرين، وتذهب عنه خصال الرجولة، هذا يخاف أن يقول كلمة الحق، **ويخشى** أن يمشي بين الناس رافع الرأس، ويؤخذ به وبناصيته إلى الخصومة، وهذه الحالة أي الخصومة حالة تلفحُ الرياح؛ **رياح الكلام**، ورياح النقد لهذا الإنسان الذي لن يترفع عن مثل هذه الأمور.

كذلك الترفُّه والإرفاه، وهو التنعم الزائد، أنت تكون وسطا، فالتنعم الزائد هذا ما ينبغي، هذا يبقى للنساء والإناث، قال صلى الله عليه وسلم: **"البذاذةَ من الإيمان"**. (١) يعني الموجود عند الإنسان يلبسه، الثوب الموجود عنده يلبسه، دون أن يكون هناك أمور فيها أشياء، **فتجد** أن الثوب مثلا فيه خيط زائد أو خيط ناقص، يتأفف عنه، لا يا أخي، بل خذ ما تجده معلقا لك في خزانتك الخاصة بثيابك، وهكذا.

فلذلك لا عيب على إنسان لو خرج بثوب في جيبه آثار الحبر، **لكنْ** العيب أن يخرج وعليه ثوبٌ فيه آثار الطعام، شتان بين الأمرين، **ثوب** الحبر دليل قراءة وكتابة، **وآثار** الطعام دليل شهوة بطن، وهنا شهوة علم، **فذاك** الأمر تعفَّفْ عنه واغسله، وتخلَّص منه، لا تطهُّرًا، ولكن تنظُّفا.

وأما ذاك الثوب الملطخ بالحبر فأمره إن شاء الله ميسور.

وكما قال عمر: (... **وإياكم والتنعُّم وزيُّ العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا، فإن النعم لا تدوم**). وهذا نصُّ كلامِ عمرَ رضي الله عنه من مجموع الروايات عند البخاريّ ومسلمٍ ومسندِ أحمد عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: (**أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَنَحْنُ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ بِأَذْرَبِيجَانَ**:) (**يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ! إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعْ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي**

---

(١) (د) (٤١٦١)، (جة) (٤١١٨).

رَحْلِكَ). -**الْمُرَاد هُنَا** أَنَّ هَذَا الْمَالَ الَّذِي عِنْدَكَ لَيْسَ هُوَ مِنْ كَسْبِك، وَمِمَّا تَعِبْتَ فِيهِ وَلَحِقَتْكَ الشِّدَّةُ وَالْمَشَقَّةُ فِي كَدِّهِ وَتَحْصِيله، وَلَا هُوَ مِنْ كَدِّ أَبِيكَ وَأُمّكَ فَوَرِثْتَهُ مِنْهُمَا، بَلْ هُوَ مَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَشَارِكْهُمْ فِيهِ، وَلَا تَخْتَصَّ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ، بَلْ أَشْبِعْهُمْ مِنْهُ وَهُمْ فِي رِحَالهمْ، أَيْ: مَنَازِلهمْ، كَمَا تَشْبَع مِنْهُ فِي الْجِنْسِ وَالْقَدْرِ وَالصِّفَة، وَلَا تُؤَخِّرْ أَرْزَاقَهُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تُحْوِجْهُمْ يَطْلُبُونَهَا مِنْك، بَلْ أَوْصِلْهَا إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي مَنَازِلهمْ بِلَا طَلَب. (١)-

(وَاتَّزِرُوا، وَارْتَدُوا، وَانْتَعِلُوا، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَالسَّرَاوِيلَاتِ، وَأَلْقُوا الرُّكُبَ، (٢) وَانْزُوا نَزْوًا، وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعْدِيَّةِ) -**الْمَعْدِيَّةُ**: اللُّبْسَةُ الْحَسَنَةُ، إِشَارَةٌ إِلَى مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ.-

(وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ) -أَيْ: تدربوا على الرمي.-

(وَذَرُوا التَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ) -مَقْصُود عُمَر رضي الله عنه حَثُّهُمْ عَلَى خُشُونَة الْعَيْش، وَصَلَابَتُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمُحَافَظَتُهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَب فِي ذَلِكَ. (٣)-

(وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم "نَهَى عَنْ الْحَرِيرِ") (وَقَالَ: "لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا هَكَذَا")، (وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِإِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا"). (٤)

---

(١) شرح النووي (٧/ ١٤٧).

(٢) [الرُّكُبُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَالْكَافِ جَمْعُ رِكَابٍ، وَهِيَ الرَّوَاحِل مِنَ الْإِبِلِ. وَقِيلَ جمْع رَكُوبٍ، وَهُوَ مَا يُرْكَبُ مِنْ كُلِّ دَابَّة، فَعُول بِمَعْنَى مَفْعول. والرَّكُوبَةُ أَخَصُّ مِنْهُ]. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥٦)، وفي رواية: **(واقطعوا الركب، وانزوا علي الْخَيل نَزْوًا)**؛ [أَرَادَ مِنْهُم أَلا يعتادوا الِاعْتِمَاد على الركب؛ لِأَنَّهُ قد يكون الْأَمر أعجل من ذَلِك، والنزو على الْخَيل الْوُثُوب عَلَيْهَا، وَقد يُقَال لِلْإِبِلِ الَّتِي تصلح للرُّكُوب ركاب، قَالَ الشَّاعِر: مَا على الرّكْب من وقُوف الركاب. وَيُقَال: بعير رَكُوب وَجمعه؛ ركب، وَتجمع الركاب؛ ركائب، والركب؛ أَصْحَاب الْإِبِل الراكبون لَهَا]. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم محمد بن فتوح الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)

(٣) شرح النووي (٧/ ١٤٧).

(٤) (خ) (٥٤٩٠)، (٥٤٩١)، (م) (٢٠٦٩)، (ت) (٢٨١٧)، (س) (٥٣١٢)، (حم) (٢٥١)، (٣٠١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

وفي رواية: عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ، يَقُولُ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ: (**أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزِرُوا وَارْتَدُوا وَانْتَعِلُوا وَارْمُوا بِالْخِفَافِ وَاقْطَعُوا السَّرَاوِيلَاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ فَإِنَّهَا حَمَّامُ الْعَرَبِ، وَاخْشَوْشِنُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَانْزُوا نَزْوًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا: أُصْبُعَيْهِ وَالْوسْطَى وَالسَّبَّابَةِ**) قَالَ: (**فَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي إِلَّا الْأَعْلَامَ**). (١)

النعم لا تدوم، حتى لو كان عندك نِعَم؛ أحيانا جوّع نفسك، اصبر وصبّرها، والبس الخلَق من الثياب أحيانا، ليس دائما؛ لأن بعض الناس يلبسها ويظنّ أن هذا هو الزهد.

وعليه؛ فازوَرَّ عن زيفِ الحضارة، ازورَّ انحني وانعطف وابتعد واجتنب هذه الأمور، **فالحضارة** تؤنِّث الطباع، فلا رجولةَ تكون حينئذ، **فالذين** يواكبون ركب الحضارة الزائفة يكون عندهم تأنيثٌ للطباع، **وتَرَخٍّ** في الأعصاب، **وتقيّدُك** بخيوط الأوهام، **لكن** المجدُّون يصلون، **وأنت** لم تبرح مكانك.

ولعلكم سمعتم قصة الشاب مع العالم الذي جلس يعلم الناس من كتاب في الفقه أظنُّه زاد المستقنع، **فهذا الشاب** جلس يستمع إليه، **ثم غاب** حوالي عشرين سنة، **ثم رجع** فوجد الشيخ يشرح في نفس الكتاب، **لأنَّ** الشيخ كلّما انتهى من الشرح عاد مرّة أخرى، **فيأتي** طلاّب جدد، وهكذا.

فقال: (**يا شيخ أريد أن اسأل سؤالا**)، قال: (**تفضل**)، قال له: (**الناس وصلوا القمر، وأنت لا زلت في زاد المستقنع**)، قال: (**صدقت يا بني! الناس وصلوا القمر، وانا في زاد المستقنع، فأين وصلت أنت؟!**) فهو لا هنا، ولا هناك، نسأل الله السلامة.

فلذلك يصل المجدُّون لغاياتهم، وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنُّق والتحلِّي، والتزيُّنِ والتعطُّر وما شابه ذلك، وإن كان منها شيات ليست محرمة؛ كصفات معينة وهي ليست محرمة، هذا شيء طيّبٌ، لكنَّ المسألةَ هنا المغالاةُ في أي شيء تحوّلُه من شيء مشروعٍ مستحبٍّ إلى شيء مكروه، أو شيء محرم، فالسَمْتُ الحسن الصالح هو المهم وهو المطلوب.

---

(١) (حب) (٥٤٥٤).

والحلية في الظاهر كاللباس؛ عنوان على انتماء الشخص، لو وجدت إنسانا يلبس في رقبته صليبا هو نصرانيٌّ، ولو رأيت إنسانا لبس عنقه النجمة السداسية معروف أنه يهودي، وتجده لو مشى وسط المسلمين تعرفه، وإنسان في وسط لندن أو باريس يلبس عمامة على رأسه مطلقا لحيته، لابسا ثوبه، ماذا تقول عنه؟ مسلم من المسلمين، ففي كل مكان تجده بسمته وهيئته، وشيماه وحليته تدل على الإنسان.

لم نجد أبدا نصرانيا متحلِّيًا بلباس المسلمين، إلا إذا كان يقصد من ذلك -كاميرا خفية- إن صح التعبير، ويريد أمرا آخر، أما هكذا يتحلَّى به، ويتكبَّر أمام الناس به، ويكون هو لباسه ما أظن هذا موجودا، **لكن يا للأسف!** في بلاد المسلمين من يلبس لباس الإفرنج ويعتزُّ بذلك ويتفاخر، يلبسه كأنه الموضة والتماشي مع العصر وما شابه ذلك.

فاللباس عنوان على انتماء الشخص، وتحديد له، فكن حذراً في لباسك؛ لأنه يعبِّر لغيرك عن تقويمك، في الانتماء، وفي التكوين، وفي الذوق، **ولهذا قيل:** الحلية في الظاهر؛ الملابس الظاهرية، تدل على ميل في الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، **بل كيفية** اللبس تعطي للناظر التصنيف للابس، هذا الإنسان عندما تراه يلبس هذا اللباس، تقول عنده رصانة وتعقل، رجل رزين ثقيل، **ورجل آخر** عنده تمشيخ، **وهذا عالم** خصوصا عندما يلبس جبة وعمامة مثلا أو طربوشا، **هذا أصبح** لباسا خاصا بأهل العلم، إذا رأيته والله لو كان أهبلَ أو مجنونا، ورأيته يلبس الطربوش والجبة والعمامة تعتقد فيه من أول وهلة أنه عالم وشيخ، واللباس هو الذي دلَّك على هذا الشيء.

أو يدلُّ على الرهبنة، أو يدل التصابي وحبّ الظهور، تجده يلبس أشياء للصبيان -فيلبس الجينز-، ويحب أن يظهر أمام زملائه، فاللباس يدل على لابسه.

فخذ مِن اللباس ما يزينك لا ما يشينك، هذا هو الأصل، ولا يجعل فيك مقالا لقائل، ولا لمزا للامز، لذلك نقول في الأثر الوارد: **(رحم الله امرءا جب الغيبة عن نفسه).** (١) يعني لا يفعل شيئا يجعل الناس تتكلم في عِرضه.

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٤٢٦) ح (١٣٦٧). ولم يتكلم عليه.

وإذا تلاقَى مَلْبَسُك وكيفيَّةُ لُبْسِك بما يَلتَقِي مع شَرَفِ ما تَحْمِلُه من العِلْمِ الشرعيّ؛ كان أَدْعَى لتعظيمِك والانتفاعِ بعلْمِك، بل بحسن نيتك يكون قربة، فاللباس الذي تلبسه سيكون قربة لله عز وجل، حتى في اللباس، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق.

يقول عمر رضى الله تعالى عنه: (**أحبُّ إليَّ أن أنظر القارئ حال كونه أبيض الثياب**). (١) البياض خصوصا يوم الجمعة، والأمور التي تحتاج إلى مجالس ومحافل، البياض فيها أحب، مع عدم كراهة الألوان الأخرى ما لم تكن شهرة، **لماذا؟** قال: ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديهم من الحق، تصوَّر أنك لا تثق بإنسان وتتخذه هزؤا، وأمَرَك بشيء ولو حرام، ما تأخذ منه؛ لأنك تستهزئ به وتضحك عليه، **أما إنسان آخر** وقع في نفسك هيبة له تأخذ منه، وتسمع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه: (**كأسراب القطا**). (٢) فالقطا جمع قطاة، حذفت التاء فصارت جمعا، وهي طيور معروفة، فهؤلاء شبههم بالقطا؛ أي أنهم مجبولون على تشبُّه بعضهم ببعض، يعني كلُّ القطا نسخة واحدة في اللون، كله يشبه بعضه بعضا، وهكذا الناس يحبون التشبُّه، فيا ليتَ قلوبَنا كلَّها تحبُّ التشبُّه بالعلماء، بالصالحين، تتشبه بالصحابة إذا سمعت عنهم، كما يتشبه الطفل بوالديه، ويتشبه الشاب بمن هو أقوى منه.

لكن احذر من لباس التصابي، وهو الذي فيه الصبيانية، في صغر في السن، كذلك اللباس الإفرنجي، وهذا حكمه معروف، وليس معنى هذا أن تأتيَ بلباس مشوَّه، أو تأتي بلباس شهرة، تعرف بين الناس بهذا اللباس الجديد، الذي لم يألفه أحد، هذا الكلام والنهي عنه، ليس معناه أن تأتي بلباس في المقابل مناقض لهذا الأمر، وعليك الاقتصاد في لباس الشرع، **وهل الشرع حدد لنا لباسا معينا؟**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (**كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خُلَّتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ**). (٣)

---

(١) حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى الْقَارِئِ أَبْيَضَ الثِّيَابِ. (ط) (٢٦٤٥).

(٢) الاستقامة (٢/ ٢٥٥).

(٣) ذكره الْبُخَارِيُّ (٧/ ١٤٠) تعليقا، (ش) (٢٥٣٧٥)، انظر المشكاة (٤٣٨٠)، هداية الرواة (٤٣٠٦).

البس ما شئت، وكل ما شئت من غير إسراف ولا مخيلة، لا يكون فيه خيلاء، ولا يكون في اللباس والأكل إسراف وسرف، فعندك لباس المسلمين ليس واحدا، فلباس أهل الباكستان وأهل الهند يختلف عن لباس أهل الشام، وأهل مصر يختلف عن لباس المغرب، وما شابه ذلك.

وكله ما دام ساترا للعورة، للرجل والمرأة وليس شهرة فهذا لباس جائز إن شاء الله، لكن لا تخالف أهل بلدك، ونرى إخوانا لنا كثيرين من طلبة العلم من يلبس لباس الباكستان هنا، هذا ليس لباسا لنا، بل لباس الهند والباكستان والأفغان، والذي هو القميص الذي يصل إلى الركبتين، ثم السروال، أو السراويلات، يلبسها فهذا ليس من لباسنا نحن العرب.

لباس العرب الإزار والرداء، وهو لباس النبي صلى الله عليه وسلم، ولباس العرب الثوب وهو القميص، وما فوقه من رداء فوق القميص، وهي التي تسمى اليوم عباية، أو نسميها مشلح بتسمية أهل الخليج، والبشت وما شابه ذلك، وهذه زيادة وتسمى في اللغة دثور، **"ذهب أهل الدثور"**، يعني عندهم ملابس زائدة عن الملابس الداخلية، هذا هو لباسنا نحن العرب، فليت لنا تكون هذه الميزة، الطيبة الحسنة هي التي ننشرها للناس، لا نأخذ من أفعالنا، لكن ليس معنى ذلك أنه محرم ولا يجوز، أن يلبس العربي لباس الباكستاني وما شابه ذلك، ليس هذا هو الأصل، لكن تبقى لنا شخصيتنا ولنا هيئتنا وسمتنا نحن العرب.

وعليك أن تطلب الأدلة والدلائل إن أردت ذلك، ففي كتب السنة التي تسمى بالرقاق، فللبخاري رحمه الله كتابا سماه الرقاق، في صحيحه، الذي بلغت كتبه ونافت عن التسعين كتابا، ففيه حوالي ستة وتسعون كتابا منها كتاب الرقاق، يرقِّق القلوب، والزهد في الدنيا بأكملها.

ويشير إليك –يا طالب العلم– الشيخ بكر رحمه الله ويقول لك: لا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم ينبهون على هذا في كتب الرقاق والآداب واللباس، فيوجد كتب للرقاق، ويوجد كتب أيضا خاصة بالآداب، وكتب أيضا باللباس، فهذه ابحث عنها.

وعلينا أن نُعرِض عن مجالس اللغو وما أكثرها في زماننا، **في الزمان الماضي** مجلس اللغو كان بين واحد وواحد، أو واحد وجماعة، اليوم قد يكون مجلس اللغو وحده، قاعد على الفسبكة ودردشة وحده، هذا أحد مجالس اللغو، ويا ليته يهدي غيره، يقدم نصيحة، وإنما يفتح أمورا، نسأل الله أن يهدينا وإياكم، قد

تجر إلى الحرام، وقد يكون فيها اللعن والطعن والشتم، والسب، وقد لا يكون فائدة من ورائها، ساعات طوال، لا يوجد فيها أجر ولا ثواب، وقد يكون فيها الإثم والعقاب والعياذ بالله.

ونعرض عن الهيشات، كما ورد في الحديث: "... **وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ**". ([1])، وهيشات جمع هيشة، والهيشة هي اختلاط الأصوات واللغط، والكلام الفارغ، **واجتماع الناس** على أمر معين، دون أن يستمعوا إلى كلام واحد، **ويطلق على الهيشات** أيضا عندما يقتل اثنان أو قبيلتان، وتدخل بينهما قبيلة ثالثة، تريد أن تحجز وتفزع ويصير قتل، فهذا مرفوع العتب عنه، لكن هنا المقصود فيها اللغط، واللغط تحت الغلط، أو الغلط تحت اللغط، كثرة اللغط تأتي بالغلط، وهذا ينافي أدب العلم، وأدب الطالب، إذا وجدت مثل هذه الأمور في مجلس ما فلا تدخل نفسك فيه، والأولى أن تنسحب منه، وإلا يبتعدوا عن هذا اللغط.

واستحضر لنا هنا لطيفة من اللطائف، ذكر صاحب (**الوسيط في أدباء شنقيط**)، وشنقيط عندهم من العلوم والحفظ وما شابه ذلك الشيء الكثير، وله طعام معين وبرنامج معين للحفظ، يأكل شيئا يختلف عن اليوم التالي، ويزداد هذا الشيء أو يقل بحسب كثرة الحفظ أو قلته، وأنا لا أعرفه بالضبط، ولكن هذا الأمر موجود عندهم بالتفصيل، وعنه معجم المعاجم: (**وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكَّموا عالماً، فاستظهر قتلَ أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، أربعة بأربعة، وصدر الحكم بذلك،** فقال الشيخ باب بن أحمد –هكذا اسمه-: مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب، فقال: بل لم يخل منه كتاب، فقال القاضي: هذا القاموس، أي القاموس المحيط في اللغة العربية، فهو يريد كتابا وليست فيه هذه الأحكام، يعنى أنه يدخل في عموم كتاب –فتناول صاحب الترجمة القاموس، وأول ما وقع نظره عليه: والهيشة الفتنة، والهيشة أم حبين تدل على دابة، وليس في الهيشات قود. حتى في كتب اللغة جاءوا بها، أي: في القتيل في الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج.

ومنها التحلي بالرفق، قال المؤلف رحمه الله:

[(١٣) التحلي بالرفق

([1]) (م) ١٢٣- (٤٣٢)

التزم الرفق في القول، **مجتنباً** الكلمة الجافية، **فإن** الخطاب اللَّيِّن يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة.

(١٤) التأمُّل

التحلِّي بالتأمل، فإن من تأمل أدرك، وقيل: تأمَّلْ تدرك.

وعليه، فتأمل عند التكلم: **بماذا تتكلم؟ وما هي عائدته؟** وتحرز في العبارة والأداء دون تعنت أو تحذلق، **وتأمل** عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، **وتأمل** عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين؟ وهكذا.

(١٥) الثبات والتثبُّت

تحلَّ بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من ثبت نبت].

=أيضا يحتاج طالب العلم إلى أن يتحلَّى بالرفق واللين، فطالب العلم العصبي، كما يقولون في اللغة: النزق، الذي يقولون عنه: روحه في أنفه، وهذا لا يتحمَّل أحدا، هذا لا بركة في علمه، ولن يستفيد من طلبه، لابد من الترفق في طلب العلم، والترفُّق مع الآخرين، لذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان منهم رعاة أغنام، ليتعلموا الصبر والمصابرة والرفق؛ لأن الدابة من نعجة وماعز إذا غضبت عليها وضربتها قتلتها، وإذا غضبتَ ستقتل جميعَ الأغنام، فتتريث، فهذا يربي عندك الرفق، فقيادة الأغنام قبل قيادة الأنام، هكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: (**وَأَنْتَ؟!**) فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». (١)

(١) (خ) (٢٢٦٢).

ففي القولِ ترفُّق، وفي الفعل ترفُّق ولينٌ، كما ورد عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**". ([1])

وابتعد عن الكلمات الجافية التي تجلب العداوة من الآخرين، ترفَّق بكلِّ إنسان، بل وبالإنسان الذي يسبب لك الغضب، والحِدّة والخروجَ عن طورك -كما يقولون- هذا أولى بالرفق معه من غيره، ستكسبه إن شاء الله، والنية في ترفُّقك هذا ليس عن ذِلَّة منك، عندك لسان -كما يقولون- بشعبتين، تستطيع أن ترد الصاعَ بصاعين، لكن اترك ذلك كلَّه طلبا لرضا الله عز وجل: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**. (آل عمران: ١٣٤)

فالخطاب اللَّيِّن يتألَّف النفوسَ الناشزة، **وأما الخطاب الشديد** فينفِّر النفوسَ حتى المقبلة، وأثناء ذلك، قبل طلب العلم، **وبعده عليك** بالتأمُّل والتدبُّر والتفكُّر، تأمّل تدرك، **يعني تريد** أن تسأل سؤالا، إذا كان فيه فائدة فلا مانع.

لكن إذا كانت النية أن تظهرَ نفسَك، **وتبيِّنَ** أنك تفهمُ هذا السؤال **وتفقهُه** وتعرفُه، فلا داعي له.

ولو دخلت عليك نية أخرى؛ حتى تعلِّمَ الناس وتفهِّمهم فهذه لا داعي لها، فلا تسأل؛ لأن النية الأولى أفسدت ما بعد ذلك، كقطرة الخل، إذا جاءت في العسل، فالعسل لا يفسد إلا بالخل.

فلذلك تأمل تدرك، تأمّل عند التكلُّم، تأمّل عند السؤال، **تأمّل عند المحاورة**؛ هل هناك فائدة من ورائها؟ هل هناك خير من وراء عرض هذه الكلمة، وهذا السؤال؟

وتحرز في العبارة والأداء، عندك عبارتان أو ثلاث أو أربع، وكلٌّ واحدة تؤدِّي الطلب، وتؤدي الهدف منك أنت، فلا تختر العبارة التي فيها إثارة للنفوس، واشمئزاز للقلوب، اختر أيسرَها وأبعدها عن فهم السوء، فإذا وجدت عبارة تحتمل وجهين، حاول أن تأتي بعبارة أخرى لا تحتمل إلا الوجه الذي تريده أنت، لئلا تحسب عليك مثل هذه الأمور، **فإذا وصلت** إلى هذا الأمر فتثبَّت من أقوالك وأفعالك، تثبَّت من

([1]) (م) ٧٨- (٢٥٩٤).

أحوالك، ومن الطريق الذي تسلكه في هذا الأمر، خصوصا إذا كان صعوبات وملمّات ومهمّات، وهناك فتن، فتثبَّت.

الحمد لله اليوم انتشرت الفتن وعمَّت وطَمَّت، فقبل أن تنظر في الفتنة لتحكم عليها، **فمن أنت حتى تحكم هذا أولا؟**

ثانيا: الحكم هذا ماذا تكون نتيجته؟

ثالثا: أنت كما حكمت، فالله سبحانه وتعالى سيحاسبك على حكمك، إن حكمت في الفتنة الفلانية بأنها على خير وأيدتها، وكانت على غير ذلك، كانت على سوء، فأنت حينئذ تنال من السوء ما ينال أصحاب الفتنة.

وإن كانت على خير هي، وأنت ظننت فيها السوء، وفي أصحابها السوء وهي على خير، مالك إلا حسب نيتك، فلذلك حذار أن تكون هناك حادثة في المشرق والمغرب لا دخل لك فيها، فتأخذ من أوزارها، وتأخذ من إثمها؛ بالتأييد والرضا وما شابه ذلك، إذا كانت مخالفةً لأمر الله، فتحرَّ وتثبَّت حتى تأتيَ بالشيء الطيب الذي يعود عليك، ولا تكن أنت متسرعا في الأحكام؛ لأن من ثبتَ نبت، فالذي يتثبت ويثبت ينبت وينمو ويزيد، وتجعل له البركة.=

قال المؤلف رحمه الله:

[الفصل الثاني: كيفية الطلب والتلقي

كيفية الطلب ومراتبه:

من لم يتقن الأصول، حرم الوصول، ومن رام العلم جملة، ذهب عنه جملة، وقيل أيضاً: ازدحام العلم في السمع مضلّة الفهم.

وعليه؛ فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فنٍّ تطلبه، بضبطِ أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وخذ الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى**

مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}. (الإسراء: ١٠٦)، وقال تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}**. (الفرقان: ٣٢)، وقال تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...}**. (البقرة: ١٢١).

فأمامك أمورٌ لابد من مراعاتها في كلِّ فنٍّ تطلبه:

أولا: حفظُ مختصرٍ فيه.

ثانيا: ضبطه على شيخٍ متقن.

ثالثا: عدم الاشتغال بالمطوَّلات، وتفاريق المصنفات، قبل الضبط والإتقان لأصله.

رابعا: لا تنتقل من مختصرٍ إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

خامسا: اقتناصُ الفوائد والضوابط العلمية.

سادسا: جمع النفس للطلب والترقِّي فيه، والاهتمامُ والتحرُّق للتحصيل، **والبلوغُ** إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطوَّلات بسابلة موثقة.

وكان من رأي ابن العربي المالكي رحمه الله تعالى؛ أن لا يخلِطَ الطالب في التعليم بين عِلْمين، وأن يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن.

لكن تعقَّبَه ابنُ خلدون رحمه الله تعالى؛ بأنَّ العوائدَ لا تساعد على هذا، وأن المقدَّمَ هو دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ؛ صعب جبره.

أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر؛ فهذا يختلف باختلاف المتعلِّمين في الفهم والنشاط.

وكان من أهل العلم من يدرس الفقه الحنبلي في "**زاد المستنقع**" للمبتدئين، و "**المقنع**" لمن بعدهم للخلاف المذهبي، ثم "**المغني**" للخلاف العالي، ولا يسمح بالطبقة الأولى أن تجلس في درس الثانية... وهكذا؛ دفعاً للتشويش].

=**هذا هو الفصل الثاني أيضا في أدب طالب العلم**، وهذا الفصل مخصَّصٌ في كيفية الطلب، وكيفيةِ التلقي، ويبدأ بالمراتب، فيقول: **المراتب أن تأخذ الأصول**؛ لأن من لم يتقن الأصول حرم الوصول، الأصول هي الكتاب والسنة، هذان الأصلان اللذان سماهما الله عز وجل حبل، **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...}**. (آل عمران: ١٠٣)، يعني الكتاب والسنة، فلذلك إذا جئت بالأصول وأخذتها وصلت إلى ما تريد.

بعكس إنسان آخر، أراد أن يأخذ من النهايات والفروع وفروعها، ويبتعد عن الأصول، فهذا لا يصل، فمن رام العلم جملة، ذهب عنه جملة، يريد كلَّ شيء مرة واحدة، **ورأينا أناسا كثيرين عاشرونا وعاشرناهم**، أرادوا ان يأخذوا الإسلام جملة فخرجوا جملة، **ليس** خرجوا من الإسلام، **ولكن** تركوا التسنن والتمسك بالسنة والمنهاج، **فازدحام** العلم في السمع مضلَّة الفهم.

تصوّر أني أنا أتكلم في أدب طالب العلم، والآن شيخ آخر يُسْمِعُكم القرآن، وآخر حديث، وآخر سيرة، في آن واحد، ماذا يحدث؟ يتشوش تفكير الإنسان عند مزاحمة السماع، فالله سبحانه وتعالى قال: **{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}**. (الأحزاب: ٤)

فلذلك تجدُ بعضَ الناس وضع سماعاتٍ في أذنيه، **وقد فتح التلفاز** على فضائية القرآن الكريم من السعودية – مكة المكرمة، **ويقرأ** من النت، **وفاتح** بعض الصفحات ويتابع الجميع، **فازدحام** العلم في السمع مضلَّة الفهم، هكذا يقول العلماء.

فلا بد من التأصيل والتأسيس لكلِّ فنٍّ تطلبه، **ولا تنتقل إلى** فنٍّ آخر حتى تتقنَ الفنَّ الأول، أو يغلب على ظنك أنك أتقنته، وكيف يكون ذلك؟

بأن تضبط أصلَه على شيخ متقن، واحد يقرأ القرآن وحده يمكن أن تكثرَ أخطاؤه، **لكن كم أخطاؤه بالنسبة لإنسان آخر جلس عند عالم؟**

هذا أخذ القرآن مباشرة قراءة، يقرأ وحده، لا أحد يرده إن أخطأ.

لكن ذاك جلس عند عالم، عالمٍ بالقرآن والحفظ والحروف، عالمٍ بالقراءات وعالمٍ بالتجويد، شتان ما بين الاثنين، شتان بين من يقرأ (الم)، و (كهيعص)، وبين إنسان يقرأها بدون مدِّ حروفها، لكن هكذا تعلمها كما في الصف الأول الابتدائي، يهجيها ثم يقرأها مرة واحدة.

معلِّمةٌ في الاعدادية تقرأها للمعلمات (**كَهَيْعَصْ**)، وطفلةٌ صغيرةٌ تردُّها وتقول لها: ليس هكذا يا معلمتي، وقرأتها بالمد، فلأن المعلمة لم تأخذ العلم عن أهله.

كذلك لو بحثت هذا الأصل تأخذ مختصره، وتقرأه على شيخ، وهذا الشيخ يكون متقنا، لا أن تأتي لصاحب لك، وتقول عنه: هذا هو الشيخ الذي علمني، فلابد أن يكون متقنا في هذا العلم.

أما التحصيل الذاتي وحده فلا ينفع، من كان علمه من كتابه فخطؤه أكثرُ من صوابه، خذه كلَّه بالتدرُّج، إذا كان القرآن لم ينزل من السماء دفعة واحدة، **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}**. (الإسراء: ١٠٦)؛ أي نزل مفرقا منجَّمًا، **حسب** المناسبات، **وإلى** السماء الدنيا نزل دفعة واحدة، لكنه نُزِّلَ على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وعشرين عاما.

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتقبَّله في يوم واحد، قادر سبحانه، لكن حتى نتعلَّم نحن، بالتدرج، **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}**، تمهل وتريث، **{ونزلناه تنزيلاً}**، فالكفار اعترضوا، **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}**. (الفرقان: ٣٢)، **يظنون** أنه معلَّقة من المعلَّقات، **يريدون** أن يقرؤوه مرة واحدة؛ لا بل تحتاج وتحتاج، بل مات كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، قبل إتمام نزول القرآن، منهم حمزة عمُّ النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، في السنة الثانية من الهجرة، وغيره كثير ممن مات من الصحابة منهم سبعون صحابيا في غزوة أحد، ولم يتم نزول القرآن، في بداياته.

إذن أمامك أمور لابد من مراعاتها، فمنها أن تحفظَ مختصرا في هذا العلم الذي تريده، فمثلا تريد النحو، **فمختصرا** يكون في النحو، **تريد الفقه** مختصرا في الفقه، وركِّز عليه، ثم تنتقل إلى غيره، **وتضبطه** على شيخ متقن، ولا تشتغل بالمطوَّلات، **ومطولات الكتب** التي تفصِّل وتفسِّر، وتوضِّح وتشرح، وتطوِّل

في المسألة الواحدة، فهذه المسألة تأتي فيما بعد، فابتداء طلب العلم يختلف عن وسطه، يختلف عن ما بعد ذلك، كالابتدائي والاعدادي والثانوي والجامعي..

ولا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، **وعليك** أن تقتنص الفوائد، يعني إذا مررت بشيء أعجبك احتفظ به عندك في كُنَّاشة، =الكُنّاشَةُ، لأَوْرَاقٍ تُجْعَل كالدَّفْتَرِ يُقَيَّدُ فِيهَا الفَوَائِدُ والشَّوَارِدُ للضَّبْطِ. (١)=

والكناشة هي التي نسميها الكشكول، وهو دفتر صغير تكتب فيه كلَّ شيء، هذه المعلومات تحتاجها في يوم ما، وعندي من خطِّي ما كنت كتبته من كلام المشايخ الذين كانوا يشرحون لنا الدروس، وكنت أكتب فعندي حتى الآن دفاتر من الدفاتر التي اشتريتها من بلاد الحجاز، في ذلك الزمن، قبل ثلاثين عاما أي منذ سنة (١٤٠٠ من الهجرة أو ١٣٩٩هـ)، أول سنة وصلنا فيها هناك، وهذه موجودة حتى الآن والحمد لله، فلذلك هذه أمور لابد منها.

وصدق من قال: (**العلم صيد، الكتابة قَيْد، فقَيِّد صيودك بالحبال الواثقة**)، وعليك أن تجمع النفس للطلب والترقي فيه، بأن تبقى عندك الهمة، وأن تهتمَّ بهذا الشيء **وتترقى فيه**، وتأخذ منه قدر ما تستطيع، **وتهتمَّ** لذلك كلمة التحرُّق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطوَّلات بسابلة موثقة، بعد أن تصل إلى هذا الشيء تنتقل إلى المطوَّلات كما سنعلم.

ابن العربي المالكي وأظنه عاش في القرن الخامس أو السادس الهجري توفي عام (٥٤٣هـ) يقول رحمه الله: **لا يخلط الطالب في التعليم بين علمين**، وأن يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، يبدأ بالنحو واللغة، ويبدأ بالشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن.

لذلك جاء رجل إلى أحد المحدثين قال (**حدثني**)، قال: (**هل قرأت النحو؟**) قال: (**لا!**) فقال له: (**اذهب فاقرأ النحو**)، فغاب عاما ورجع، قال: (**قرأت النحو**)، ومعناه أنه لا تعجزه كلمة يعربها ويقرؤها من شدة تمكنه، قال: (**هل قرأت الحساب؟**) قال: (**لا!**) قال: (**اذهب فاقرأ الحساب**)، قال: (**قرأت القرآن؟**) قال: (**لا!**) قال: (**اذهب فاقرأ القرآن**)، فلما جاءه في السنة التي تليها، قال: (**قرأته**)، قال:

(١) تاج العروس (١٧/ ٣٦٩).

(**إذن اجلس أعلمك الحديث**)، فكأنها مسألة ابتدائي واعدادي وثانوي، ليس بهذا التصنيف الذي عندنا، لكن يشبهه.

لكنْ؛ هناك تعقُّب من ابن خلدون رحمه الله في هذه المسألة فجعلها حسب العوائد، حسب تعوُّدات الناس، والمقدَّم هو دراسة القرآن الكريم وحفظُه؛ منذ الطفولة وحتى ولو لم يمشِ على رجليه.

أمس في برنامج في الشيشان مسابقة على حفظ القرآن الكريم، طفل من الأطفال الذين لا يفقهون من العربية شيئا، لكنه يجيد القرآن بأحكامه، طفل في السادسة أو السابعة الخطأ مني، يقرؤه دون تلعثم، يمكن أنا أن أتلعثم، وهو لا يتلعثم، ولو سألتَه معنى كذا لا يعرف، تلقٍّ ثم بعد ذلك يكون التعلم، وهذا شيء طيّبٌ؛ لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فما ينبغي أن تخلط علمين فأكثر؛ لكن هذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط، إدراك وفهم هذا الفن من العلوم ثم انتقل إلى غيرها.

وكان من أهل العلم من يدرس الفقه الحنبلي يعني أن ذلك في بلاد الحجاز في "**زاد المستنقع**" هذا للمبتدئين، وهو عبارة عن كتيب، وأعلى منه "**المقنع**" لمن بعدهم لوجود الخلاف المذهبي، قالت الحنابلة، قالت الأحناف، قالت الشافعية، ثم "**المغني**" للخلاف العالي، ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس عند الطبقة الثانية خشية التشويش.

أذكر هنا قول شيخنا الشيخ عبد الفتاح سلامة رحمه الله تعالى؛ أنه قال لنا: جاءني شاب، فقال: (**يا شيخ! انصحني بكتاب اقرأه**)، والظاهر أن الطالب في ذهنه كتاب معين، ولكنه في حاجة إلى إذن من الشيخ، فقال: (**اقرأ يا بني كتاب رياض الصالحين**)، قال: (**يا شيخ وصحيح مسلم؟!**)، قال الشيخ: (**يا بني! اقرأ كتاب رياض الصالحين**)، ذهب وعاد بعد مدة، وقال يا شيخ: (**هُوَّ في صحيح مسلم أحاديث مختلفة ومتعارضة؟!**)، قال: (**يا بني قلت لك: اقرأ كتاب رياض الصالحين**).

يعني ما وصل إلى أن يقرأ في صحيح مسلم، ويعارض الأحاديث ويضربها ببعض، شابٌّ ما عنده خلفية في هذه الأمور، فلابد من الترقي في العلم، ويأخذ الدرجات على أصولها.

قال المؤلف رحمه الله: **[واعلم أن ذكرَ المختصرات والمطولات** التي يؤسَّس عليها الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالباً من قُطْر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القُطر من إتقان هذا المختصر، والتمرس فيه دون غيره.

والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم، **وقوة الاستعداد** وضعفه، وبرودة الذهن وتوقُّدِه، وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب، والأخذ بحفظ القرآن الكريم، يمرُّ بمراحلَ ثلاثٍ لدى المشايخ في دروس المساجد: للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين.

ففي التوحيد: "**ثلاثة الأصول وأدلتُها**"، و "**القواعد الأربع**"، ثم "**كشف الشبهات**"، ثم "**كتاب التوحيد**"؛ أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، هذا في توحيد العبادة.

وفي توحيد الأسماء والصفات: "**العقيدة الواسطيه**"، ثم "**الحموية**"، و "**التدمرية**"؛ ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فـ "**الطحاوية**" مع "شرحها". =لابن أبي العز الحنفي=.

وفي النحو: "**الأجرومية**"، ثم "**ملحة الإعراب**" للحريري، ثم "**قطر الندى**" لابن هشام، **وألفية ابن مالك** مع شرحها لابن عقيل.

وفي الحديث: "**الأربعين**" للنووي، ثم "**عمدة الأحكام**" للمقدسي، ثم "**بلوغ المرام**" لابن حجر، و "**المنتقى**" للمجد ابن تيمية؛ رحمهم الله تعالى، فالدخول في قراءة الأمهات الست وغيرِها.

وفي المصطلح: "**نخبة الفكر**" لابن حجر، ثم "**ألفية العراقي**" رحمه الله تعالى.

وفي الفقه مثلاً: "**آداب المشي إلى الصلاة**" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم "**زاد المستنقع**" للحجاوي رحمه الله تعالى، أو "**عمدة الفقه**"، ثم "**المقنع**" للخلاف المذهبي، و "**المغنى**" للخلاف العالي؛ ثلاثتها لابن قدامه رحمه الله تعالى.

وفي أصول الفقه: "**الورقات**" للجويني رحمه الله تعالى، ثم "**روضة الناظر**" لابن قدامه رحمه الله تعالى.

وفي الفرائض: "**الرحبية**"، و ثم مع شروحها، و "**الفوائد الجلية**".

وفي التفسير: "**تفسير ابن كثير**" رحمه الله تعالى.

وفي أصول التفسير: "**المقدمة**" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وفي السيرة النبوية: "**مختصرها**" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفيه "**زاد المعاد**" لابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها، وكـ "**المعلقات السبع**"، والقراءة في "**القاموس**" للفيروز آبادي رحمه الله تعالى... وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطوَّلات؛ مثل **تاريخ ابن جرير، وابن كثير**، وتفسيرهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمة الدعوة وفتاواهم، لاسيما محرراتهم في الاعتقاد.

وهكذا كانت الأوقات عامرةً في الطلب، ومجالس العلم، فبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تعقد الدروس، وكانوا في أدبٍ جمٍّ، وتقديرٍ بعزة نفس من الطرفين، على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولذلك أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمعٌ غفير، والحمد لله رب العالمين].

هذا المقطع لا يحتاج إلى شرح كثير، فهو مكتوب بين أيديكم بذكر أسماء الكتب، وكأنه جعل لك برنامجا تمشي وتسير عليه، وذكر لك بعضا من الكتب التي ينصحك بقراءتها شيئا فشيئا، ولا تنتقل إلى ما بعده، حتى تتقن ما أخذته أولا، فهذه المختصرات والمطوَّلات عليها وعلى مثلها يكون طلب العلم والتلقي لدى المشايخ، لكنها تختلف من قُطْر إلى قطر، فالقُطر بالضم البلد والطيب، وبالفتح المطر والغيث، وبالكسر النحاس السائل الذائب.

ففي مثلث قطرب قال:

كالَقطر جُودُ كفِّه *** والقِطرُ سيلُ حتفه

والقُطر ماء أنفه *** وخدُّه للذهب

شرحه بالنظم:

القَطْرُ غَيْثٌ سَاكِبُ *** وَالقِطْرُ صُفْرٌ ذَائِبُ

وَالقُطْرُ عُودٌ جَالِبُ *** مِنْ عِدَّةٍ فِي المرْكَبِ

وفي كتاب (**التحفة القلبية، في بعض المثلثات اللغوية**) للشيخ: موسى بن محمد القليبي المالكي قال:

وجَمْعُ قَطْرَةٍ يُسَمَّى القَطْرُ *** ثمَّ النُّحاسُ إذْ يُذابُ القِطْرُ

وجانِبُ الأرْضِ يُسَمَّى القُطْرُ ***كمِصْرَ والشَّامِ فِي البُلْدانِ

وهذا مذكور في كتاب اسمه (**التحفة القلبية في بعض المثلثات اللغوية**)، ومثلث معناه كلمة واحدة لكن تختلف المعاني باختلاف الحركات على الحرف الأول فقط، في الشكل فتحة أو ضمة أو كسرة.

والحال هنا تختلف من طالب إلى طالب باختلاف القرائح والفهوم، والصدور وانشراحها وإقبالها، وقوة الاستعداد وضعفه، وكذلك برود الذهن وقوته وتوقده، والطلب كان في بلاد الحجاز بعد مرحلة الكتاتيب، فالطفل وهو صغير يلتحق بالكُتَّاب عند شيخ، ويبقى ملتحقا عنده، يحفظه أول ما يحفظه الفاتحة، والتشهد ويحفظه الصلاة، ثم بعدها يحفظه من الجزء الثلاثين، من جزء عم، قصار السور، ثم يترقى به شيئا فشيئا، حتى يصل إلى العاشرة أو التاسعة، ويكون قد حفظ كتاب الله كاملا.

ويتلقّى مع ذلك بعض الآداب وما شابه ذلك، ثم إذا انتهى من مرحلة الكُتَّاب في التوحيد، ويعطونه الكتب التي ذكرت، ثم توحيد الأسماء والصفات، والنحو، وفي الحديث والمصطلح والفقه، وأصول الفقه الفرائض، والتفسير وأصول التفسير، والسيرة ولسان العرب، أي اللغة، وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

بعد أن ينتهوا من مثل هذه الأمور يتفرغون للمطوَّلات، مثل تفسير ابن كثير، تفسير ابن جرير الطبري، تاريخ ابن كثير وهو البداية والنهاية، وتاريخ ابن جرير الطبري، نضرب أمثلة، وهناك كتب أخرى كثيرة في التفسير وغيرها، لكن وضع لك طريقا إن أردت أن تسير عليها.

سمعتُ بعض من سجنتْهم اليهود؛ أخبرني أنه قرأ تاريخ البداية والنهاية في سبعة أيام، وهو عبارة عن سبعة مجلدات، فيها أربعة عشر جزءا، قرأها في أسبوع كاملا؛ لأنه لا شيء عنده، فهو في فراغ، فبدل أن يتكلم ويضيع وقته، يقرأ ويتصفح، ونحن الآن نضيع أوقاتا كثيرة جدًّا، لكن على غير فائدة، وكذلك بقية الكتب.

وقد كانت أوقاتهم عامرةً في الطلب، كيف كانت أوقاتهم؟

من بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، وارتفاع الضحى يكون قبيل الظهر، وهذه استراحة، ثم ينام نوم القيلولة، وهي قبيل صلاة الظهر، ونحن جعلناها اليوم بعد الظهر، أخرنا كل شيء عندنا.

فقول الصحابة رضي الله تعالى عنهم: **(ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة)**. (1) يقولونها للتعجب، أي أنهم يتهمون أنفسهم أنهم أخروها كثيرا، والغداء هو الذي نسميه طعام الإفطار، اليوم أخرناه إلى بعد صلاة الجمعة.

فلذلك القيلولة هي التي تكون قبل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس إذا انتهوا من الصلاة يجلسون، يبدأ التدريس والعلم، وكانوا في أدبٍ جمٍّ، وتقديرٍ بعزة نفس من الطرفين، وهما الملقي والمتلقي، العالم والمتعلم، الشيخ والمتمشيخ إن صح التعبير، ولذلك أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمعٌ غفير، والحمد لله رب العالمين.

قال المؤلف رحمه الله: [**فهل من عودةٍ إلى أصالةِ الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة،** لا على المذكَّرات، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم! وفي خلوِّ التلقين من الزغل والشوائب والكدر، سيرٌ على منهاج السلف، والله المستعان.

وقال الحافظ عثمان بن خُرَّزاد (م سنة ٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى: **(يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عدمت واحدة؛ فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه)**.

---

(1) (خ) (٩٣٨).

قلت: -**أي الذهبي**-: الأمانة جزء من الدين، **والضبط** داخل في الحذق، **فالذي** يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياًّ، ذكياًّ، نحوياًّ، لغوياًّ، زكياًّ، حيياًّ، **سلفياًّ** يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، **ويحصل** من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد، **وأن** لا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة، **وتواضع**، وإلا فلا يتعنَّ]. أهـ.

هنا نداء أو طلب استغاثة، **فهل** من عودةٍ إلى أصالةِ الطلب، **اليوم** كلها صارت أكاديميات والمدرسة أو الجامعة صارت همٌّ على قلب الطالب، بل وقلب الوالد.

أحدُ الطلبة جاء ليأخذ شهادة الثانوية، وإذا به راسب، فاستحيا من والده ماذا يقول؟ **كيف** إخوانه جميعا في الجامعات يتعلمون؟ **وهو** رجع راسبا، فكان يختبئ من والده، في النهاية اصطدم بوالده، فقال له: (**ما هي نتيجتك؟**) قال له: (**راسب**)، قال له: (**تعال اقبلك بين عينيك، يكفينا نفقات إخوانك في الجامعات**)، هو ظنّ أنّ والده سيضربه، لكنّ والده فكر في أمر آخر، حتى الوالد أصبحت مهموما، نسأل الله السلامة.

ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم، **هناك أُناسٌ** وصلوا الجامعة لا يحسن كتابة اسمه، مثلا اسمه (**حسن**)، يحتاج في خط الرقعة أن يطول السين قليلا، فيكتبها (**حن**) مباشرة، نسأل الله السلامة.

كذلك خلوِّ التلقين؛ هذه الأمور فيها من الزغل والشوائب والكدر، وتعطِّل وتؤخِّر عن السير على منهاج السلف الصالح.

الإمام الحافظ عثمان بن خُرَّزاد المتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين يقول: (**صاحب الحديث الذي يطلب هذا العلم يحتاج إلى خمس، فإن عدمت واحدة؛ فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد**)، فواحد أهبل ناقص العقل لا ينفع، مجنون أو سفيه.

ويحتاج إلى (دين)، فبلا دين **ماذا يفعل الإنسان؟** الذي لا يحمل دينا ينفع في العلم الآخر، علم الدنيا فلا تحتاج فيه إلى دين، علم الصناعات والآلات، أما هذا العلم يحتاج إلى دين.

ويحتاج إلى (ضبط)، يعني ذاكرته ما شاء الله تحفظ وتضبط، يعني تأخذ الكلمة كما هي، وتلقيها كما هي، وتحفظها كما هي، **وتحتاج إلى (حذاقة)** بالصناعة يكون عنده فطنة وموهبة في هذا العلم الذي يريده.

(مع أمانة تعرف منه)، فالأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق والفهم، والذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً، وذكياً، نحوياً.

النحو –يا إخواننا– خصوصا الدعاة في المساجد وعلى المنابر، بأي طريق كان، **فالداعي** إلى الله سبحانه يجب عليه أن يتعلم النحو، ولو بأن يتوسّل للناس الذين عندهم هذا العلم أن يعطوه شيئا من وقتهم؛ لأنه لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لسان أهل الجنة، لسان المسلمين الذي ضاع في هذا الزمان إلا من رحم الله!!

فليكن طالب العلم لغوياًّ، زكياًّ، حيياًّ، سلفياًّ، يعني يحب انتهاج المنهج، منهج الصحابة والتابعين، يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، لا تكتب على الآلة، بل تكتب بيدك، والمجلد عندهم كانوا يعتبرونه خمسين صفحة، ويحصل أي يكون عنده مكتبة من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد، هذا في عهدهم، اليوم ممكن أن يحصلها من دون أي تعب، يعني بنقود، أو مجانا، ما عليك إلا أن تقرأ، وتجعل جزءا من وقتك لهذا الأمر.

وعلى طالب العلم ألا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة، **وتواضع، والعجيب** أن عثمان بن خرّزاد يروي رواية، وهو **أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ الرَّازِيُّ ثِقَةٌ، مَشْهُورٌ، عَالِمٌ بِهَذَا الشَّأْنِ**، لَهُ رِحْلَتَانِ إِلَى الْعِرَاقِ، **وَارْتَحَلَ إِلَى الْحِجَازِ، وَإِلَى الشَّامِ**، رَوَى عَنْهُ الْكِبَارُ... **كَانَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ** لَا يَقُومُ لِأَحَدٍ وَلَا يُجْلِسُ أَحَدًا فِي مَكَانِهِ إِلَّا ابْنَ وَارَةَ...

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ خُرَّزَادٍ الْأَنْطَاكِيُّ: **سَمِعْتُ الشَّاذَكُونِيَّ** =وهذا عالم من العلماء= يَقُولُ: جَاءَنِي ابْنُ وَارَةَ، =وهذا هو أحد العلماء، **وكان الأوزاعي** إذا جاء ابن وارة ليجلس، **يقوم ويجلسه مكانه**، والأوزاعي متفنن في علم الرجال والحديث، **فكان** إذا جلس يجلس ابن وارة بجانبه، فكان ابن وارة= **يَتَقَعَّرُ فِي كَلَامِهِ**، =وله رحلتين في طلب الحديث، رحلة الشام، ورحلة إلى العراق=، فَقُلْتُ لَهُ: **(مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ؟)** =الشاذكوني السائل= قَالَ: **(مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ أَلَمْ يَأْتِك خَبَرِي؟ أَلَمْ تَسْمَعْ كَلَامِي؟ أَنَا ذُو الرِّحْلَتَيْنِ)** =فأراد

أن يعلمه= قُلْتُ: مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»؟ =هو يعلم أنه يعرفه، **ويعرف من رواه**؛ لأنه عالم، لكن عنده شيء من التعالي ويريد أن يعلمه= فَقَالَ:

(**حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا**) قُلْتُ: (**مَنْ أَصْحَابُكَ؟**) قَالَ: (**أَبُو نُعَيْمٍ، وَقَبِيصَةُ**)، =وهؤلاء من العلماء والمشايخ الكبار، قال:= **فَضَرَبْتُهُ بِالدِّرَّةِ خَمْسِينَ**، =أي بالعصا= وَقُلْتُ: **إِنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِي** يَقُولُ: (**حَدَّثَنِي بَعْضُ غِلْمَانِنَا**) =كان يقول: **أصحابنا عن المشايخ الكبار**، **فأنا أجلس أمامه** فيقول: بعض غلماننا فهذا من باب التأديب=]. (1)

وفي رواية عند ابن عدي: [قلت: (**من أصحابك**) قال: (**أبو نعيم وقبيصة**) قال: قلت: (**يا غلام! ائتني بالدَّبَّة**)، =وهي الآلة كالطبل قديما يضرب عليها، هذه التي تضرب الطبل، جاؤوا بها=. قال: (**فأتاني الغلام بالدبة**)، قال: (**فأمرته حتى ضربه الغلام خمسين**) =خمسين جلدة، حتى يتعلم وما يقول حدثني غلام=، فقلت له: (**أنت تخرج من عندي؛ ما آمن أن تقول: حدثني بعض غلماننا**)]. (2)

والله كلُّنا ضُربْنا في العلم، **وأنا ضُربت** ليس بعيب، **وأفتخر بذلك**، وعلى الوجه ضُربت، وإن كانت ممن درسنا العربية، أسأل الله أن يحفظه ويغفر له أين ما كان، **فالضرب للطلاب** ليس عيبا، بل يفخر الإنسان به؛ لأن فيه التأديب.

قال المؤلف رحمه الله:

[تلقي العلم عن الأشياخ

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمثافنة للأشياخ، =[**وثافَنْتُ الرجلَ** مُثافنةً أَي صاحَبْتُه لَا يَخْفَى عَلَيَّ شيءٌ مِنْ أَمره، وَذَلِكَ أَن تَصْحَبه حَتَّى تَعْلَمَ أَمرَه]. (3)=

---

(1) من الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (المتوفى: ٤٤٦هـ) (٢/ ٦٧٦)

(2) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٢٩٦)

(3) من اللسان.

والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، **والأول** من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المعلم، أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد، **فأنى له اتصال النسب؟**

وقد قيل: من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده؛ أي: **من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛** خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكلُّ صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم؛ إلا من شذ مثل: عليِّ بن رضوان المصريّ الطبيب (م سنة ٤٥٣هـ)، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمته له: **ولم يكن له شيخ**، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط. أهـ.

وقد بسط الصفدي في الوافي الرد عليه، وعند الزبيدي في شرح الإحياء عن عدد من العلماء معللين له بعدة علل؛ منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه:

السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم، **وهى معدومة عند المعلم**، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، **وذكر ألفاظ** مصطلح عليه في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة، كالنوروس، فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه.

قال الصفدي: **ولهذا قال العلماء**: لا تأخذ العلم عن صُحُفِي ولا من مصحفي، يعنى: لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف... أهـ.

والدليل الماديُّ القائم على بطلان نظرة ابن رضوان: أنك ترى آلافَ التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومرِّ الأعصار وتنوع المعارف، **مشحونة** بتسمية الشيوخ والتلاميذ، **ومستقل** من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في **العزاب** من **الإسفار** لراقمه.

وكان أبو حيان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥هـ) إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول: **أين شيوخه؟**

وقال الوليد: **كان الأوزاعي يقول**: كان هذا العلم كريماً يتلقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله، وروى مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي.

ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نَقْط ولا شَكل، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محرر. أهـ.

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا، كما في **المقدمة** له، ولبعضهم:

من لم يشافهْ عالماً بأصولِه *** فيقينُه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيراً ما ينشد:

يَظُنُّ الْغُمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إِذَا رُمْت الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْت عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْك حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الْحَكِيمِ]

=**هذا هو المقطع الأخير**، وبهذا يكون قد انتهى الفصل الثاني من حلية طالب العلم، وهو مقطع مهم جدا، يحثك فيه على التلقي عن المشايخ، عن العلماء الذين هم أهل لهذا العلم الذي تريده أنت، فابحث عن عالم في النحو، ليعلمك النحو، وابحث عن عالم في التفسير، لتتعلم التفسير، وابحث عن عالم في الفقه

ليعلمك الفقه، وهكذا، وبهذا الإنسان يستفيد استفادة كبيرة جدا، ولا يقع فيما وقع فيه غيره ممن قرأ من الكتب؛ لأن الطبيب الرضوان أخذ عن أبيه الذي كان طبيبا، أخذ الكتب من والده، وجلس فيها يقرأ وصار مقربا من الحكام والسلاطين في ذلك الزمان.

وأما توما الحكيم، أو توِّما ضبطها هكذا، لأنني بحثت عن ضبطها فما وجدته، فالحكيم كان يطلق على من؟ على الحكيم، وقد كانت تسمَّى العيادات سابقا بالحكمة، ويقولون: أريد أن أتحكم عند الحكيم في الحكمة، فهذا توما الحكيم وجد هذا الكتاب، فمن ضمن ما وجد حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"الحبة السوداء شفاء من كل داء"**، فالظاهر أن هناك نقطة تحت باء الحبة، فصارت حية، وجاءه إنسان فوصف له الحية، قال: ماذا أفعل بها؟ قال: احرقها ودقها ومن ثم ضعها في عينيك، فوضعها فعمي، فصار توما الحكيم يضرب به المثل: أضل من توما الحكيم.

ويشير بعضهم قال حمار الحكيم توِّما، حتى أنها مشكولة بتشديد الواو مع الكسر، لو أنصفوني لكنت أَرْكَب، لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركَّب، **هناك عقل!** لكن ذهب عنه، ويصبح جهل مركب.

ف[توما بن إِبْرَاهِيم الطَّبِيب الشوبكي، علم الدّين؛ كَانَ عَارِفًا بالطب، وَله اخْتِصَار مسَائِل حنين، وَكَانَ من أطباء السُّلْطَان، وَكَأَنَّهُ الَّذِي عناه من قَالَ: قَالَ حمَار الْحَكِيم توما.. مَاتَ فِي رَجَب سنة ٧٢٤ وَقد جَاوز السّبْعين]. (١)=

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) (٢/ ٧٥) رقم (١٤٢٧).

الفصل الثالث: أدب الطالب مع شيخه

عودا إلى بدء، **ونعود** إلى ما توقفنا عنده في نهاية الجلسة الماضية، **هي تلقي العلم عن الأشياخ**، **والأصل** في الطلب أن يكون بطريق التلقين، هذا هو الأصل، **حتى** الطفل الصغير ممكن أن يأخذ من أبيه **ومن** أمه، **ومن** أقرانه، **ومن** إخوانه ومن أخواته بالتلقين، **دون** كتب ودون دراسة، **فالأصل** في العلم التلقين، **والأخذ** من أفواه الرجال، **ويسمونه** مسألة نسب.

هناك أناس لقطاء في العلم، **وهناك** أناس نسباء، يعني نَسَبَ إليك ممن أخذ هذا الأمر، **فالأخذ** من أفواه الرجال، من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، **من هو النسيب الناطق؟**

إنه المعلم، لا من الصحف وبطون الكتب، فهو جماد، **فأنَّى له اتصال النسب؟**

فالعلم الذي يؤخذ من الجماد يكون نسبه مقطوعا، قد ينفعه القليل منه، لكن لا يرفعه، ينفعه ولا يرفعه.

وقد قيل: من دخل في العلم وحده؛ بدون معلم، خرج وحده، **فكلُّ** صنعة تحتاج إلى صانع، إذاً فلابد لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم؛ مسألة التلقي، **ويسمونها** تزاحم الركب عند الأشياخ والعلماء.

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة (علي بن رضوان المصري)، وهو طبيب، **يعني** ليس بعالم، **لكن** ذكروه في الكتب؛ لأنه قال كلمة تؤيد عدم الاكتراث بالكتب، للناس والعلماء؛ **لأنه** ورث عن أبيه كتب الطبّ، **فأخذها** وصار يطبِّب الناس، بدون معلم، دون أن يأخذ الطبّ عن أهله، فرد عليه العلماء.

قال الذهبي ([1]): (**ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب**)، يعني يدل الشباب، **ويدل** من أراد أن يتعلم من الكتب، (وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط). أهـ.

ورد عليه ابن بطلان؛ وهو [**المختار** بن الحسن بن عبدون الحكيم أبو الحسن الطبيب البغدادي، **المعروف** بابن بطلان، **طبيب** منطقي نصراني من أهل بغداد، قرأ عَلَى علماء زمانه من نصارى الكرخ، وَكَانَ مشوهَ الخِلقة غيرَ صبيحِها، كما شاء الله، وفضل فِي علم الأوائل يرتزق بصناعة الطب، وخرج عن بغداد إِلَى الجزيرة والموصل وديار بكر، ودخل حلب وأقام بِهَا مدة وَمَا حمدها، وخرج عنها إِلَى مصر وأقام بِهَا مدة قريبة، واجتمع فِيهَا بابن رضوان المصري الفيلسوف فِي وقته، وجرت بينهما منافرة أحدثتها المغالبة فِي المناظرة، وخرج ابن بطلان عن مصر مغضباً عَلَى ابن رضوان، وورد أنطاكية راجعاً عن مصر فأقام بِهَا، وَقَدْ سئم كثرة الأسفار، وضاق خطته عن معاشرة الأغمار، فغلب عَلَى خاطره الانقطاع، فنزل بعض ديرة أنطاكية، وترهب وانقطع إِلَى العبادة إِلَى أن توفي بِهَا، فِي شهور سنة أربع وأربعين وأربعمائة] (أخبار العلماء بأخيار الحكماء) لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) (ص: ٢٢٢)، قال في رده ابن رضوان.=

فابن بطلان رد على (علي بن رضوان المصري) ردودا مفحمة في نقاط عدة منها:

السادسة: لأن قبلها الرابعة والخامسة، والأولى والثانية والثالثة، **كلها** ردود عليه، وقد عاصره ابن بطلان، وكان فيلسوفا، وكان نصرانيا لكنه متطبب، **ويدخل** على ولاة المسلمين في ذلك الزمان بطبِّه وصناعته، كما نفعل اليوم في المستشفى الأوروبي وغيره، **فنأتي** بأطباء من الخارج من غير المسلمين، **فهذا** لا غضاضة فيه، **والانتفاع** بما عندهم من العلوم جائز.

لكن علم الشريعة والدين، والتوحيد والعقيدة، والآداب والأخلاق، لا تؤخذ من هؤلاء، وإنما تؤخذ من علماء المسلمين.

فهذا الإنسان طالب العلم الذي يأخذ من الكتاب، **الكتاب** فيه أشياء تصد عن العلم، **وهذه** معدومة عند المعلم، **وهي** موجودة في الكتب مباشرة منها: التصحيفُ العارض، يعني كتابة حرف غير

([1]) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٠٥) ترجمة رقم (٥٠) ابن رضوان.

منقوط، فينقطه، أو منقوطة فيحذف النقطة منه، أو يجعل النقطَ زائدا، **فبدل** أن تكون باء يجعلها تاء أو ثاء أو ياء، أو نونا، فلا يدري، **فهنا** يكون التصحيف، كذلك الغلط بزوغان البصر، **خصوصا** عندما يكون هناك قلَّة خبرةٍ بالإعراب، **يعني** الذي عنده العربية واللغة، تجده وهو يخطب أو يتكلم، أو يقرأ؛ كأنَّ هناك رقيبًا عليه من داخله يوجهه؛ هذه مرفوعة، هذه منصوبة، هذه مجزومة، فهو يتكلم فتأتيه الإعراباتُ تلقائية.

ولذلك خطأه -وكل إنسان غير معصوم- بخلاف خطأ الذي ليس عنده إعراب أصلا، **هذا** لا يعرف اللغة، تجده يتكلم، ويريد أن ينتهي؛ **لأنه** لا يعرف كسرةً هذا موضعها أو فتحة أو ضمة؟ **فهو** لا يأتي على باله.

كذلك يقرأ شيئا غير مكتوب، أو يكتب شيئا غير مقروء.

ومذهب صاحب الكتاب، لا ندري **هو كيف**؟ لا يُعرف مذهبه في المصطلحات وانتقائها.

وأحيانا النسخ تكون سقيمةً، والخطُّ رديئا، **وكذلك** القارئ قد يدمج مواضع المقاطع، **وهناك** خلط مبادئ التعليم، **وألفاظا** قد تكون في تلك الصناعة يونانية، أو إنجليزية أو عبرية، **لكن** بحروف عربية، **وذكر** منها كالنوروس، **لعلَّه** يقصد به النيروز، **عيد النيروز** الذي يكون عند الفرس في أوائل شهر نيسان.

هذه كلها وأمثالها معوقة عن العلم الصافي النقي، **واستراح** المتعلم من تكلُّفها عند قراءته على المعلِّم، **هذه** كلها تحمَّلها المعلم وأراحك منها، **وإذا كان الأمر** على هذه الصورة، **فالقراءة** على العلماء أجدى، **وأفضل** من قراءة الإنسان لنفسه، **وهو** ما أردنا بيانه.

وذكر قول العلماء: لا تأخذ العلم عن صُحُفِي ولا من مصحفي، **صُحُفي** بضم الصاد والحاء من الصحف، **أمّا الصحفي** من الصحيفة الواحدة أو من الصفحة، إنما هي صحفي نسبة إلى الصحف، ولا من مصحفي، وهو الذي يقرأ من المصحف ولم يكن له شيخ يقوّم لسانه.

ونحن أثناء الدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، **أيام الدراسة والطلب** كان موكَّل بنا شيخ أزهري يعلمنا القرآن؛ **لأنهم** -أي شيوخ الأزهر- يجيدون القراءة، **وبرعوا** في قراءة القرآن؛ **لأنهم** أخذوا ذلك عن مشايخهم، **ومشايخهم** عن مشايخهم، **ومن** كلماتهم أنهم يقولون:

نزل القرآن في مكة، **وحُفِظ** في تركيا، **وقرئ** في مصر؛ **لأن مصر** فيها قراءات عجيبة جدًّا، **فكان** المسئولون في الجامعة الإسلامية يستقطبون علماء أزاهرة يعلمون القرآن، **بألفاظه** وكلماته، **تقويما** للسان فقط، **ليس** بكل القراءات، **لكن** كيف تقرأ في كتاب الله عز وجل، **القراءة** التي تصحّ بها صلاتك، **وتأخذ** منها للتدبر والتفكر وما شابه ذلك.

ودلّلوا على ذلك على بطلان ما ذهب إليه ابن رضوان؛ **أنك** ترى في كتب المسلمين آلافَ التراجم والسير على اختلاف الأزمان، **ومرِّ** الأعصار وتنوع المعارف، مشحونة بتسمية الشيوخ، **فلان روى عن من؟** هؤلاء شيوخه، **روى عنه من؟** فهؤلاء تلاميذه، **أما يأتي** إنسان وليس له شيخ، **فهذا** لا يؤخذ منه في كتب الحديث، والجرح والتعديل، وكتب الرجال والرواة، لا يؤخذ من إنسان ليس له شيخ.

يقول محمد –وهو أبو حيان محمد يوسف الأندلسي المتوفى سنة خمس وأربعين بعد السبعمائة من الهجرة إذا ذكر عنده ابن مالك– يقول: أين شيوخه؟

وقال الوليد =وَهُوَ ابْنُ مُسْلِمٍ=: كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَقُولُ: **(كَانَ هَذَا الْعِلْمُ كَرِيمًا يَتَلَقَّاهُ الرِّجَالُ بَيْنَهُمْ)**، =العلم الكتاب والسنة، وأقوال العلماء والفقه= **(فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْكُتُبِ دَخَلَ فِيهِ غَيْرُ أَهْلِهِ)**. =المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٤١٠) رقم (٧٤١).=

ونَقَل إلينا الشيخ ياسين عن شيخه وشيخِنا الشيخ حمّاد الأنصاري رحمه الله –وكان قد عاش صغره وطلب علمه وشبابه، في بلاد موريتانيا وشنقيط أو مالي في جهة الغرب في المغرب–؛ أنه كان المشايخ إذا أمسكوا إنسانا معه موطأ الإمام مالك أخذوه منه وضربوه، ممنوع أن يقرأ الموطأ، اقرأ الموطأ على شيخك، **حتى يشهد لك بعد ذلك فتقرأ**؛ لأن كثيرا ممن يقرأ لا يفهم ما يقرأ، نسأل الله السلامة، **فكان** يضربون من يمتلك الكتب، **واليوم الكتب أين؟** تباع بسطات في الشوارع، هي والدخان سواء والترامال أيضا، فصارت بضاعة رخيصة، أيّ واحد يمسك كتابا يقرأ فيه.

والأخذ من الصحف وبالإجازة فيه خلل، **ولا سيما** في ذلك العصر، **حيث** لم يكن بعد نَقْط ولا شَكل، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، **ولا** يقع مثل هذا في أفواه الرجال، **وكذلك** التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محرر، **لابد** أن تجمع بين الكتاب الشيخ، **وهذا** الكلام من سير أعلام النبلاء.

ويذكر في التصحيف هذا؛ أنه رؤي رجل في مكة المكرمة أو في منى، رأوه –أكرمكم الله– يغسل خُصَى حمارِه، وهو في موسم الحج، في منى، فقالوا له: يا رجل، **ألا تستحي**؟ قال: لا، فهذا من السنة، أستغفر الله العظيم، **أين هذا**؟ فتح لهم كتابا من الكتب المغني أو غيره، **وقال اقرأ**: من السنة غسل خُصَى الحمار، **قال**: يا رجل ليست كذلك، وإنما هذه قالها بعض العلماء غسل حصى الجمار، نقطة من هنا وضعها هناك. (١)

ولا حول ولا قوة إلا بالله، **فانظر** إلى التصحيف ماذا يفعل، **هذا** أخذها من الكتاب مباشرة، **وليس** من السنة أيضا غسل هذه، **وإنما** قالها بعض العلماء.

لذلك يقولون:

من لم يشافهْ عالماً بأصولِه *** فيقينُه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيراً ما ينشد:

يَظُنُّ الْغُمْرُ (٢) أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إِذَا رُمْت الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْت عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْك حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُوِّمَا الْحَكِيمِ

(١) روى بعضهم أنّ بعضَ المغفّلين روى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كانَ يغسِل خُصى حِماره، وإنما هو يغسِل حصَى جِمارِه، بالحاء المهملة. من (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) للصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) (ص: ١٥).

(٢) **الغمر** هو قليل الطلب قليل العلم.

وندخل الآن في الفصل الثالث، قال الشيخ رحمه الله:

[الفصل الثالث: أدب الطالب مع شيخه

أولا: رعاية حرمة الشيخ:

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداء من الكتب، **بل لا بد** من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، **لتأمن** من العثار والزلل، **فعليك** إذاً بالتحلي برعاية حرمته، **فإن** ذلك عنوان النجاح والفلاح، والتحصيل والتوفيق، **فليكن** شيخك محلَّ إجلال منك وإكرام، **وتقدير** وتلطُّف، **فخذ** بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، **والتحدث** إليه، **وحسن** السؤال **والاستماع**، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، **وترك** التطاول والمماراة أمامه، **وعدم** التقدم عليه بكلام أو مسير، أو إكثار الكلام عنده، **أو مداخلته** في حديثه ودرسه بكلام منك، **أو الإلحاح** عليه في جواب، **متجنّباً** الإكثار من السؤال، **ولا سيما** مع شهود الملأ، **فإن** هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تناديه باسمه مجرداً، أو مع لقبه **كقولك**: يا شيخ فلان! **بل قل**: يا شيخي! **أو يا شيخنا!** فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، **ولا تخاطبه** بتاء الخطاب، **أو تناديه** من بعد من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم في قوله: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}**. (النور: ٦٣)، الآية.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: يا فلان، أو: يا والدي فلان، فلا يجمل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس، **وإظهار** السرور من الدرس والإفادة به.

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، **أو وهم** فلا يسقطه ذلك من عينك، **فإنه** سبب لحرمانك من علمه، **ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً؟**

واحذر أن تمارس معه ما يضجره، **ومنه** ما يسميه المولدون: حرب الأعصاب، **بمعنى**: امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمُّل.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، **فاستأذنه** بذلك؛ **فإنه** أدعى لحرمته، **وأملك** لقلبه في محبتك والعطف عليك، **إلى** آخر جملة من الأدب يعرفها بالطبع كلُّ موفَّق مبارك، **وفاءً** لحق شيخك في أبوته الدينية، أو ما تسميه بعض القوانين باسم الرضاع الأدبي، **وتسمية** بعض العلماء له الأبوة الدينية أليق، وتركه أنسب.

واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، **وبقدر** الفوت يكون من علامات الإخفاق].

الشرح:

علمنا فيما مضى أدبَ الطالب مع نفسه، **والآن** الكلام على أدب الطالب مع شيخه، **وهنا** لابد من رعاية الشيخ، **ليس** للشيخ بل للطالب، **حتى يستفيد؛** لأنه إذا وقع تنافر بين الشيخ وطالبه، **وتلميذه** وابنه الديني -إن صح التعبير-، **فإذا** حدثت نفرة فلن يستفيدَ الطالبُ من علم الشيخ، **وربما** يطرده الشيخ، ويحرمه من علمه، **فهنا** مفاتيح الطلب تغلق على هذا الطالب، **وتفتح** لطالب آخر لأنه رعى حرمة الشيخ، **ولذلك** يحصل هذا الطالب على الفلاح والنجاح.

لذلك الشيخ يجب أن يكون محلَّ إجلال وإكرام وتقدير وتلطّف، **وهذه تحتاج** إلى آداب عظيمة جدًّا من الطالب، **هذا** الأدب كالجلوس، **الأدب** في التحدث، في حسن السؤال، في الاستماع، **كذلك** تقليب الأوراق والصفحات للكتاب أمامه.

أمّا التطاول والمماراة فاتركها مطلقا، **واجتنب** الجدال الممل، **وكأنّ** بعض التلاميذ في رأسه فكرة أو حكم شرعي، **فهو** يريد من الشيخ أن يفتي به، وبما عنده، **كما** سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن مسألة فأجابه، **فجاء** بكلمات أخرى **وسؤال** يحمل نفس المعنى، **قال الشيخ:** أجبتك، كرر مرة أخرى بأسلوب آخر، **قال:** أجبتك، فعرف الشيخ أنه يريد شيئا آخر، **ويقول له:** هل تريد أن أفتيك بما في نفسك؟! علم منه ذلك الشيء، **فكرر** الإجابة عليه بأنه قد أجبتك.

وكثير من أمثال هؤلاء عندهم مماراة، **لا يريدون** رأي الشيخ أو علمه دون أن يؤيدهم الشيخ، **وهذا** خطأ كبير في طلب العلم.

كذلك عدم التقدم عليه بكلام أو مسير، أو إكثار الكلام عنده، **والمحادثة** والمداخلات، **وهذا** كله لا ينبغي أن يكون في الابن في حضرة أبيه، وإلا حصلت هيشات في المجالس التي يكون فيها العالم يريد أن يستحضر ذاكرته وذهنه، **ويفرغ** للمعلومات عنده، **فكثرة** مثل هذه الأمور، **وقلة الأدب** من الطالب تذهب البركة من المجلس **فيخسر** الجميع بركة الجلوس، **وبركة** العلم، **خصوصا** حصول هذا الشيء من كثرة الكلام والمماراة أمام الملأ، **وأمام** الناس، **ففيها** عدم احترام للعالم أمام الملأ وأمام الناس، **هذه** تزداد سوءا، **والعياذ بالله**، **وفيها** محق للبركة لمن كانت فيه هذه الصفة.

وأمر آخر يحدث بين الشيخ والتلميذ؛ **المناداة**، لكن هنا قال لك: لا تناديه باسمه، مع أنه اسمه هذا قد سمته أمه به، وسماه أبوه، **لكن** من باب الأدب، **لا** تناديه باسمه مجرداً، أو لقبِه (**أبو فلان**)، أو تقول: (**يا شيخ فلان**)، هذا كله ما يليق.

لكن انظر ماذا تقول؟ مع أن هذا جائز، لكنه ليس من الأدب، **فالأدب** أن تقول: يا شيخي**!** يا شيخنا**!** فلا تسمِّه، فإنه أرفع في الأدب.

إذن؛ فالأدب درجات أرفع شيء فيه؛ أن تستجلبَ ما عنده من احترام وعلم، وأن يقبل عليك بكلّه، أن تناديَه:

يا شيخي، **يا شيخَنا**، لكن لا تخاطبه بتاء الخطاب، **كأن تقول له**: أنت قلت، أنت فعلت، وأنت وأنت، فهذا ما ينبغي.

أو تناديه من بعد من غير اضطرار، تجد الشيخ بينك وبينه خمسون مترا أو أكثر وتناديه بصوت عال، أو تصفِّر له أو تصفق؛ ليرد عليك**!** هذا كله مع الوالد الحقيقي لا ينبغي ولا يليق، **فكيف بشيخك؟**

وانظر وتدبر؛ أن هذا الشيخ وارثُ النبي صلى الله عليه وسلم، **والله** يقول عن نبيه صلى الله عليه وسلم: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ}**، أي نداؤه، لأنهم كانوا ينادونه يا محمد**!** أخرج إلينا، **{بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}**، الآية.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية، -فكلنا من آدم وآدم من تراب- لا تنادِه: **(يا فلان)**،... ينادي أباه باسمه مجردا، **وكل الأطفال** مروا بهذه الفترة، **وكان** ينادي أباه بالاسم، **وأمَّه** بالاسم، **فلا بد** من تعليمهم الأدب؛ **حتى** يتعوّد على كلمة الأب والأم.

كذلك لا تناديه أيضا بلقبه أو بكنيته، بأن تقول: **(يا والدي فلان)**، **(يابا فلان)**، **(يا أبوي فلان)**، **(يا بابا فلان)**، والأدب بدون كلمة فلان، بل اجعلها؛ يا أبي، يا والدي مباشرة، **فأنت كم** أبٌ لك حتى تناديَه باسمه؟ **فلا يجمل** بك أن تفعل هذا مع والدك، كما لا يجمل بك أن تفعله مع شيخك.

وتوقير المجلس، **وإظهار** السرور من الدرس **والإفادة** به، **فلا** يليق.

وليس من الأدب أن تقول: **(والله يا شيخ اليوم ما استفدنا منك ولا حاجة)**، حتى لو كنت كذلك، **فإذا** ما استفدت اليوم، **استفدت** بالأمس، **تستفيد** غدا، **أنت تستفيد** إن شاء الله، **ولعلك** كنت غائب الذهن، سارح الفكر، **تفكيرك** وذهنك شارد في هذه الدنيا.

واحذر أن تمارس معه ما يضجره؛ **فعلا** الذي يُضْجِر احذره، **وقد** حصلت معي مرَّة، -ولست من العلماء والمشايخ المعروفين، لا!-

لكن سألني سائلٌ سؤالا؟ فأجبته، فقال السائل: **(هذا رأيك!)** قلت: **(أنت تسألني عن رأيي، أو عن رأي الشيخ فلان؟ أنا أجيبك برأيي)**، فقال: **(لا لا)**، قلت له: **(اخرج ورفعت صوتي عليه)**، وتغيَّر وما توقعها مني أبدا؛ **لأنه** توقع أنني هادئا، **لكنها** خرجت مني أن طردته، **وأستغفر** الله العظيم، **فلعلي** أكون قد أخطأت معه، **لكن** رجعت الأمور إلى مجاريها، **ورجع** وأصبح طالبا ما شاء الله عليه.

فلذلك لا تعرض نفسك أيها الطالب لمثل هذه الأمور، **فعلا** أنت تسألني عن رأيي، **مالي** وآراء الآخرين، **تسأل** عن آخرين، **وأنت** تعرفهم، **يكون** انتهى الأمر.

إذن احذر أن تتعامل مع العالم بما يضجره، **ومنه** ما يسميه المولدون وهم أناسٌ عامِّيوون، **وهم أناس** من غير العرب دخلوا في العروبة، فصاروا مولَّدين، فيسمونها: **(حرب أعصاب)**، يعمل للشيخ حرب أعصاب.

وبعض الناس لا يأتي لدرس إلاَّ لينغِّصَ على الشيخ، فعلا، **فهناك** بعض الناس في بعض الأماكن هو حاضر حتى يفسد مثل هذه الأمور من العلم والتعلم، **وهذا** نيته إلى الله عز وجل، **لكن** لا يفسد على غيره؛ **بمعنى** امتحان الشيخ على القدرة العلمية، **لكن** لا تعتقد أن الشيخ الذي أمامك معصوم، **أو رسول** يوحى إليه، أو ملك مقرب**!!**

بل العالم يخطئ ويصيب، أقول لكم: (**فلا تتفاجؤوا؛ لو تبحثوا عن أخطائي من ورائي، ستجدون أخطاء وأخطاء**)، **نسأل الله** السلامة، **نسأل الله** أن يغفر لنا ذنوبنا، وخطأنا ظاهرَه وباطنَه، **اللهم** آمين، **لكنَّ** بحثَك هذا عن أخطاء المشايخ **لن** تستفيد منه، **بل** سيسبِّب لك حرمانا كبيرا، **وعدمَ** ثقة فيه، **فلن** تأخذ منه، ولن تستفيد منه.

كذلك إذا بدا لك أن تنتقل من شيخ إلى شيخ آخر، **وأنت** مواظب عند هذا الشيخ، **وتأخذ** مثلا في التفسير أو الحديث أو الفقه، **وبدا لك** أن تأخذ عن شيخ آخر، **فمن** الأدب أن تستأذنَه: (**لو سمحت يا شيخ أريد أن أذهب إلى الشيخ فلان**)، هذا أدعى لحرمته، **لئلا** تأتيَ الأخبار الموغرة للصدور؛ **لأن** الشيخَ بشر، يصيبه ما يصيب البشر، **إذا** كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**أنا أقول وأغضب كما تغضبون، لكن لا أقول إلا حقا**". (١) **لكن** نحن نغضب **ونقول** غير الحق، **فنحن** بشر، **وهذا** كلُّه أدعى لحرمة الشيخ، **كرامةً** للشيخ وأوقر له، **وأملك** لقلبه في محبتك والعطف عليك.

جاءني اثنان فقالا: (**نريد أن نذهب إلى الشيخ فلان نجلس عنده**)، فقلت لهما: (**لا!**) وهذا الشيخ أخي ويعزّ عليّ، **لكن** الأجواء غير مهيئة الآن، **وبعد** مدة رجعا فسألاني، فقلت: (**الآن اذهبا إليه**)؛ لأنه كانت موجة موجودة **فخشيت** عليهما منها، **وبعدها** ذهبت الموجة، **فلذلك** اذهبا ما في مانع.

---

(١) هذان الشاهدان من حديث:

الأول: (**... فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ، أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ ...**). (د) (٤٦٥٩)، (حم) (٢٣٢٠٩)، الصحيحة (١٧٥٨)، صحيح الأدب المفرد (١٧٤).

الثاني: قَالُوا: (**يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا**) قَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا". (ت) (١٩٩٠)، (حم) (٨٤٦٢)، صحيح الجامع (٢٥٠٩)، والصحيحة (١٧٢٦).

وهناك جملة من الآداب ربما لم يذكرها كتاب تعرف بالطبع، **أنت** طبعك هكذا، **طبعك** يأبى عليك أن تفعل أمام الشيخ كذا، **ويأمرك** طبعك بأن تفعل كذا وكذا، **هذا شيء** ما يحتاج إلى كتاب، **شيء** داخلي، **جِبِلِّيّ** فطريّ، **وهذا** وفاء لحقّ الشيخ في أبوّته الدينية إن صح التعبير، أو ما تسميه بعض القوانين باسم الرضاع الأدبي، **لكن** تسمية بعض العلماء للأبوة الدينية تكون أليق، **ثم** تراجع الشيخ رحمه الله بقوله: وتركه أنسب.

فلا نقول رضاعة دينية، ولا أبوة دينية، **ولا نقول** رضاع أدبي ولا غيره، بل اترك هذا كلّه؛ خوفا من الدخول في كلمة (يبونا) الذي يقولها النصارى، قال سبحانه: **{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}**. (الأحزاب: ٤٠)

واعلم أنه بقدر رعايتك أيها الطالب حرمةَ شيخك؛ **يكون** النجاحُ والفلاح، **وبقدر** الفوت؛ أي فواتك **هذه** الأمور يكون من علامات الإخفاق.

قال المؤلف رحمه الله: [**تنبيه مهم**:

أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطرقية، **والمبتدعة** الخَلَفيَّة، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحسِ الأيدي، **وتقبيلِ** الأكتاف، **والقبضِ** على اليمين؛ باليمين والشمال عند السلام، **كحالِ** تودد الكبار للأطفال، **والانحناء** عند السلام، **واستعمال** الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

وانظر ما يقوله العلامة السلفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (م سنة ١٣٨٠هـ) رحمه الله تعالى في البصائر؛ فإنه فائق السياق.

ثانيا: رأس مالك أيها الطالب من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، **أمَّا** التلقي والتلقين فهو ربح زائد، **لكن** لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك **فتقع** في الشناعة من حيث لا تدري، **وكلّ** من ينظر إليك يدري، **فلا** تقلِّده بصوت ونغمة، **ولا** مِشية وحركة وهيئة، **فإنه** إنما صار شيخاً جليلاً بتلك، **فلا** تسقط أنت بالتبعية له في هذه.

ثالثا: نشاط الشيخ في درسه يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، **وجمع** نفسه، **وتفاعل** أحاسيسه مع شيخه في درسه، **ولهذا فاحذر** أن تكون وسيلةَ قطعٍ لعلمه، بالكسل، والفتور والاتكاء، **وانصراف** الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (**حَقُّ الفائدة أن لا تساق إلاَّ إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدثُ بعضَ الفتور من المستمع، فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع**).

ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب، قال: قال عبد الله: (**حدِّث القومَ ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة، فانزع**)]. أهـ.

الشرح:

مجموعة من الآداب لطالب العلم، **وجعل** هناك تنبيها مهما وهو يقول لك: أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطرقية، وهم الصوفية، **وكذلك** المبتدعة الخلفية، **فهؤلاء** عندهم خضوع خارج عن آداب الشرع، **يقول:** لحس الأيدي.

استدعينا مرة إلى مصر ضيوفا، -نسأل الله أن يحفظها من كل سوء، ويوليها الصالح المصلح- وإذا بنا ندخل لنرى مسجد الحسين، الذي نسمعه عنه، **فدخلنا** المسجد فتلقانا طالب إندونيسي -والله أعلم- طبعا كنا بالعمائم، **وأمسك** أيدينا وبدأ يقبلها، **وحاولنا** سحبها من غير جدوى.

سبحان الله! لا يعرفنا ولا نعرفه، فهذا نوع من لحس الأيدي، **لكن** تقبيل اليد فيه مؤلف مخطوط اسمه **ما أدري** هل ظهر إلى النور طباعة أم لا، (١) واسمه (**تقبيل اليد**) لابن المقري، وجدته مخطوطا في الجامعة

---

(١) وقد طبع باسم (الرخصة في تقبيل اليد)، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ). المحقق: محمود محمد الحداد. الناشر: دار العاصمة- الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١

الإسلامية بالمدينة المنورة، **وكنت** سأجعله بحثا لسنة التخرج؛ **إلا** أني لم أحصل على مخطوطات أخرى حتى أقارنَ بينها، **فعرضوه** عليّ فتركته، **وأخذت** بحثا آخر.

فيجيز (ابن المقرئ) تقبيل اليد بشروط، **لكن** بدون خنوع وبدون تذلل، **تقبيل** اليد للوالدين، **تقبيل** اليد لكبار السن، **تقبيل اليد** للعالم كبير القدر والشأن، **لكن** الشيخ هنا وصف أمرا آخر، وهو اللَّحس، **يعني** كأنه يريد أن يأخذ قطعة اللحم هذه معه، **بركة** لحس الأيدي، **وتقبيل** الأكتاف، **لكن تقبيل الرأس** ما فيها ذلة ولا خضوع، **والقبض** على اليمين باليمين، **يأخذ** بيده الثنتين، **والأصل** أن يأخذ بيد واحدة، **ولعله** ورد أثر بكلتا اليدين. (١)

كحال تودد الكبار للأطفال، **أن** يتودد الرجل الكبير للطفل، **فيمسك** بيديه ويداعبه.

كذلك من الأشياء التي يجب على طالب العلم أن يتجنبها؛ **الانحناء** عند السلام، **وهذه** نجدها في الأعاجم، **يحني** أحدهم رأسه، **فهذا** ما ينبغي ولا يليق.

وكذلك استعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة، **مثل**: سيدي، مولاي، **ويكفي** في ذلك كلمات، **مثل**: يا شيخي، **يا** شيخنا، **فهذه** تكفي.

ويذكر في ذلك ويكثر منه، **ومن** أراد الاستزادة **فليراجع** ما قاله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري المتوفى سنة ثمانين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة، **فإنه** فائق في السياق.

ورأس مالك أيها الطالب من شيخك، **القدوة** بصالح أخلاقه، **يعني** عليك أن تحاول أن تتشبَّه بأخلاقه **وشمائله** الموافقةِ لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة.

أمَّا التلقي والتلقين **فهذا** ربح زائد، **يعني** الأصل أن تأخذ من أخلاقه وشمائله، **فهو** لك قدوة، **أمَّا** مسألة التلقّي عنه، **والتلقين** منه فهذا ربح زائد، **وعليك** المحبة لشيخك، بلا غلو ولا تعصب، **حتى** لا يدفعك ذلك التعصب **بأن** تقع في الشناعة من حيث لا تدري، **وكل** من ينظر إليك يدري، **والتعصُّب** المقيت هو التعصب للمشايخ، **وبعض** الناس يجعل من شيخه إنسانا لا يخطئ معصوم، كالشيعة والرافضة.

---

(١) قَال الْبُخَارِيُّ (ج٨/ ص٥٩): بَابُ الأَخْذِ بِاليَدَيْنِ، وَصَافَحَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ابْنَ المُبَارَكِ بِيَدَيْهِ.

وبعضهم يمتهن شيخه، ويحتقره، فيقول: من هو فلان؟**!** وهو شيخه، كما قال ابن وارة: **(حدثنا أصحابنا)**، فلما ضُرب قيل له: **(أخشى أن تخرج فتقول: حدثنا غلامنا)!**

لا فالمسألة مسألة توسط، إذن لا تقلده بصوت ونغمة، **ولا** مشية وحركة وهيئة؛ **لأن** هذه أشياء جِبِلّيَّة فطريَّة طبيعيَّة، **ليس** هذا مطلوبا منك، **بل** المطلوب التشبه به في شمائله وأخلاقه، **التي** هي مأخوذة من الدين، من سلف الأمة، **وشيخُك** إنما صار جليلاً بتلك الصفات والأخلاق، **فلا** تسقط أنت بالتبعية له، **وهذه** كلُّها من الآداب، **لا نقول**: إنها من المحرمات.

وأما نشاط الشيخ في درسه؛ فهذا النشاط عند الشيخ؛ **لا تذهبه** بكسلٍ منك أو فتور واتكاء، **فتجد** الطالب يجلس عند الشيخ، **وطوال** الجلسة وهو يتثائب، **أحيانا** يغلق فمه، **وأحيانا** لا يغلقه، **أحيانا** يفتح عينيه رغما عن أنفه، نعسان، **فهو** غير مهتم، **فالشيطان** أخذه بعيدا عن الجلسة، **هو** بجسمه هنا، **وبروحه** وفكرِه هناك.

فابقَ يا عبد اللهَ بجسدك وبروحك هنا، **واجعل** أحاسيسك تتفاعل مع شيخك في درسه، **فلذلك** احذر أن تكون وسيلة لقطع حبل أفكاره؛ كما يقولون.

يقول البغدادي رحمه الله: [**حَقُّ الْفَائِدَةِ** أَنْ لَا تُسَاقَ إِلَّا إِلَى مُبْتَغِيهَا، **وَلَا تُعْرَضُ** إِلَّا عَلَى الرَّاغِبِ فِيهَا، فَإِذَا رَأَى الْمُحَدِّثُ بَعْضَ الْفُتُورِ مِنَ الْمُسْتَمِعِ فَلْيَسْكُتْ، **فَإِنَّ** بَعْضَ الْأُدَبَاءِ قَالَ: نَشَاطُ الْقَائِلِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِ الْمُسْتَمِعِ]. (١)

فالفائدة التي تريدها هي خرجت من الشيخ، **لكن أين ستذهب؟** ستبقى ذاهبة حتى تصل مستحقها، **حتى** تصل إلى مبتغيها، **وتثبت** عنده، **ولا** تعرض إلا على الراغب فيها، **فالنعسان** والذي يتثائب ليس راغبا فيها.

فالمحدثُ إذا رأى من الطلاب بعضَ الفتور، **عليه** أن يسكت، **فإن** بعض الأدباء قال: **(نشاط القائل على قدر فهم المستمع)**، نشاط القائل على قدر فهم المستمع.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٣٠).

وأذكر ما حدث لي أيام الطلب، **وأنا** في الجامعة انشغلت بالحديث، **ولم** أكن أعرف الأدب، **إلا** الأدب الجبلي الفطري، **الاستحياء والحياء**، لكن لم نتعلم مثل هذه الدروس، **فاحمدوا** الله عز وجل على أنكم تجدون من يقوم بذلك، **كهذه الجمعية**، ويستجيبون لذلك كأمثالكم، **وهذه** نعمة كبيرة جدا، أوجدك الله في مثل هذه الأمور، **لك** الأجر والثواب والفهم والإدراك.

فخرجت أطلب العلم هناك بالمدينة المنورة، وكان يجلس بجانبي زميل لي من بنجلادش يدعى **(خواندكار أبو البشر)**، لا أنسى اسمه، وهو حنفي المذهب، لا يعرف غيره، **فانشغلت** معه بالكلام الخفي أثناء درس الشيخ، **فإذا** بالقاعة التي نجلس فيها عمها صمتٌ رهيب، **ونحن** متعودون على كلام الشيخ، **والشيخ الدكتور/ (محمد محمد الشريف)** حفظه الله إن كان حيًّا، **ورحمه الله** إن كان قد توفي، **فلا** أدري عنه، دكتور أزهري مصري **كان** يدرسنا فقه الحديث، **يكتب** الحديث ويكتب الكلمات المستفادة من الحديث، **ومن** ثَمَّ يبدأ بالشرح، **فعندما** شعرت بالصمت الرهيب، **انتبهت** للشيخ، **واضعا** بصره عليَّ وعلى زميلي، **فهذا** عندي أشدَّ مما لو ضربني بعصا أو بيده، **وكان** يمسك في يده بالطباشير، **قد** توقف عن الدرس، فعندما علم أننا سكتنا، وانقطعنا عن الحديث الجانبي، تذكرت حديث الصحابي: **"يا ليته سكت"**، ليته خرج من موضوعه هذا إلى موضوع آخر.

وبعدها رجع يكتب ويشرح، **لم** يزد على ذلك.

صدقوني درسٌ تعلمته، **لعلَّه** ما تعلّمه إنسان **أخذ** ضربا على رجليه ويديه ومؤخرته.

نعم! هناك أناس وطلاب يتعلمون قبل الضرب، **وهذه** أثرت فيَّ تأثيرا كبيرا جدًّا.

لذلك نشاط القائل على قدر فهم السامع، **فالشيخ فعلا** إذا سكت معناه أن شيئا حدث، **والكلُّ** انتبه، **وكلُّ العيون** مع عين الشيخ ترمقنا، **فانظر** لنفسك أيها الطالب، **سكوته** هذا أثَّر فينا ما أراد، ثم استمر في درسه، **ووالله** لم يوبخنا على فعلنا وقتها ولا بعدها، **ونحن** لم نعد بعدها للانشغال ولا للتلهّي.

ثم ساق الخطيبُ بسنده عن زيد بن وهب، قال: قال عبد الله: **(حَدِّثِ الْقَوْمَ مَا رَمَقُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فَتْرَةً فَانْزِعْ)**. ([1])

ما داموا كلهم منتبهون حدّث، **لكن** إذا رأيت منهم فترة، **فانزع** أي توقف، **وهذا** الذي فعله شيخنا الشريف؛ وجدنا مشغولين، فسكت، **انتبهنا** وأي انتباه ما أقساه، **فإذا** به يعود إلى الدرس مرة أخرى.

قال المؤلف رحمه الله: [**رابعا: الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة**، وهي تختلف من شيخ إلى آخر، فافهم.

ولهذا أدب وشرط:

أما الأدب، فينبغي لك أن تُعْلِمَ شيخَك أنَّك ستكتب، أو كتبت ما سمعته مذاكرة.

وأما الشرط، فتشيرُ إلى أنك كتبته من سماعه من درسه.

خامسا: التلقي عن المبتدع:

احذر أبا الجهل؛ المبتدع، الذي مسَّه زيغُ العقيدة، **وغشيته** سُحُبُ الخرافة، **يحكِّم** الهوى ويسميه العقل، **ويعدل** عن النص، **وهل العقل إلا في النصِّ؟!** ويستمسك بالضعيف، **ويبعد** عن الصحيح، **ويقال** لهم أيضاً: أهل الشبهات، وأهل الأهواء، **ولذا** كان ابن المبارك رحمه الله تعالى يسمى المبتدعة: **الأصاغر**.

وقال الذهبي رحمه الله تعالى: [إذا رأيت المتكلِّم المبتدع يقول: **دعنا** من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهات (**العقل**)، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: **دعنا** من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، **فاعلم** أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حلَّ فيه، **فإن** جبُنْتَ منه فاهرب، وإلا؛ **فاصرعه**، وابرك على صدره، **واقرأ** عليه آية الكرسي، واخنقه]. ([2]) أهـ.

([1]) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٣٠).

([2]) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٢).

وقال أيضا رحمه الله تعالى: [**وقرأت** بخطِّ الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه -أي ابن أبي عصرون- مع أخي أبي عمر -وانقطعنا-، **فسمعت أخي** يقول: دخلت عليه بعد، فقال: **لم انقطعتم عني؟** قلت: إن أناساً يقولون: **إنك أشعري،** فقال: **والله ما أنا أشعري،** هذا معنى الحكاية]. ([1]) أهـ.

وعن مالك رحمه الله تعالى قال: **لا يؤخذ العلم** عن أربعة: **سفيه** يعلن السفه، **وإن** كان أروى الناس، **وصاحب** بدعة يدعو إلى هواه، **ومن** يكذب في حديث الناس، **وإن** كنت لا أتهمه في الحديث، **وصالح** عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

فيا أيها الطالب! إذا كنت في السعة والاختيار؛ **فلا** تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجئ، أو قدري، أو قبوري، ... وهكذا، **فإنك** لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين، **متين** الاتصال بالله، صحيح النظر، **تقفو** الأثر إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة **بإجهاز** أهل السنة على البدعة، **ومنابذة** المبتدعة، **والابتعاد** عنهم، **كما** يبتعد السليم عن الأجرب المريض، **ولهم** قصص وواقعيات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها:

فقد كان السلف رحمهم الله تعالى **يحتسبون** الاستخفاف بهم، **وتحقيرهم، ورفض** المبتدع وبدعته، **ويحذرون** من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، **فلا** تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، **فينصرف** وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩هـ) رحمه الله تعالى، **انصرافه** عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، **وينهى** عن حكاية بدعهم؛ **لأن** القلوب ضعيفة، والشبه خطّافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة، **للمبتدع** عند الاضطرار؛ **لأنه** باغ، لقول الله تعالى: **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ...}**، الآية، **فهو** باغ ببدعته.

([1]) سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٢٩).

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، **كما** في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء، **وفيه** بعد جوابه المشهور: **أظنك** صاحب بدعة، **وأمر** به، **فأخرج**.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، **حذراً** من شرهم، **وتحجيما** لانتشار بدعهم، **وكسرا** لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع، **ولأن** في معاشرة السني للمبتدع **تزكية** له لدى المبتدئ والعامي، **والعامي**: مشتق من العمى، **فهو** بيد من يقوده غالباً.

ونرى في كتب المصطلح، **وآداب** الطلب، **وأحكام** الجرح والتعديل: الأخبار في هذا].

الشرح:

الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة، **لكنّ** هذه الكتابة تختلف من شيخ إلى آخر، **فأنا** أسمح لكم بالكتابة مثلا، **ربما** يكون أسبوع علمي آخر، **ويكون** شيخ آخر لا يحب أن يرى رأسك على الكتاب أو على الدفتر تكتب.

إذن هذا يختلف من شيخ إلى آخر، **فالأدب** لهذا أن تعلم شيخك أنك ستكتب، **أو كتبت** ما سمعته مذاكرة، **ويدخل** في ذلك التسجيل بأشرطة أو جوّال أو ما شابه ذلك، لا يكون إلا بإذن.

أمّا أنا فأتكلّم عن نفسي -فؤاد- فكنت أكتب ما يتكلم به الشيخ اختصارا، **الذي** أفهمه كنت أكتبه، **سواء** يرضى أولا يرضى، إن رآني أتوقف، **ما رآني أكتب**؛ كأني أسرق سرقة، قلت لكم: ما تعلمنا مثل هذه الآداب!

وبعض الشيوخ يوافق بل يسرُّه فعلي، وبعضهم لا يريد أن نكتب شيئا أثناء شرحه، **ومن** هؤلاء الذين يوافقون على ذلك؛ هو الشيخ (محمد محمد الشريف)، مدرس فقه الحديث، والشيخ أيضا (عبد الفتاح سلامة) مدرس العقيدة الطحاوية، **وهو** الذي كان يدرسنا العقيدة، **أما** من كان يدرسنا التفسير وهو الشيخ (عبد الفتاح عشماوي) فلا! **يكره** أن يكون معك قلم، **هو** يكتب الآية، **ويكتب** الشرح الذي يريده، **ويسمح** لنا بكتابة ما كتبه هو فقط، **ثم يقول**: ضع القلم.

فكنت أجعل الدفتر في خفاء عنه، **وأكتب** فإذا جاء أخبئ الدفتر في المقعد وأجلس منتبها، رحمه الله، هذا توفي أيضا، **وهذا** رآني مرة أني أكتب ظانًّا أنني نائم، **وهو** لا يحب النائمين في الدرس، **وعنده** علاج للنائم، **يجعل** إصبعه أسفل الأنف ويضربه، إذا فعلها يقول: يبقى مستيقظا طول الحصة.

ومرة جاء إليَّ خِلسة وظنَّني نائما، فرفعت بصري هكذا، قال: (**ظلمتك يا ولدي، ظلمتك يا بني، حسبتك نائما للقنتك درسا**)، وأنا أعرف الدرس ما هو، رحمه الله رحمة واسعة، **لكن** بقيت هذه الدفاتر موجودة حتى الآن من كتاباته، ومن كلامه العظيم.

هذا هو الأدب الذي تعلمه، **وأمّا الشرط**، تشيرُ إلى أنك كتبته من سماعه من درسه، فتقول: (**هذا سمعته من شيخي، من فلان**).

واحذر أبا الجهل؛ وأبو الجهل ليس فقط هو الجاهل، **بل** هو من أنجب طفلا في الجهل، **فأصبح** أبو جهل، **وهو** المبتدع الذي مسَّه زيغ في العقيدة، **مثل** زيغِ الرفض، أو زيغ الخروج، أو زيغ التعطيل في الأسماء والصفات، أو التشبيه، أو التمثيل، أو التعطيل وهكذا، **وكذلك** أيضا من غشيته سُحُبُ الخرافة، والخرافة هم الطرقيون...

أو من يسمي الهوى عقلا، ويعدل عن النص، **وهل العقل إلا في النص**؟! ومعظم المخالفات جاءت من التمسك بالحديث الضعيف، **فيبعد** عن الصحيح، وهؤلاء يقال لهم: (**أهل الشبهات، وأهل الأهواء**).

وابن المبارك يسمى المبتدعة: (**أصاغر**)، وورد في ذلك حديث عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**". ([1])

وعندما سئل ابنَ المبارك عن الأصاغر؟ قال: (**هم أهل البدع**).

وقال أبو عبيد: (**والذي أرى أنا في الأصاغر؛ أن يؤخذَ العِلمُ عمَّن كان بعد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويُقَدَّمَ ذلك على رأي الصحابة وَعِلْمِهِم، فهذا هو أَخْذُ العلمِ من الأصاغر**). ([2])

([1]) (طب) (ج ٢٢ص٣٦١ ح٩٠٨)، صَحِيح الْجَامِع (٢٢٠٧)، الصحيحة (٦٩٥).

([2]) غريب الحديث لأبي عبيد (ج٣ ص ٣٦٩).

قال الذهبي رحمه الله: **[إذا رأيت المتكلم المبتدع** يقول: **دعنا من الكتاب والأحاديث]**، وكثير ما نسمع، يقول لك: (**ضع القرآن والسنة جانبا**)، وبعضهم قال: (**ضع الدين على جنب**)، **[وهات (العقل)]**؛ نرى ماذا قالت السياسة؟ واليوم يقولون: (**ماذا قالت الجزيرة، والسي إن إن**)، **[فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي الطرقي الصوفي** يقول: **دعنا من النقل، وهات الذوق والوجد]**، حدثني قلبي عن ربي، فبعضهم لا يحسن لفظ حرف القاف، يقولها كافا، حدثني كلبي عن ربي، **[فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، فإن جبُنْتَ منه فاهرب]**، وإلا إذا طولت عليه؛ **[فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي]**، فآية الكرسي تطرد الشياطين وأمثالهم.

لذلك يقول الذهبي: **[قرأت بخطِّ الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه أي درس ابن أبي عصرون مع أخي أبي عمر وانقطعنا]**، فأبو عصرون هذا سلفي، (1) **لكن** عندما دخلوا عليه سألهم عن انقطاعهم، فقال: إن أناساً يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري، **هذا** معنى الحكاية، **لكن** لماذا قالوا عنه هذا؟ قالوا: لأنه كان يحيلك، **فكان يقول**: حدثنا فلان المرجئ، **حدثنا** فلان الأشعري، **يعني** بين ووضح لك الأمر، أعطاك اللحم بعظمه.

وفي نهاية هذا الشرح؛ لا يؤخذ العلم عن أربعة؛

إذا علمت واحدا ولو كان عنده علم جمٌّ، وهو سفيهٌ، **أي** قليلُ عقلٍ، لا ضابط، **عنده** لسفهه، **وإن** كان أروى الناس، أي اكثرهم رواية، لا من الارتواء، بل من الرواية.

كذلك صاحب البدعة **الذي** يدعو إلى هواه.

كذلك من يكذب في حديث الناس، **فإنه** لا يؤمن أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كنتَ لا تتهمه في الحديث؛ لأنه معروف أمام الناس أنه كذَّاب.

---

(1) [ابن أبي عصرون* الشيخ الإمام العلامة، الفقيه البارع، المقرئ الأوحد، شيخ الشافعية، قاضي القضاة، شرف الدين، عالم أهل الشام، أبو سعد؛ عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن المطهر بن علي بن أبي عصرون بن أبي السري التميمي الحديثي الأصل، الموصلي، الشافعي. ولد سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة... توفي في حادي عشر رمضان سنة خمس وثمانين وخمس مئة]. انظر ترجمته سير أعلام النبلاء (٢١/١٢٥- ١٢٩).

وصالحٌ عابدٌ فاضلٌ إذا كان لا يحفظ ما يحدث به، **أي** لا يعي، **ولا** يفهم الذي يحدث به، فهؤلاء لا يؤخذ عنهم.

أقول: وسيبين الشيخ هذا إذا كان في السعة والاختيار، **أما** في حالة الاضطرار كجامعاتنا في هذا الزمان مثلا، **مليئة** بأناس يحملون الشهادات **وليسوا** بأهل لها، **امشِ** معهم لا في مانع، **لكن** كن حذرا، **وعلى** حذر من العقائد، **ومن** المناهج التي فيها ضلال وما شابه ذلك.

ففي اللغة العربية مثلا صوفي عنده لغته العربية جيدة اسمع منه، خذ عنه، أما إذا حدثك في الدين والعقيدة لا تحضر له.

إنسان يعلمك الرياضيات لو كان كافرا خذ منه الرياضيات، **وكلّ أبنائنا أين يتعلمون اليوم؟**

فكن أنت في السعة والاختيار غير ما نكون في حال الضيق والاضطرار.

حسناً؛ عندنا معلمو رياضيات، ومعلمون في اللغة كلهم على السنة، **لماذا نذهب إلى غيرهم؟**

كلهم لا نخشى منهم في عقيدتنا، **ففي** حال السعة لا نذهب إلى المبتدعة ونحوهم، **فعند** الاختيار هذا ممنوع.

أما عند الاضطرار كما حال الناس اليوم، قد نضطر إلى كثير من الأمور التي عندنا هي مخالفات.

وهذه من باب السعة والحمد لله، **فكلما** ابتعد الزمن عن النبي صلى الله عليه وسلم زادت السعة للناس، هناك توسع، **فكأنه** شعاع من عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتسع.

فأختم حديثي في هذه النقطة بالحديث الوارد الذي معناه؛ أنه في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، **والسلف الصالح** الواحد فيهم لو ترك عشر ما يعلم لهلك، **لكن** الزمن الذي نحن فيه لو ترك عشر ما يعلم نجا. (١)

---

(١) إشارة إلى حديث: "**إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه من ترك عشر ما يعرف فقد هوى ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه من استمسك بعشر ما يعرف فقد نجا**". انظر الصحيحة رقم (٢٥١٠).

في الفصل الثالث، علمنا أدب الطالب مع شيخه، ورعاية حرمته: [**فرأس مال الطالب من شيخه؛** القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، **أما التلقي والتلقين** فهو ربح زائد، **لكن** لا يأخذه التعصُّبُ في محبة شيخه، **فتقع** في الشناعة من حيثُ لا تدرى، **وكلٌّ** من ينظر إليك يدري.

واعلم أيها الطالب أن نشاط شيخك في درسه؛ **يكون** على قدر مداركك في استماعه، **وجمع** نفسه، **وتفاعل** أحاسيسك مع شيخك في درسه، **ولهذا** فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه بالكسل، **والفتور** والاتكاء، **وانصراف** الذهن وفتوره.

أما الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة، **فهي** تختلف من شيخ إلى آخر، فافهم.

واحذر أبا الجهل؛ المبتدع، الذي مسَّه زيغُ العقيدة، **وغشيته** سُحُبُ الخرافة.

فيا أيها الطالب! إذا كنت في **السَّعَة والاختيار؛** فلا تأخذ عن مبتدع: رافضيٍّ، أو خارجيٍّ، أو مرجئٍ، أو قدريٍّ، أو قبوريٍّ... وهكذا، **فإنك** لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين، **متين** الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر؛ **إلا** بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتُبُ السيَرِ والاعتصامِ بالسنة حافلةٌ بإجهاز أهل السنة على البدعة، **ومنابذةِ** المبتدعة، **والابتعادِ** عنهم، **كما** يبتعدُ السليمُ عن الأجربِ المريض، **ولهم** قَصص وواقعيَّاتٌ يطول شرحها، **لكن** يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيَّدات فيها: **فقد** كان السلف رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفافَ بهم، **وتحقيرَهم** ورفضَ المبتدع وبدعتِه، **ويحذرون** من مخالطتهم، **ومشاورتِهم**، ومؤاكلتِهم، **فلا** تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، فينصرف، **وقد** شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩هـ) رحمه الله تعالى، **انصرافه** عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، **وينهى** عن حكاية بدعهم، **لأن** القلوب ضعيفة، والشبه خطَّافة، وكان سهلُ بن عبد الله التُّستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار، **لأنه** باغ، لقول الله تعالى: **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ...}**، الآية، **فهو** باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، **كما** في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: **أظنك** صاحب بدعة، وأمر به، **فأخرج**.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، **حذراً** من شرهم، **وتحجيما** لانتشار بدعهم، **وكسرا** لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع، **ولأن** في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي، والعامي: **مشتقٌّ** من العمى، **فهو** بِيَدِ من يقوده غالباً.

ونرى في كُتُبِ المصطلح، **وآداب** الطلب، **وأحكام** الجرح والتعديل الأخبار في هذا.

فيا أيها الطالب! كن سلفيًّا على الجادَّة، **واحذر** المبتدعة أن يفتنوك، **فإنهم** يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلا، **يفتعلون** تعبيدها بالكلام المعسول وهو: **(عسل)** مقلوب، **وهطول** الدمعة، **وحسن** البَزَّة، **والإغراءِ** بالخيالات، **والإدهاشِ** بالكرامات، **ولحسِ** الأيدي، **وتقبيلِ** الأكتاف... **وما وراء** ذلك إلا وَحَمُ البدعة، **ورَهَجُ** الفتنة، **يغرسها** في فؤادك، **ويعتملك** في شراكه، **فوالله** لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، **فالعق** العسل ولا تسل.

وفقك الله لرشدك، **لتنهل** من ميراث النبوة صافياً، **وإلا**؛ فليبْكِ على الدين من كان باكياً.

وما ذكرته لك هو في حالة **السعة والاختيار**، أما إن كنت في دراسة نظاميَّةٍ لا خيار لك، **فاحذر** منه، مع الاستعاذة من شرِّه، **باليقظةِ** من دسائسه على حد قولهم: **اجنِ** الثمارَ وألق الخشبةَ في النار، **ولا** تتخاذل عن الطلب، **فأخشى** أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، **فما عليك** إلا أن تتبيَّن أمرَه، **وتتقيَ** شره، **وتكشف** سترَه.

ومن النُتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، **فقيل له:** لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: أبيعكم اللحم بالعظام.

فالمقرئ رحمه الله تعالى حدَّث بلا غرر ولا جهالة؛ إذ بين فقال: وكان مرجئاً.

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في العقيدة السلفية لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩هـ)، قال رحمه الله تعالى:

ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، **ولا** يحبونهم **ولا** يصحبونهم، **ولا** يسمعون كلامهم، **ولا** يجالسونهم، **ولا** يجادلونهم في الدين، **ولا** يناظرونهم، **ويرون** صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان **وقرّت** في القلوب، **ضرَّت** وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت، **وفيه** أنزل الله عز وجل قوله: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**. أهـ.

وعن سليمان بنِ يسارٍ رحمه الله أن رجلا يقال له: صَبيغ، قدم المدينة، **فجعل** يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعدَّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال أنا عبد الله صَبيغ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين، **فضربه** حتى دمى رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، **فدعي** به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، **فأذن** له إلى أرضه، **وكتب** إلى أبي موسى الأشعري باليمن: لا يجالسه أحد من المسلمين، رواه الدارمي. وقيل: كان متهماً برأي الخوارج.

والنووي رحمه الله تعالى قال في كتاب الأذكار: باب: التبري من أهل البدع والمعاصي.

وذكر حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة. متفق عليه.

وعن ابن عمر براءته من القدرية. رواه مسلم.

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرِها، **ودفعِ** المفاسد وتقليلِها، **وعلى** هذا تتنزل المشروعيةُ من عدمها، كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع].

الشرح:

هذا الكلام كله تابع للفصل الثالث، الذي يتكلم فيه المصنف عن أدب الطالب مع شيخه، وقلنا مراجعة لما مضى، **ورعاية حرمته** فرأس مال الطالب من شيخه؛ **فما الذي يريده منه؟** القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله.

وأمّا إذا تلقَّى عنه وتلقّن عنه فهذا ربح زائد، **لكن** لا يأخذه التعصُّبُ في محبة شيخه، **فتقع** في الشناعة أيُّها الطالب من حيثُ لا تشعر ولا تدري، **وكلٌّ** من ينظر إليك يدري.

واعلم أن التعصّب مقيت، **لذلك** حتى لو كان محقًّا، **فعلى** الإنسان أن يترك الجدال، **خصوصا** عبر هذه القنوات التي ابتدعت لنا في دنيانا، **سواء** عبر الكتب، أو عبر الفسبكة، أو عبر الشبكة العنكبوتية، هي أخذ وعطاء ورد دون فائدة، **والكلُّ** يدلي برأيه، فترك ذلك أولى.

وأيها الطالب! نشاط شيخك معلوم منك أنت؛ على قدر استماعك، **وإدراكك** لما يقول، **وفهمك** لما يقول، **وأن** تجمع نفسك على الاستماع إليه، **وأن** تتفاعل أحاسيسك شيخك في درسه، **هذا** يعطي شيخك نشاطا، **كما** قلنا سابقا، **فاحذر** أن تكون وسيلة قطع لعلمه، **كيف** تكون كذلك؟ **تكون** كذلك أيها الطالب بالكسل، **والفتور** والاتكاء، والنوم والتثاؤب، وانصراف الذهن.

والكتابة من كلام الشيخ وأثناء درسه، وحال المحاضرة، والمذاكرة، **وهي** تختلف في قبولها من شيخ إلى آخر.

وحذرنا الشيخ بكر رحمه الله من أبي الجهل المبتدع، الذي مسَّه زيغ في العقيدة، وغشيته سُحُبُ الخرافة، فهذا لا يأخذ منه ولا يتلقى عنه، وهذا في ساعة الاضطرار نأخذ منه، أما في ساعة الاختيار فلا، وساعة الاضطرار في جامعاتنا ومدارسنا الأكاديمية، الكل يدرس الثانوية، والجامعة، ويدرّس للدكتوراة، وهو أمر مضطر إليه طالب العلم ومجبور مقهور عليه؛ لأنه لا تعطى الشهادات من طرق أخرى، فهنا يوجد اضطرار.

ثم يناديك ويقول لك: يا أيها الطالب! إذا كنت في **السَّعَة والاختيار**؛ فلا تأخذ عن مبتدع: رافضيٍّ، أو خارجيٍّ، أو مرجئٍ، أو قدريٍّ، أو قبوريٍّ... وهكذا، **فإنك** لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد أو

العقيدة، أو سليم الدين والإيمان، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر؛ إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

تصوَّر وتخيل إنسانا في هذا الزمان يريد أن يهجر المبتدعة**!** سيُهجر هو؛ لأنه لهم الغلبة والكثرة، إذا ذهب إلى السوق سيجدهم، إذا ذهب إلى المدرسة سيجدهم، إذا ذهب إلى الجامعة سيجدهم، إذا ذهب إلى المستشفى سيجدهم، إذا أراد أن يشتري طعاما له أو شرابا، أو يبني بيتا أو ما شابه ذلك، اليوم هم الذين يتحكّمون ويتملّكون في قوت الناس، وفي مصادر رزقهم، فإن تعفَّفت أن تتوظَّف عندهم، وتطلب الرزق عندهم واعتزلت فأنت المنبوذ.

إذن هنا في حالة السعة والاختيار، **أما في حالة الاضطرار**، فحالة الأمة كلها اليوم في حالة اضطرار، من أكبرنا إلى أصغرنا، **وحال** الاضطرار يبيح الميتة، **فكثير** من الشباب لا يفقهون مثل هذه الأمور، **فيريدون** أن يعاملونا بما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لما كانت للمسلمين صولة وجولة وشوكة قوية، وهو حال الاختيار والسعة، **يريدون** أن يأتوا بهذه الأشياء وهذه النصوص ويوقعوها هنا في المعاملات، في الأخلاق والآداب..

نعم! في مسألة الصفات نعم، في العقيدة والتوحيد، والعبادة والصلاة والصوم نعم لا يأخذ من غير السلف الصالح، **لكن** حال الاضطرار في المعاملة، والحكم على الآخرين، **والحكم** بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، **كما** قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وبين النبي صلى الله عليه وسلم له بأنه ليس لهم إمام وليس جماعة، وبيَّن صلى الله عليه وسلم أنه في آخر الزمان؛ **"أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي"**. [١]

هدي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وسننه، **والمأثور عنه** صلى الله عليه وسلم، **فبماذا تأمرنا** بذلك؟ قال: عليك بالسمع والطاعة، فالسمع والطاعة في غير معصية الله سبحانه وتعالى. [٢]

---

(١) (حم) (١٤٤٤١).

(٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ». (خ) (٢٩٥٥)

درَّسَنا قبل ثلاثين عاما مادة التفسير في المدينة المنورة بالجامعة الإسلامية هناك شيخ يؤول الصفات؛ صفات الله سبحانه، وكان يدرسنا التفسير، فمن ضمنها تمرّ آيات فيها إثبات الصفات، فمرت هذه الآية: **{غضب الله عليهم}**، وهذه كانت أول سنة ذهبت فيها هناك، كانت من أوائل سورة البقرة، والغضب على اليهود نازل، تجد في أول سورة البقرة أنه اختص اليهود بغضب شديد، فأوّلها -الشيخ عفا الله عنه-؛ بأن المراد بغضب الله سبحانه، انتقام الله عز وجل، ولا يوصف الله سبحانه وتعالى بصفة الغضب، وأنا كنت لا أعرف لا أسماء ولا صفات، فأنا طالب جديد، وتعجبت من طالب هندي وقف للشيخ، وقال له: (**لا، هذه صفة من صفات الله، على مراد الله، ولا يجوز فيها التأويل**).

فرد الشيخ عفا الله عنّا وعنه قائلا: (**يا بني، الغضب معناه تمعُّر وتغيّر في الوجه، هذا ما تعنيه كلمة غضب؛ انتفاخ في الأوداج واحمرار في الوجه ونحو ذلك، والله منزه عن هذه الصفة**). ([1])، قال الطالب: (**ليس هذا المعنى، بل هو غضب يليق بجلاله، ليس كغضب المخلوقين**)، وصار الأخذ والردّ.

وبدأ يشرح له شيئا ما علمته وعرفته إلا فيما بعد والحمد لله عن صفات الله عز وجل، أن نثبتها كما أثبتها لنفسه سبحانه، من دون تأويل ولا تشبيه، ولا تمثيل ولا تعطيل، بصفة تليق بجلاله، **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)، لكن عندما أصرَّ الشيخ على التأويل رُفع شأنه إلى المسئولين والإدارة، فرحَّلوه إلى بلده.

ويقول الشيخ (بكر أبو زيد) رحمه الله: **وكتُبُ** السيَرِ والاعتصامِ بالسنة كالاعتصام للشاطبي وغيره، **وكتب** السير والرجال حافلةٌ بإجهاز أهل السنة على البدعة، **يعني** في الأفكار والمعتقدات التي هي خلاف الكتاب والسنة، **ومنابذةِ** المبتدعة، **والابتعادِ** عنهم، **كما** يبتعدُ السليمُ عن الأجربِ المريض.

والسلف -رحمهم الله تعالى- يحتسبون الاستخفافَ بهم، تصوَّر أنك تستخفّ بمن تعتقد أنه مبتدع، وهو صاحب مكانة، هو رئيس العمل الذي تعمل عنده، أو أستاذ دكتور تدرس عنده، أو طبيب فتستخفّ به وتقول له: (**إنك مبتدع**) كما يقول السلف، ما أحسنت في ذلك بإيقاع ما عليه السلف على الواقع

([1]) وفي اللغة: [(غَضَبَ) الْغَيْنُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ؛ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الْغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْغَضَبُ، لِأَنَّهُ اشْتِدَادُ السُّخْطِ. يُقَالُ: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، وَهُوَ غَضْبَانُ وَغَضُوبٌ...]. مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٨).

الذي تعيشه، هذا يختلف عن ما لم يكن في وقت السلف، لا يشابهه، **فحالنا اليوم** وما نحن فيه لا يشابه حال السلف رحمهم الله؛ لا في أكل ولا شرب، ولا في معاملة ولا ما شابه ذلك، **فيحاول الإنسان** قدر الطاقة والمستطاع أن يبتعد عن الحرام، وأن يكتسب الحلال والجائز، ولا مانع من الوقوع في المباح أو المكروه، خشية تضييع الواجب.

لذلك الاستخفافُ اليوم بهؤلاء، **والتحقيرُ** لهم، **ورفضُهم** يؤدي بالإنسان كما قلت؛ إلى الاعتزال. **وأين تعتزل؟** البحر من أمامك، **وخطٌّ** الهدنة من خلفك، وأنت بين ذلك، **فأين تذهب يا عبد الله؟!** نسأل الله السلامة.

لذلك يقولون: (**في حالة السعة والاختيار لا تتوارى نار سني ومبتدع**). وهذا في حال السعة والاختيار، **وليس** في حال الضيق والاضطرار، **ففي** حال الضيق لو جلست معه، **وتزوجت** منه، **وأنت** في نيتك هدايته إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم، لا أن تسقطَه وتبعدَه، **وتكرهه وتعامله** أكثر من معاملة الكافر الأصليّ، **فهذا** خطأ، **فهو** مسلم؛ **وإن** كان مبتدعا، **بيننا وبينه** نتفق على لا إله إلا الله، **ونشترك** معه في هدي محمد صلى الله عليه وسلم، **يؤمن** بهدي محمد صلى الله عليه وسلم، **لكن** اختلفنا في بعض الأفهام، يبقى الاختلاف، حتى نتفق عليها إن شاء الله، **لكننا** متفقون على أشياء وأصول، (1) **وهذا** الاختلاف لا يخرجنا عن ذاك الاتفاق، **والاتفاق** أقوى.

يعني حاول أن تضع في عقلك أنك تكلِّم واحدا من كلّ فرقة أو جماعة أو حزب موجود اليوم، **الذين** أنت تقول عنهم أنهم مبتدعة ومرجئة وخوارج، **ضعهم** كلَّهم أمامك، تجدهم كلَّهم يتفقون على كلمة (**لا إله إلا الله**)، **فاليوم** يتفقون على أن الله واحد، هو الخالق الرازق، **توحيد** الربوبية بالكامل، **تجدهم** يتفقون على أن (**محمداً رسول الله**)، بعد ذلك ممكن أن تكون اختلافات في أمور أخرى، **وقد** تكون كبيرة، **وقد** تكون صغيرة، لكن هذه الاختلافات لم تفسد هذا الاتفاق، **والذي** هو أصل من أصول الدين، وسيكون –هذا

(1) متفقون على الإيمان بأن الله واحد، وأن الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابنا هو القرآن الكريم، وأن الصحابة كلهم هم خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والطاعة لمن ولاهم الله أمورنا، واحترام علمائنا أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم، بعد ذلك فليحتمل بعضنا بعضا في الخلاف المحمود لا الخلاف المذموم.

الذي اختلفت معه- معك على الأرائك متكئين يوم القيامة في الجنة إخوانا، **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}**. (الحجر: ٤٧)

سمَّانا الله جل جلاله: إخوانا، مهما كنا في الدنيا في غلٍّ وحقدٍ، في حسد بين المسلمين، **فلتنسَ** هذا في الدنيا، **لتكسب** رضا الله سبحانه وتعالى قبل أن تدخل الجنة، **نحن** أحوج ما نكون اليوم فيما بيننا إلى الرفق واللين.

ولكن! للأسف وهذا كثير من الطلبة في هذا الزمان يريد أن يثبت نفسَه فقط**!!**

وأيضا عدم الصلاة على جنازة المبتدع، ولا الصلاة خلف المبتدع، **يقول** سهل ابن عبد الله التستري (١):

إنه لا يرى إباحة الأكل من الميتة، **فالميتة** بنصّ كتاب الله مباحة للمضطر، **لكن** لا يراها للمبتدع ولو كان مضطرًّا؛ لأنه في النهاية قال الله عز وجل: **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}**. (البقرة: ١٧٣)، **فالمبتدع** باغٍ على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومخالفٌ لها، **فلذا** هو باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، **تخيَّل اليوم** لو أن إنسانا يريد أن يوقع هذا على مجتمعاتنا اليوم، **إذن** تنسف علمك وطريقتك التي أنت تنظر أنها صواب وحق، **وتنظر** إلى الآخرين الذين تطردهم أنهم مبتدعة، من يجلس عندك ويستمع؟ **كيف** تنشر هذا الدين وهذه العبادة؟ **وهذا** المنهج أو المنهاج أو الشرعة، أو الطريق أو السبيل الصحيح الذي تعتقده؟

---

(١) هو [سهل بن عبد الله التُّسْتَري الصوفي، المشهور.

قال مسلمة: كان من أهل العلم والرواية والجمع، وكان ورعاً فاضلاً زاهداً دَيِّناً، ولم يكن يُحَدِّث، وكان يكره ذلك، وكان يذهب إلى الانقباض، فلم يزده ذلك إلا رفعةً وعلواً، وكان الناس يكتبون لفظَهُ وحِكَمَه، سكن البصرة، ومات بها يوم الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء، النصف من المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين]. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٥/ ١٦٠) ترجمة رقم (٤٩٠٢).

تصور أنّ كلّ شيخ يعتقد نفسه على منهج السلف الصالح، **وهو** الصحيح **وهو** الصواب، **ويطرد** الناس من مجلسه، **حتى** لو كانوا كذلك، **فنحن** لسنا كالإمام مالك رحمه الله الذي أمر أن يُطرد ويخرج من جلسته رجلٌ سأل عن كيفية الاستواء، قال: ما أراك إلا رجل سوء، اخرج، لسنا كذلك.

فوضع مالك رحمه الله يبيح له ذلك، **وهذا** أصل في المسألة، نقتدي بمالك في هذه المسألة، **وهذا** يكون في ساعة الاختيار، **الآن** هل نحن في سعة واختيار؟ **وتقول** أنت مسئول، **فلماذا** لا نطرد الذي نعلم عنه كذا وكذا؟**!**

لا! هذا خطأ كبير جدا، **بل** يا ليتنا نأتي بمن نظن أنه مبتدع، **فهذا** المبتدع يبقى لمن –يا عباد الله– إذا طردناه؟ ما يحضر الدروس التي نحن نقول عنها: إنها حقّ وصواب، إن شاء الله وقد يكون فيها خطأ، وكل إنسان معرض لهذا الشيء.

مشكلة المشاكل أن ينظر إلى ما كُتب، والذي كُتب خارجٌ عن الواقع الذي كتب فيه، في عهد ابن تيمية كلمات قالها لا تصلح لهذا الزمان الذي نحن فيه، إذا كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال حملت جرابين من العلم، بثثت أحدهما، ولو بثثت الآخر لقطع هذا الحلقوم، (1) في عهد بني أمية، إذا كان أبو هريرة يخبئ شيئا من العلم وما ذاك إلا خوفا من الفتن، وخشية من الضلال، وخشية من أمور كثيرة.

فلو علمت أن آية أو حديثًا إذا قلته في مجلس قد يثير فتنة اسكت عنه، **ما في داعي له الآن**؛ لأنه ليس العيب في الحديث أو الآية، **العيب فيك** أنت اخترت وقتا غير مناسب**!**

وما أكثر الجهلاء والأغبياء في مثل هذا الأمر، **ويتذرَّع** بأن هذا حِمْلٌ على ظهره، **ويريد** أن يتخلص منه، **كما** سمعت بعض الناس يقول: (**سأقولها للناس والذي يزعل يزعل، والذي يرضى يرضى**)، **وكأنه** همٌّ يريد أن يتخلص منه**!!**

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (**حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ**). (خ) (١٢٠)

لا يا أخي! أنت أيها الداعي، ويا طالب العلم، في المستقبل **عندما** تكون داعيا إلى الله عز وجلّ، الهدف أن يسمع منك خصمك، **ليس** حبيبك فقط، **ومن يجلُّك** حتى تنفع مثل هذه الأمور في الناس وتؤثر فيهم، **فنحن** في هذا الأمر الذي نحن فيه من طلب العلم، **وطلب** الأدب، **وطلب** الأخلاق، **نريد** أن نراه على صفحات الفسبكة التي انتشرت، **والكل** يتعصب لقوله ورأيه، **يتعصب** ثم يسبّ ويشتم الآخرين، **ونحن** نقول كما قال رسولنا الكريم: "**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ**"، وَقَالَ ابْنُ سَابِقٍ مَرَّةً: "**بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّان**". (١)

من سبني -مثلا- فأنا لا أسمع منه، **ولا** أستمع له، **واحد** يسبني ليلا ونهارا، **ثم** يطلب مني أن يحادثني، **فهذا** لا أسمع منه، **لكن** إنسان بأدب ورفق ولين ولو كان أكبر عدوٍّ جاءني **فهذا** أسمع منه؛ **لأن** في أسلوبه الرفق والأخلاق والآداب وحسن معاملة، **والنفوس** مجبولة على ذلك.

وكن سلفيًّا على الجادَّة، **وليس** كن من جماعة السلفيين، أو حركة السلفيين، أو حزب السلفيين، معناها سلفيا في العقيدة، **سلفيًّا** في العبادة، **سلفيا** في المعاملة، **سلفيا** في الآداب والأخلاق، **على** الجادة على الطريق الصحيح، **طريق محمد** صلى الله عليه وسلم، **تنفع** الناس ولا تضرّهم، **تدعو** للناس، **لا تدعو** عليهم، **هذه** السلفية الصحيحة، **والتي** هي الإسلام بصفائه ونقائه.

وابتعد عن من يفتنك، **فإنهم** يوظِّفون للاقتناص والمخاتلة سبلا، **يفتعلون** تعبيدها بالكلام المعسول، **(عسل)** لو قلبناها تصير لسع، **وبعض** الناس كلامه عسل، **لكنه** يلسع، **لذلك** مثل هذه الأمور ما وراءها إلا كما قال الشيخ رحمه الله: **وَحَمُ** البدعة، **فالبدعة** موجودة لكن يظهر أشياء أخرى، **ورَهَجُ** الفتنة، وهو يريد أن يغرسها في فؤادك، **فلذلك** كن مع الله سبحانه وتعالى، **وأحسن** الظن بإخوانك المسلمين، **فالعق** العسل ولا تسل، مع عالم من علماء السنة.

وهذا الذي ذكره في حالة **السعة والاختيار**، أما إذا كنت في دراسة نظاميَّةٍ لا خيار لك، فاحذر منه، واحذر من دسائسه على حد قولهم: اجنِ الثمارَ وألق الخشبةَ في النار، أنت الشجر ماذا تريد منه؟ خذ الثمرة، أما الخشبة ماذا تريد منها؟ لأن الخشب قد يكون وقد يكون.

---

(١) (حم) (٣٨٣٩).

ومن النُتف؛ (١) أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، **وبعض** الناس تشدَّد وتعصّب عليه، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ **يا أخي** صدق في هذه المسألة، فقال: أبيعكم اللحم بالعظام، **لماذا**؟ لأنه كان يقول رحمه الله: **حدثنا** فلان وهو مرجئ، **حدثنا** فلان وهو معتزلي.

قال الشيخ بكر رحمه الله: **وما سطرته** لك هنا هو من قواعد معتقدك، **عقيدة** أهل السنة والجماعة، ومنه ما في العقيدة السلفية أيضا **وهذا** كتاب لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني المتوفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة من الهجرة، قال رحمه الله تعالى عن السلف الصالح:

ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، **ونحن كذلك والله**، نبغضهم ونبغض أعمالهم، **لكن** كيف نتعامل معهم إذا وجدوا في هذا الزمان؟ **زمانهم** يختلف عن زماننا، **لابد** من معاملتهم بالحسنى، **وعدم** المقاطعة، كما قال الشيخ الألباني رحمه الله: **لا أرى الهجر في هذا الزمان**. (٢)

فإذا كان في حال الاختيار؛ لا يصحبونهم، لا يسمعون كلامهم، **ولا** يجالسونهم، **ولا يجادلونهم** في الدين، **ولا** يناظرونهم، **ويرون** صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، **كما** فعل أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عندما جلس مع مبتدع، **لعله من الخوارج**، قال له: **تقوم أو أقوم**؟ قال: **اسمع مني**، قال: **لا أسمع منك**، قال آية، قال: **ولا نصف آية**، فجلس الرجل وقال: **إما أن تقوم أو أن أقوم**، ووضع إصبعيه في أذنيه، فقام

---

(١) النُتْفَةُ: ما نَتَفْتَهُ بأصابعك من النَبت أو غيره، والجمع النتف. من الصحاح.

(٢) وهنا كلام نفيس للشيخ المربي الألباني رحمه الله قال حول التعامل مع المرابين: [ينبغي هكذا أن يعامل هؤلاء بالنصح والموعظة، ولا ينبغي أن يبادر إلى مقاطعتهم وهجرهم؛ لفساد المجتمع الذي نعيش فيه، لأنك إن فتحت باب الهجر والمقاطعة فسوف لا يبقى حولك من الناس إلا القليل وحينذاك يكون خيرا لك أن تعتزل الناس جميعا، على رأس جبل وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)**.

ينبغي هذا المدعو إلى طعامهم، أن يجد في نفسه حرجا من طعامهم، **ولكن** في الوقت نفسه يتذكر هذا الذي نقوله بوجوب مواصلتهم، وتذكيرهم بما هم فيه من المخالفة **فإذا** كان كذلك، فلا نرى في ذلك بأسا، من أكل طعام هؤلاء أو استجابة دعوتهم.

أما أن تستجاب دعوتهم دائما وأبدا، **ولا ينصح** المستجيب لدعوتهم لهم بنصيحة، **فهذا** هو النفاق وهذا هو الذي يكون عاقبة أمره،...]. تفريغ سلسلة الهدى والنور للشيخ الألباني– الإصدار ٢ (٩٧/ ٨).

الرجل، **وهذا في حال الاختيار**، فقيل له: **هو يقول آية**، فقال: **أخشى ما بعدها، والآية تدخل القلب، فيدخل ما بعدها في قلبي**.

كذلك سليمان بنِ يسارٍ يروي أن رجلا يقال له: (**صَبيغ، قدم المدينة**)، لعله من العراق، فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعدَّ له عراجين النخل.

العرجون هو الذي يحمل ثمر النخيل من رطل وتمر، **ولونه** أصفر، قال العلماء هو منحني **ولونه** أصفر، يصير مثل القمر، **{حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}**، لا الجديد، تستخدمه أمهاتنا القديمات، **لكنس** البيوت وتنظيفها، **أما نساؤنا** في هذه الأيام لا، **نساء زمان** كن ينظفن به فناء البيت ونحوه، ويقال عنه: عثكول.

فقال: (**من أنت؟**) قال: (**أنا عبد الله صَبيغ**)، وكان يسأل عن الذاريات ذروا ما هي؟ وبعض الأشياء من المتشابهات، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين، فضربه حتى دميَ رأسه، ثم تركه، **هذا ولي الأمر** هو الذي يقوم بهذا الشيء، لو يوجد بيننا عمر، ماذا سيفعل بالناس؟ **وكلُّنا** واقعون في الذنوب، كلنا مخطئون، **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي}**، لكن نسأل الله السلامة.

إخلاصك لله يبرئُك، **نسأل الله** أن يرزقنا الإخلاص الذي يبرئُنا عنده، **فما منا** إلا ويقع في خطأ، أو معصية، **نسأل** الله السلامة، نكمل القصة:

ثم تركه حتى برأ، فدعي به ليعود، فقال في الثالثة: (**إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً**)، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن: (**لا يجالسه أحد من المسلمين**).

ومن باب المعلومة لطلبة العلم؛ أن أسماء الأبوابَ وأسماء الكتبَ في صحيح البخاري من البخاري، **وأسماء الكتب** في صحيح مسلم فمن مسلم، **وأمَّا الأبواب** في صحيح مسلم فمن النووي، **فمسلم** لم يبوب، **وإنما البخاري** الذي جعل كتبا وأبوابا، **فمسلم** جعل الكتب، **والنووي** جعل الأبواب، **والنووي** رحمه الله بوب في صحيح مسلم، **وجعل** بابا خاصا في كتاب الأذكار له: باب التبري من أهل البدع والمعاصي.

وذكر حديث النبي صلي الله عليه وسلم؛ "**أنه برئ من الصالقة**"، وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة، "**والحالقة**"، وهي التي تحلق شعرها عند المصيبة، "**والشاقة**"، ([1])، وهي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

وابن عمر رضي الله عنه أعلن (**براءته من القدرية**). رواه مسلم ([2]) يعني يتبرأ من بدعة القدرية.

والأمر في هجر المبتدع ينبني عليه، **ولاحظ** هذا الكلام مراعاة المصالح وتكثيرِها، **ودفعِ** المفاسد وتقليلِها، **أما هجر المبتدع** إذا كان يقلل المصالح ويكثر المفاسد، **لا داعي** لهجره، **وهذا** خلاصة الكلام الذي قلته سابقا، وعلى هذا تتنزل المشروعيةُ من عدمها، مشروعية الهجر، أو عدم مشروعية الهجر على هذا الأمر، وليس الكثير يعلم ذلك، فلذلك **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**.

قال المؤلف رحمه الله: [**والمبتدعة** إنما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، **وفشا** الجهل، **وفيهم** يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، **ولم يكن هناك** من أهل العلم بالنبوة **والمتابعة** لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، **ويكشف** ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال. أهـ.

فإذا اشتد ساعدك في العلم، **فاقمع** المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان، والسلام].

الشرح:

([1]) قل أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا شَدِيدًا، فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: **أَنَا بَرِيءٌ** مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **إِنَّ رَسُولَ** اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**». (خ) (١٢٩٦)، (م) ١٦٧- (١٠٤).

([2]) قال يَحْيَى بْن يَعْمَرَ لعبد الله بن عمر: (أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ)، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**». (م) (٨) في حديث طويل.

كلام قيّم، كلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه، **فإن** هذا الصنف **وهم المبتدعة** وفشوهم وظهورهم والأرض الخصبة لهم، الجهل، **والجهل** يفشو في الشباب، أكثر من غيرهم، خصوصا هذه البدعة أو هذه المخالفة للسنة، **قد توافق** هوى في الشاب، **وقد توافق** اندفاعا منه، **فيزداد قبول** هذه الأرض الخصبة، لهذا الأمر، وهذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية أي الجهل، **وكثر** أهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال.

وأنا أقول: اليوم –والله أعلم– إن علم النبوة والمتابعة لها وأنوارها كلها موجودة في علماء الأمة المعروفين الذين يشار لهم بالبنان، **ويشهد** لهم الجميع الأول والآخر، **لكن** نقول عنهم علماء، **لا نستطيع** أن نقول عنهم معصومين، نعترف لهم بعلمهم، **كهيئة** كبار العلماء في السعودية مثلا، **وعلماء الأزهر** في مصر، وكل بلد فيها، والحمد لله، من تونس والمغرب **والهند** مليئة بالعلماء، وكذا الباكستان مليئة بالعلماء المسلمين على السنة والمنهاج، علماء ليسوا بعرب، **لكنهم** عرب بالقرآن، **وبالعلم** فمن أنكر أمثال هؤلاء فليتفقد نفسه، الذي لا يقر لهؤلاء بهذا العلم، **فليتفقد** نفسه، **وسنته** وهديه ومنهاجه وطريقته، وليتفقد إيمانه وتوحيده.

إذا كان هؤلاء نغلق عليهم، **ونسقطهم** ولا نأخذ منهم علما؛ إذن فلنقل على دين الإسلام السلام.

هذه الأمور وأمثالها يجهلها كثير من الشباب، والتحزب والتعصب للحزبية وما شابه ذلك، **تجعلهم** يطفئون النور الذي يشع من أمثال هؤلاء العلماء؛ **لأن** المتحزب المتعصب لا ينظر إليهم بعين الهيبة والجلال!!

فتجد الشابَّ الحدث صغير السن والعلم يتكبر على الأكابر، ويقول: من هو فلان؟ ومن هو فلان؟

وفلان هذا عالم كبير، **ربما** تخرّج وأخذ العلم على المشيخة والمشايخ، **وجلس** على كرسيّ الإفتاء قبل أن يأخذ والده أمَّه، أو يأخذ جدُّه جدَّته، **وهو** في العلم بحر، **ثم** يأتي هذا الصغير، **ويتصدر** للتعليم، **ويصدق** عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن يؤخذ العلم عن الأصاغر! (١)

---

(١) عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**". (طب) (ج ٢٢/ ص: ٣٦١، ح٩٠٨)، صَحِيح الْجَامِع: (٢٢٠٧)، الصحيحة: (٦٩٥).

من الذي يعجبه؟ ومن أين يستقي علمه؟ ومن شيخه؟ شيخه يكون شبكة **(غوغل)**، وهذا عنده مقدم على كل شيء، **ولعله** يفحمك بغوغل، وهو لا يعرف ماذا يقول؟ أو ماذا يقرأ عن هذا أو ذاك؟

وظهرت أسماء أناس مجهولين ليسوا معروفين إلا لأهل الأهواء، **صاحب** هوى أعجبه الكتاب، **قرأه** وجعله دليلا، **أين** علماء الأمة؟ **أين** هؤلاء؟ **أين** هذا؟ **وأين** أنت؟ **وأين** مشايخه؟ نسأل الله السلامة.

وهذا حالنا الذي نعيشه كما قلت: **يختلف** عن حالنا قبل ثلاثين عاما، عن قبل خمسين عاما، **يختلف** عمّا قبل مائة عام، **حال المسلمين** قبل مائتي عام، يختلف عن قبل ألف عام، قبل ألف وأربعمائة عام، تطورات كثيرة جدا تحدث.

ففي حال السعة والاختيار قال: (**إذا اشتد ساعدك في العلم، فاقمع المبتدع وبدعته، بلسان الحجة والبيان، والسلام**).

قال المؤلف رحمه الله:

[الفصل الرابع: أدب الزمالة

احذر قرين السوء:

كما أن العرق دساس، **فإن** أدب السوء دساس، إذ الطبيعة نقالة، **والطباع** سراقة، **والناس** كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، **فاحذر معاشرة** من كان كذلك، فإنه العطب والدفع أسهل من الرفع.

وعليه، فتخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك، **ويقربك** إلى ربك، **ويوافقك** على شريف غرضك ومقصدك، **وخذ** تقسيم الصديق في أدق المعايير: **صديق** منفعة، **صديق** لذة، **صديق** فضيلة.

فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما، المنفعة في الأول واللذة في الثاني، **وأما الثالث** فالتعويل عليه، **وهو الذي** باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما.

وصديق الفضيلة هذا عملةٌ صعبةٌ يعزُّ الحصول عليها.

ومن نفيس كلام هشام بن عبد الملك رحمه الله (م سنة ١٢٥هـ) قوله: ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخٌ أرفعُ مؤونة التحفُّظ بيني وبينه. أهـ.

ومن لطيف ما يفيد بعضهم: العزلة من غير عين العلم: **زلة**، ومن غير زاي الزهد: **علة**].

الشرح:

الفصل الرابع، إذن سبق الكلام عن أدب الطالب مع نفسه، مع شيوخه، مع درسه وكتابه، هنا جعل للزمالة فصلا **أدب الطالب مع زميله**، لكن ما أطال فيه، جعله مختصرا، ويا ليته أطال؛ لأن الزمالة اليوم؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**". (١)

لكنه حذَّرَ من قرين السوء، **لماذا؟** قال: لأن العرق دساس، **فكما** أن العرق دساس، **فإن** أدب السوء دساس، **دساس** معناه أن يمرر ما يريد بخفية، **والعرق** دساس، **إذا** تزوجت امرأةٌ مثلا وأحد آبائها أسود، **فالعرق** دساس سيكون أحد أبنائها أسود لا محالة، أو أحفادها، أو أحفاد أحفادها، **"لعله نزعه عرق"**، كما ورد في الحديث.

كذلك الصديق يأخذ من صديقه خيرا وأدبا، أو يأخذ غير ذلك، **فالطبيعة** نقَّالة، **فطبيعة** الإنسان أن ينقل ويقلد، **والطباع** سراقة، **والناس** كأسراب القطا، هذا المثل ضربه أكثر من مرة، **فأسراب** القطا، يشبه الأول تماما، **لا تختلف** قطاتان في اللون ولا في الهيئة، ولا في الصوت بالنسبة لنا، هي طيور بينها لغات وتعرف بعضها، **لكن أسراب** القطا متشابهة، **فالناس** كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، **فهذا** فيه العطب، **والدفع** أسهل من الرفع، **يعني** تدفع الشيء قبل أن يصلك أسهل من أن ترفع الشيء بعد وصوله، **وتكون** قد تلوثت به، يعني نجاسةٌ في الطريق فبعود من بعيد ترفعها، أسهل بكثير مما لو رفعتها بيدك، أو بحذائك فعلتها، **فتريد** أن تخلص الحذاء منها، وهنا قال: الدفع أسهل من الرفع.

---

(١) (حم) (٨٣٩٨)، (ت) (٢٣٧٨)، (د) (٤٨٣٣)، انظر صَحِيح الْجَامِع (٣٥٤٥)، الصَّحِيحَة (٩٢٧).

وعليه؛ فتخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك، من علمٍ يعينك على هذا، **ويقربك** إلى ربك، وهذا شرط آخر، **فقد** يكون العلمُ علمَ ضلالٍ والعياذ بالله، أو علمَ فسقٍ وفجور، **كمن** يتعلم الرقصَ والفجور والطبل، **بحجة** أنها تأتيه بالنقود.

غالب الناس؛ كلُّ شيء عندهم يأخذونه دينا إلا هذا الغناء والطرب **فيدفعون** النقود مقدما؛ **ليأتيهم** من يرقص أو يغني، **يدفعه** مباشرة، **حتى** يمكن أن يتأخر **ويعتذر** لأصحاب الديون، **وفي** وقت آخر يعطيهم نقودهم، بعد سنتين ونحوها.

فلذلك قال: **يقرِّبك** من ربك، **فنريد** علما يقربنا من الله عز وجل، **وأهم شيء** الإخلاص في هذا العلم، **ويوافقك** على شريف غرضك ومقصدك، **وخذ** تقسيم الصديق في أدقِّ المعايير، **فجعلها** ثلاثة أصدقاء:

صديق منفعة؛ وهذا يرافقك لأنك ابن المسئول، لعلك توظِّفه، فهذا منفعة، أو هو ينفق على أصحابه، كما يفعل بعض الناس.

أو صديق لذة، من باب الصداقة فقط، لقضاء شهوة ولذة، فهو لا يريد شيئا آخر.

لكن هناك صديق فضيلة يريد الفضل، ومعنى الفضل؛ الزيادة في الخير والهدى والرشد. (١)

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

[صديق منفعة: وهو الذي يصادقك مادام ينتفع منك؛ بمال أو جاه أو غير ذلك، فإذا انقطع الانتفاع فهو عدوك لا يعرفك ولا تعرفه.. وما أكثر هؤلاء.

والثاني. صديق لذة: يعني لا يصادقك إلا لأنه يتمتع بالجلوس إليك، والمحادثات والمؤآنسات والمسامرات، ولكنه لا ينفعك ولا تنتفع منه أنت، كل واحد منكم لا ينفع الآخر، ليس إلا ضياع وقت فقط. هذا أيضاً احذر منه أن يُضيع أوقاتك.

والثالث. صديق فضيلة: يحملك على ما يزين، وينهاك عن ما يشين، ويفتح لك أبواب الخير، ويدلك عليه، وإذا زللت نبهك على وجه لا يخدش كرامتك، هذا هو صديق الفضيلة]. تهذيب حلية طالب العلم.

فالأولان منقطعان وهما صديقا المنفعة واللذة، وهذه تذهب، فإذا ذهبت المنفعة تتوقف عنه، أو تتركه، أو تصير الصداقة عداوة، وكذلك اللذة؛ لأن بعض الناس دائما يبقى مع أصحابه، ما في شيء أصلا، لكنه يبقى مع أصحابه، يقدم أصحابه على والديه، يقدم أصحابه على زوجته، على أولاده، وعلى عمله، لا لشيء، **المهم** هو يستمتع بالجلوس والمفاكهة والحديث وما شابه ذلك، فهذا ينقطع.

والتعويل على صديق الفضيلة، **وهو** الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كلٍّ منهما، يعني واحد رأى آخرَ مؤدبا، **ويرتقي** في العلم وفي الحفظ، **أحبَّ** أن يصادقَه ليستفيدَ منه ويأخذ منه.

لذلك قالوا -كما ذكر ذلك ابن الجوزي رحمه الله في كتابين له، كتاب (**الحمقى والمغفلين**)، وكتاب (**الأذكياء**) فأنا نسيت في أيهما قرأته، ولعله في الكتابين موجود الكلام الذي أقوله وينفع في الكتابين، **فيقولون** ولعله منسوب للإمام في اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي، **قال الناس أربعة**: **رجل يعلم**، ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فخذوا منه، **ورجل يعلم** ولا يعلم أنه يعلم فذاك ناس فذَكِّروه، **ورجل لا يعلم**، ويعلم أنه لا يعلم فذاك طالب علم فعلموه، **ورجل لا يعلم**، ولا يعلم أنه لا يعلم، فذاك أحمق فاجتنبوه،[1] والأخير هذا لا نريده أبدا، لأنه لا يعرف نفسه أنه عالم، ولا يريد العلم أصلا، نسأل الله السلامة.

وصديق الفضيلة فيما قرأ عملةٌ نادرة، وفي الطبعة التي هي عندي، قال: عملةٌ صعبةٌ، ومعنى (**عملة صعبة وعملة نادرة**) قليل وجودها، نادرة الوجود، **يعزُّ** الحصول عليها، **فإذا** ظفرت بإنسان فضيلة فتشبث به وبأذياله.

يقول ابن عبد الملك هشام: (**ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخٌ**)، مع أنه خليفة يريد أن يؤاخيه، ماذا يفعل معه؟ (**أرفعُ مؤونة التحفُّظ بيني وبينه**)؛ لأن الكل يتحفظ من الآخر، لكن ما في تحفظ بين الزوجين مثلا، كذلك الذين عندهم صداقة قديمة مستقرة وخالصة لا تحفُّظ بينهما، الكل يقول ما عنده من أسرار وشجون وهموم، وما شابه ذلك.

---

(١) الذي في (أخبار الحمقى والمغفلين) (ص: ٣٨): [قال الخليل بن أحمد: **الناس أربعة**، رجل يدري ويدري أنه يدري، فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكروه، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري، فذاك طالب فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه].

كذلك من لطيف ما يفيد أو يقَيَّد بعضهم: (**العزلة من غير عين العلم**)، وعزلة كلمة مكونة من أربعة حروف، لو رفعنا عين العلم، **العزلة بدون علم ماذا تصبح؟** زلة، ولو رفعنا زاي الزهد، تصبح عِلَّة.

أنا أضيف إلى هذا الكلام وأقول: (**عزلة**) بدون اللام لام اللؤم، تصبح عِزَّة، يا أهل غَرَّة.

قال المؤلف رحمه الله:

[الفصل الخامس: آداب الطالب في حياته العلمية

كبر الهمة في العلم:

من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركزِ السالب والموجب في شخصك، الرقيبِ على جوارحك، كبر الهمَّةِ يجلبُ لك بإذن الله خيراً غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دمُ الشهامة، والركضُ في ميدانِ العلمِ والعمل، **فلا يراك الناسُ** واقفاً إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطاً يديك إلا لمهمات الأمور.

والتحلِّي بها يسلبُ منك سفاسف الآمال والأعمال، **ويجتنَّبُ** منك شجرةَ الذلِّ والهوانِ **والتملُّقِ** والمداهنة، **فكبيرُ الهِمَّةِ** ثابتُ الجأش، لا ترهبُه المواقف، **وفاقدُها** جبانٌ رعديد، تغلق فمَه الفهاهة.

ولا تغلطْ فتخلطْ بين كِبَرَ الهمة والكِبْر، **فإن** بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع.

كِبَرَ الهمة حليةُ ورثة الأنبياء، **والكِبْرُ** داءِ المرضى بعِلَّةِ الجبابرة البؤساء.

فيا طالب العلم! ارسم لنفسك كبر الهمة، **ولا تنفلت** منه، **وقد أومأ الشرع** إليها في فقهياتٍ تُلابس حياتك؛ **لتكون** دائماً على يقظة من اغتنامها، ومنها:

إباحة التيمم للمكلف عند فقد الماء، **وعدم** إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء؛ لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالاً.

وعلى هذا فَقِسْ، والله أعلم].

الشرح:

في هذا المقطع من **الفصل الخامس** في آداب الطالب في حياته العلمية، **بعد** أن عرفنا أدبه في الزمالة، أو مع زملائه ومشايخه، ومع كتبه ومع درسه، **فكِبَرُ الهمة** في العلم، يعني يكون عند الإنسان همة للطلب، سواء يوجد في المستقبل أو لا يوجد، **لكن** يجعل طالب العلم في نفسه في الداخل همة لحفظ القرآن الكريم كاملا، ثم يجعل في نفسه همة بعد حفظه كاملا، **حفظه** على القرءات الأربع عشرة حتى بالشاذة، يجعل في نفسه هذه الهمة، وما حصل منها جيد.

ثم يضع في نفسه حفظ الحديث **وحفظ** اللغة، **وحفظ** الأدب، **وحفظ** أقوال السلف، **وقراءة** التاريخ وفهمه، **تاريخ** المسلمين القديم والمعاصر، **يجعل** عنده هم كثيرة جدا، **ويتخذ** طرقا وبرنامجا ومنهجا للسير على ذلك.

فلو أن إنسانا همته أن يمشي ألف ميل، **لو مشى** مائة ميل يشعر بالتعب، **لكن** لو كانت همته أن يمشيَ مائة ميل إذا مشى عشرة أميال يشعر بالتعب.

سمعت من بعض كبار السن من يدعو يقول: **(يارب مترين في مترين في الجنة)**، فقلت له:

(يا أيها الحاج! الذي يقول مثل هذا الكلام لن يحصل على هذا، **والنبي** صلى الله عليه وسلم دلنا على أمر آخر، أن نسأل الله الفردوس الأعلى في الجنة، **فإنه** أعلى الجنة وأوسط الجنة، **الهمة** التي تريد أن تصل الفردوس إن لم تصل إلى ما تريد، وصلت إلى الأقرب، **أقل** نصيب لهم في الجنة؛ مثل الدنيا عشر مرات [1]، وأنت تقول: **مترين في مترين)**.

---

[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ الجَنَّةُ مَلْأَى، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الجَنَّةُ مَلْأَى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ**". (خ) (٧٥١١)، وانظر (خ) (٦٥٧١)، (م) ٣٠٨- (١٨٦).

فمن يطلب القيل من الغني الكريم كأنه استهزاء بالله الكريم الواسع العطاء سبحانه، **فأنت** اجعل من همتك الشيء البعيد الأعلى، **وحاول** أن تمشي لترى إلى أين تصل وماذا تحصّل؟ **وابحث** عن زميل لك آخر وضع هدفا، **وانظر** إلى أين وصل.

وهذا يذكرنا بحديث ذلك الشيخ الذي يشرح زاد المستقنع، **وقد حضره شابٌّ** ثم انقطع عن مجلسه مدة، ثم عاد فوجد الشيخ يشرح زاد المستقنع هو هو، فقال للشيخ:

(**يا شيخ الناس وصلوا القمر وأنت ما زلت تشرح زاد المستقنع؟!**) فرد عليه الشيخ:

(**هم وصلوا القمر، ونحن في زاد المستقنع، وأنت وصلت أين؟!**)

لا هنا ولا هناك، **الله أعلم** أين جرى مع الأحزاب، مع الجماعات، مع الفصائل، مع الحركات، **لكن** بقي كما هو، لا أرضا حرّر، ولا دينا نصر، **ولا مالا** جمع من عرقه وجبينه، ولا علما تعلم.

وهذه حال كثير من الناس المتنقلين، ما في عنده هدف معين، **فلابد** من هدف معين يرضي الله عز وجل، ويكون سهلا ميسورا، **لا يضع** في باله أن يصعد إلى السماء السابعة في لمح البصر، **فهل أنت** نبيٌّ تريد معراجا، **انتهى** هذا لا تُكلَّفُ به، **أنت** ابقَ في همِّك.

فلذلك من سجايا وصفات الإسلام التحلِّي بكبَرِ الهمة، **وهذه** غير كبْر، **الحروف** نفسها لكن الحركات أدت إلى تغيير المعنى، **كِبْر** بسكون الباء، وكِبَر بفتح الباء، **فكن** واقفا دائما على أبواب الفضائل، دائما ابحث عن الخير، **باسطاً** يديك لمهمات الأمور.

وتحلَّ؛ بل دائما كن متحليًا بما يسلبُ منك سفاسف، والسفاسف قالوا: [**جُوعٌ سُفاسِفٌ**، بالضمِّ: شَديدٌ، =يعني عندك حرص شديد جدًّا=، **والسَّفْسافُ**: الرَّدِيءُ من كُلِّ شيءٍ، والأمْرُ الحَقيرُ،..]. القاموس، سواء من القول أو الفعل أو الأدب، أو الطعام أو الشراب أو ما شابه ذلك.

ويُطلب منك أن تجتنب شجرةَ الذلِّ والهوانِ والتملُّقِ، أي كن عزيزا لا تتلّمق لأحد، خصوصا في الدنيا ولا تداهن، فكبيرُ الهِمَّةِ ثابتُ الجأش، لا ترهبُه المواقف، وفاقدُها جبانٌ رعديد، تغلق فمَه الفهاهة، والفهاهة مأخوذة من الفعل فهَّ، فاءٌ وهاءٌ مشددةٌ، فعل ماض مبني على الفتح، [وَقد فَهَّ يَفَهُّ =فعل مضارع

لكنه مرفوع= فَهاهَةً وفَهَّةً، قالوا: معناها السقطة، أو أن يعيَى لا قدرة عنده على الإكمال، يصيبه عِيٌّ، إنما شفاء العِّيِ السؤال ومعناه=: جاءَتْ مِنْهُ سَقْطَةٌ مِن العِيِّ وغيرِهِ].= تاج العروس.

ولا تغلطْ فتخلِطْ، تسمعُ الكلام فتتعالى على أمثالك، **فأنت** متكبِّر، **فبدل** أن تأخذ كبَرَ الهِمَّة دخلت في كِبْرِ الجبابرة، وفرق بينهما، كما قال الشيخ: كما بين السماء ذات الرجع، **والأرض** ذات الصدع.

فكِبَرُ الهمة ميراثٌ من ميراث الأنبياء، **والكِبْرُ** ميراث إبليس داء الجبابرة والمتكبرين.

ارسم لنفسك يا عبد الله كبَرَ الهمة، **انظر** كم أخطأت فيها، **وكأنّ** الكِبْرَ منتشر بين الناس؛ **لأن** كثيرا من الناس ينظر إلى نفسه وعنده قدرُ شبر من العلم، **وكأنه** أعلمُ من الناس كلِّهم، **والناس** لا يعلمون شيئا، فيأخذه بهذا داء الكبر، ولا تنفلت منه.

وقد أومأ الشرع إليها في فقهياتٍ تُلابس بالباء، **وتلامس** بالميم حياتك، **فتلبس** الحياة لبسا، **هذه** الحلية، أو تلمسها لتكون دائماً على يقظة من اغتنامها، **وجاءك** بمثال وهو التيمم بالتراب عند فقد الماء، **وعند** عدم القدرة عليه، **لكن** لست ملزما بقبول الهبة، **كأن** يعطيك أحدُهم قارورة ماء، **ويقول لك**: خذ هذه توضأ بها، فصارت مِنَّةً، **لوم** لا يُلزِمك الشرع بذلك مع الجواز، **أو قال لك**: خذ مبلغا وليكن اثنان من الشواكل ثمن قارورة ماء يعطيك إياها، هنا قال لك: **لا بل عف عن ذلك**؛ لأن في ذلك منةً من المال تنال من الهمة منالاً، وعلى هذا فقس.

قال المؤلف رحمه الله:

[النهمة في الطلب

إذا علمت الكلمةَ المنسوبةَ إلى الخليفةِ الراشد عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه: **(قيمة كل امرئ ما يحسنه)**، وقد قيل: **(ليس كلمةٌ أحضَّ على طلب العلم منها)**، فاحذر غلط القائل: **(ما ترك الأول للآخر!)** وصوابه: **(كم ترك الأولُ للآخر!)**

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، **وابذل** الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، **ومهما** بلغت في العلم، فتذكر: **(كم ترك الأولُ للآخر!)**

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من تاريخ بغداد للخطيب ذكر من قصيدة له:

لا يكون السريُّ مثل الدنيِّ *** لا؛ ولا ذو الذكاءِ مثل الغبيّ

قيمة المرء كلما أحسن المر *** ء قضاءُ من الإمام عليّ]

الشرح:

=**النهمة** في طلب العلم، بأن يكون نهما في طلب العلم، **فنجد** بعض الناس نَهِما في طلب المال، ليلا ونهارا، **حتى** في الرؤى والأحلام تكون في جمع الأموال.

وآخر أدمن على شهوات النساء، يفكر في البنات كيف يقابلهن، **وكيف** يحادثهن، **نقود** ونساء.

وآخر همُّه أن يصل إلى الوزارة، أو إلى الرئاسة أو إلى الحكم أو ما شابه ذلك.

لا! بل نريد طالب العلم أن يكون نهما في طلب العلم، في الليل والنهار يفكر.

سمعت عن بعض الناس كبير في السن أكبر مني بعشر سنين، يقول لي: (**إن أحيانا تأتيني فكرة، مسألة ما معي إلا القلم، ولا يوجد أي دفتر ولا ورقة، فأجد في الطريق علبة دخان فارغة، أو بكيت بسكويت فارغ، أمسح عنه الغبار، وأكتب عليه المعلومة وأحتفظ بها**)، هذا وهو كبير السن طالب للعلم، بلغ السبعين أو قاربه.

واليوم؛ كتابٌ أو جوالٌ ومسائل علمية تمر عليه ثم يغفل عن تقييدها، **فالكلمة المنسوبة** للخليفة الرابعة الراشد عليِّ بنِ أبي طالب أبي الحسنين وأبي تراب رضي الله عنه يقول: (**قيمة كل امرئ ما يحسنه**). (١) إذا أحسنت شيئا هذه قيمتك، **والذي** يحسن الشهوات مع النساء يسمى (زيرا)، **ولذا** يسمى الزير سالم بهذا الاسم، أي زير نساء، يشرب الخمر ويعاقر النساء، والعياذ بالله.

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (٦/ ١٧٨) رقم (١٦٩٢).

وكذلك حب المال فيسعى لأن يصبح **(قارورنيا)**، وهذه من عندي، أي صاحب خزائن مكدسة، مفاتيحها **مجموعة** من الرجال الأشداء لا تقوى على حملها، وهكذا.

فطالب لا يريد الزيرية ولا يريد القارونية، ولا يريد الفرعونية، كل هذه انسب لها هذا الشيء، وفي التجارة أيضا أُبيٌّ بن خلف، **ينام ويصحو** وهو يفكر في المال، **فمن** أكثر من شيء سيطر على تفكيره حتى عند موته.

بعض الناس كان يحتضر ويذكرونه **(بلا إله إلا الله)**، وهو يقول: **(كش ملك)**، وهذه التي تقال عند لعبة الشطرنج.

وغيره ذكروه عند لاحتضار يالشهادة، فكان يقول لهم: **(تتن حار، تتن حار)**، ويذكرونه ويعيدها، وهذا عن الدخان، **فماذا ختم له هذا الإنسان؟** تفكّر في هذا الشيء وتشبَّع منه، **وصار** همّا عليه، ما يفكر في غيره، سبحان الله**!**

أحد كبار السن نصحوه بالإقلاع عن التدخين فقال: **(الدخان لي خمسين سنة معه، صاحبي فكيف أتركه؟)** وتوفي رحمه الله، وبقي معه صاحبا حتى وفاته، وهذا من عدة سنوات، وغيره كثير، واسألوا بعض كبار السن، فهذه واردة بينهم، صحبة خمسين سنة، يقطعه الله من صاحب، اللهم آمين.

كم ترك الأول للآخر، إذن خطأ أن تقول: ما ترك الأول للآخر، كلّهم انتهوا، لا هناك أمور في كل عصر وأوان لها علماؤها يستنبطون لها الأحكام التي تناسبها.

اليوم الحمد لله الرئاسة والملك والخلافة، لا توجد خلافة، **فقط** في ملوك وفي رؤساء، **كيف الوصول** إلى ذلك؟ **قديما** كانت بالشورى، **وكانت** بالتوصية، **واليوم** لا يوجد إلا الانتخابات، لا يوجد طريق آخر، **هذه كالميتة للاضطرار**، كما قلنا عن حالنا في هذه الأيام، **فهل يوجد شورى اليوم في المسلمين عامة؟** والذي يطبق الشورى يا ويله، كل العالم حتى الناس الآخرين من المسلمين أنفسهم؛ لأن الوضع الحالي العالم كله محكوم من قوى عظمى.

نحن يكفينا أن ننجو بديننا وإيماننا، **وتوحيدنا** هذا نعمة كبيرة جدا، **الفضل عظيم** إن استطعنا أن ندعو من حولنا، **وهذا** فضل كبير جدا، **فالنعمة** التي نعيش فيها الآن قد تفقد في المستقبل، **أنتم** جالسون تأخذون دروسا ودورات، **يعني** في خير، **لكن** في بلاد أخرى، لا يوجد، **فنخشى** أن يحدث في هذه البلاد أمور أخرى، لا ندري، **فلنقل** الحمد لله على النعمة التي عندنا، **ولا نشعر** بها إلا بعد أن تفقد، **فلنتمسك** بهذه النعمة **ونشكر** الله سبحانه وتعالى عليها **وأن** يزيد منها، **وأن** يبارك فيها، **وأن** يبعد عنا النقم، **اللهم** آمين.

فعلينا بالاستكثار من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، **وبذل** الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، **ومهما** بلغنا في العلم.

هل تعرفون من الجاهل الحقيقي؟ هو الذي يقول: (**علمت**)، فلا يريد أن يتعلم، كل شيء عنده، هنا بدأ الجهل، هذه بداية جهله، بدأ يفارق العلم، وهذه التي قال فيها قارون: **{إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي}**، وهذا الذي قاله إبليس: **{أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ}**، يريد أن يعلِّمَ الله العليم جل جلاله: (**أنت أعطيته ومنحته، وأنا أحسن وأفضل منه**)، سبحان الله**!** يتكبر على الله عز وجل، **فانظر** ماذا حدث لقارون؟ **وماذا** حدث لإبليس؟ **ولكل** من يقول ذلك؟

أحمد بن عبد الجليل في تاريخ بغداد للخطيب له قصيدة طويلة يذكر منها هذين البيتين:

لا يكون السريُّ؛ يعني الوجيه، سواء غني أو وجيه، جمعها سروات.

مثل الدنِيّ؛ وهو الإنسان الوضيع.

لا؛ ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ، **كواحد** ذكي وآخر غبي شتان بينهما.

قيمة المرء كلّما أحسن المر *** ء قضاء من الإمام عليّ

قيمته مما أحسن، **فأنت** إذا أحسنت شيئا وصفت به، **فالذي** يحسن العلم يقولون هم عنه: عالم، **أما هو** فلا يقول عن نفسه، بل هم يقولون عنه: عالم.

وقد تقول أنت عن نفسك أنك عالم في هذه المسألة، **وإذا** لم يقولوا عنك: عالم، **فلن** نأخذ منك علما.

قد يدعي بعضهم العلم فيقول: (**والله أنا عالم في التجويد، عالم في المسألة الفلانية إعرابها أو تفسيرها أو ما شابه ذلك**)، فهذا مقبول، أما أن يقول: (**كل العلم عندي**)، فهذا هو المقبوح.

لكن هذه الأبيات جاءت بكلمات قد تختلف قليلا **كما** جاء في كتاب أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي يقول:

لا يكون السَّرِيُّ مثلَ الزَّرِيِّ ... لاَ ولا ذو الذّكاءِ مثلَ الغَبِيّ

=**نفس المعنى** لكن تغيرت الكلمات، الزري والدني وهما نفس المعنى والرزي من الرزايا.=

لا يكون الأَلَدُّ ذو المِقْوَل المُرْ ... هَف عند الخِصَام مثل العَيِيّ

قيمةُ المرءِ كلُّ ما يُحسِن المرْ ... ءُ قضاءٌ من الإمام عَليّ

أي لا يكون الألد الخصم ذو القول المرهف الحسن، **كالعيي** الذي لم يهتد لوجه مراده، **وعجز** عن الوصول إليه، فلو حضر ألد خصم مع عيي يخاصمه؛ **سواء** في العلم أو في الجسم، ويقول: (**تصارعوا مع بعضكم**)، واحد خصم حسن القول قوي الجسم، مع آخر ضعيف العلم، **ضعيف** الجسم، **فكيف** نساوي بينهما؟؟

فقيمة كل إنسان وما يحسنه.

قال المؤلف رحمه الله:

[الرحلة للطلب:

من لم يكنْ رُحْلَةً لن يكونَ رُحَلَة.

فمن لم يرحل في طلب العلم، **للبحث** عن الشيوخ، **والسياحة** في الأخذ عنهم، **فيبعد** تأهله ليرحل إليه، لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم، وتعليمهم، **والتلقي عنهم**: لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية، والتجارب، ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار.

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين، الذين يفضلون علم الخرق على علم الورق، وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟!

وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق *** برزت عليهم بعلم الخرق

فاحذر هؤلاء، فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، بل فيهم من كان بأساً وبلاء على الإسلام.

حفظ العلم كتابة

ابذل الجهد في حفظ العلم حفظ كتاب؛ لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، **وقصر** لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، **ومن أجل فوائده** أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديك مادة تستجرُّ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي.

ولذا فاجعل لك (كُنَاشا) أو (مذكرة) لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها، **وإن استعملت** غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرة، مرتباً له على الموضوعات، مقيداً رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيدته: نقل،

حتى لا يختلط بما لم ينقل، كما تكتب: بلغ صفحة كذا، فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة.

وللعلماء مؤلفات عدة في هذا، منها: بدائع الفوائد لابن القيم، وخبايا الزاويا للزركشي، ومنها: كتاب الإغفال وبقايا الخبايا، وغيرها.

وعليه فقيد العلم بالكتاب، لا سيما بدائع الفوائد في غير مظانها، **وخبايا الزوايا** في غير مساقها، ودراً منثورة تراها وتسمعها تخشى فواتها... وهكذا، **فإن** الحفظ يضعف، والنسيان يعرض.

قال الشعبي رحمه الله: إذا سمعت شيئاً، فاكتبه، ولو في الحائط. رواه خيثمة.

وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع فرتبه في (تذكرة) أو (كُناش) على الموضوعات، فإنه يسعفك في أضيق الأوقات التي قد يعجز عن الإدراك فيها كِبار الأثبات].

الشرح:

وما زلنا مع شرح (**حلية طالب العلم**)، لفضيلة الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين، وعلمنا في الدرس الماضي أدب الطالب، وأنه لا يغلطْ ولا يخلطْ بين كِبَرِ الهمةِ والكِبْر، وعرفنا ما بينهما من فرق.

فكِبَرَ الهمة حليةُ العلماءِ ورثةِ الأنبياء، **والكبْرُ** داء المرضى بعِلَّةِ الجبابرة والبؤساء.

فيا طالب العلم ارسم لنفسك كبَرَ الهمة، وعندما تريد أن تهتم لهذا الشيء وتقبل عليه بنهمة فتتذكر قول الخليفةِ الراشد عليّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه: (**قيمة كل امرئ ما يحسنه**)، فعليك أن تبذل الوسع في الطلب والتحصيل.

ووصلنا إلى قول المؤلف رحمه الله: (**الرحلة للطلب، من لم يكنْ رُحْلَةً لن يكونَ رُحَلَة**).

يقول صاحب العين ([1]): [**وارْتَحَلَ** البعير رُحْلَةً؛ أي سارَ فمَضَى].

وفي أساس البلاغة ([2]): [**وفلان** عالم رحلة: يرتحل إليه من الآفاق].

فأنت أول أمرك تسير فتمضي باحثا عن العلم، فأنت رُحْلة.

وأمّا (رُحَلَة) يقولون: فلان عالم رُحَلَة؛ **يعني** يرتحل إليه من الآفاق بعد أن كان يَرتحِل، **صار** يُرتحل إليه من الآفاق، **لكن** هناك بعض العلماء من أخذ عن شيوخ بلده ولم يكن له رِحلة، **لكن** الذي له رحلة فاقَ من لم يكن له رحلة.

فمن لم يرحل في طلب العلم، للبحث عن الشيوخ، **والسياحة** في الأرض للأخذ عنهم، فيبعد تأهُّلُه ليُرحَل إليه.

هذا؛ وكثير من الناس من لم يَرحل حتى لعالم بلده، **فأخذَ العلم** من الكتب أو من الأشرطة، أو من المهاتفات أو من الجوالات... **فهذا** لن يَنتفِعَ، **ولن** يَنفَع غيرَه، **وربما** يَنتفع هو فقط، وربما لا...

لكن؛ لن يكون عنده بركة تزاحم الركب عند العلماء، **فهؤلاء العلماء** الذين مضى وقتٌ في تعلّمهم وتعليمهم، والتلقِّي عنهم، **ماذا فعل عندهم؟** عندهم التحريرات، **وعندهم** الضبط، **وعندهم** النكات العلمية، ما لا توجد في الكتاب، وما لا توجد عبر الأشرطة، **لا توجد** إلا في مجالس العلم.

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوِّفة البطَّالين، ومن صفات كثيرٍ المتصوِّفة أو أغلبِهم؛ أنَّهم يبتعدون حتى عن الكتب أيضا، **ويفضّلون** عِلمَ الخِرَق على علم الورق، **فالمتصوّفة** عندهم تناقل الخرقة التي يظنون أنّ أصلها من النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها عليًّا رضي الله عنه، **وعليٌّ** أعطاها سلمانَ الفارسيّ وهكذا صار التوالي لها، **فالآن** إذا رضي الشيخ أن يصير مريدٌ في هذه الطريقة يلقي عليه خرقة، **فيكون** بذلك قد وصل، مثل الإجازة عند المحدثين، **وعند العلماء** وما شابه ذلك.

([1]) العين للفراهيدي (٣/ ٢٠٧).

([2]) أساس البلاغة للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) (١/ ٣٤٣).

قيل لبعضهم: (ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق الصنعاني اليماني عالم من العلماء؟) فقال: (ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟!)

وهذا كما قيل: (**حدثني قلبي عن ربي**)، وأكثر هؤلاء علومهم من وحيِ المنام، يعني من الأحلام.

وقال آخر وهو أبو بكر الشبلي:

إذا خاطبوني بعلم الورق *** برزت عليهم بعلم الخرق

فبدل أن يقال له: (**أين** علمك؟ **وأين** شيوخك؟ **وأين** كتبك التي أخذتها؟) يقول لهم: (**أين الخرق** التي أخذتها؟) **فكأنها دليل** دامغ وحجة يسكت بها من أمامه، **فاحذر** هؤلاء، **فإنهم** لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا.

وفيه حفظ العلم كتابة تقييدا، فابذل الجهد في حفظ العلم، **فإن تقييد العلم** بالكتابة أمان من الضياع، وقديما كان نُسَّاخٌ، وذوو خطوطٍ جميلة جدًّا، توكل إليهم الكتابة، **وقد** يكونون هم علماء، **وقد** لا يكونون علماء، **وقد** يكونُ من كثرة مرور الكتب عليهم، **وحضورِهم** مجالس العلماء، **أصبحوا** علماء، **ومع** العلم كانوا يرتزقون بالنسخ، **وكانوا** يكتبون، **وكان** بعضهم يكتب بسرعة رهيبة، من سرعته أنه لا وقت عنده ليأخذ قلما جديدا، **فإذا** ذهب رأس القلم، يرميه ويقول: (**قلم بدينار**). (١)، أي ما يعادل في زماننا أربع جرامات وربع من الذهب، **فيعطونه** قلما جاهزا، **وهم** يكونون جالسين مُجهِّزي الأقلام، **يُدخل** قلمه في المحبرة ويكتب.

فكيف وأنتم اليوم تنقرون نقرا، **نقرٌ** فقط، ما تحتاج إلى أقلام ولا غيرها، **ولكن** تَشْكُون من قطع الكهرباء وما شابه ذلك، **فأنتم** في نعمة كبيرة جدًّا، في تخريج الحديث وفي غيره.

وقد يريحكم برنامجٌ، -ربما مر عليكم قديما-، **وهو** أنَّ الكلامَ نفسَه يتحول إلى كتابة، **تتكلم** وهو يحوِّل الكلام إلى حروف، **فقط** عوِّدْه على صوتك، **وبعض** الحروف، **كتابة** مباشرة.

---

(١) [عن محمد بن مُيَسَّر الكِرْمينيّ قال: انكسر قلم محمد بن سلّام البِيكَنْديّ في مجلس شيخٍ، فأمر أن يُنادَى: قلم بدينار، فطارت إليه الأقلام]. تاريخ الإسلام ت بشار (٥/ ٦٧٤)

فوصل العلم إلى ما وصل إليه، **فأين** نحن في هذا الزمان؟ **لما** لا نستغل ولا نغتنم هذه المخترعات وهذه التقنية الحديثة؟ **وليست** (التكنولوجيا)، **فهي** كلمة ليست بعربية، **أما (التقنية)** أن يتقن الإنسان الشيء.

أما التقنية الحديثة هذه نستخدمها في طاعة الله عز وجل، وفي طاعة رسوله وفي العلم.

لماذا الكتابة؟ ولماذا التدوين؟

الجواب: لأنه عند كِبر السن، **وعند** ضعفِ البصر، **وضعفِ** الهمة، أن يبحث في الكتب يجد رؤوس المعلومات التي سجلها عنده، **وتبقى** وتحفظ بأمر الله سبحانه وتعالى، **وتريحك** من عناء البحث والتقصي.

فاجعل لذلك (كُنَاشا)، **والكنَاشُ**، قالوا: على وزن غُرَاب، أو كنَّاشا كما في القاموس وتاج العروس، وجعلها مشددة، ضم وتشديد، والذي في القاموس المحيط:

[**والكُنَّاشاتُ**، بالضم والشَّدِّ: هي الأُصولُ التي تَتَشَعَّبُ منها الفُروعُ].

وفي تاج العروس والمعجم الوسيط: [(**الكناشة**) الأَصْل تتشعب مِنْهُ الْفُرُوع، والأوراق تُجْعَل كالدفتر تقيَّد فِيهَا الْفَوَائِد والشوارد]، **هذه** هي الكناشات، **ويستخدمونها** في المغرب كثيرا، فيقولون: (كناشة فلان)، يعني العالم إذا جمع أشياء ثم أخرجها للناس في كناش، ونسميه كشكولا. (1)

أو (مذكرة)، أو تسمى اليوم باللهجة الدارجة، **ولعلهم** أخذوها من الإنجليزية **(نوتة)**، أي دفتر صغير، **وهذه** خاصة لك أنت تكون في جيبك، **تقيد** فيها الفوائد والفرائد، **وبعض** الأبحاث المنثورة هنا وهناك، **والتي** قد لا تجدها مرة ثانية في مكان آخرا.

---

(1) [**كَشْكُولٌ**– ج: كَشَاكِيلُ. "**كَشْكُولُ الْمُتَسَوِّلِ**": وِعَاءٌ يَجْمَعُ فِيهِ مَا يُتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ]. (معجم الغني) لعبد الغني أبو العزم (ص: ٢١٤٩٠)، و(معجم الرائد) لجبران مسعود (ص: ١١٦٧). وفي (معجم اللغة العربية المعاصرة) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) (٣/ ١٩٣٩): [كَشْكول [مفرد]: ج **كشاكِيلُ**: دفتر التلميذ، مجموعة من الأوراق البيضاء أو المسطّرة مغلَّفة بورقٍ مُقوًى "كشكول المحاضرات"]. وقال السيوطي في (المحاضرات والمحاورات) (ص: ٢١): [الكشكول: فكلمة فارسية يطلق على الحقيبة التي تضم أنواعا من الحاجيات].

فمن ابتلي مثلي (باللاب توب) هذا وما شابه ذلك، **فليجعل** له مجلدا خاصا يحفظ فيه ملفات بين الحين والحين، **وهو** يحضّر يضع فيه، **وقد صنعت** من ذلك شيئا سميته الفؤاديات، فما وجدت شيئا من لغة وما يشابهها أضعه فيه، فربما إذا مِتُّ تجدون ذلك فيه.

ثم يبيح لك استعمال غلاف الكتاب، لكن هنا ما في غلاف والحمد لله، أما غلاف الكتاب يكون فيه فراغ تكتب عليه ما يدلك، وما استفدت من ذلك الكتاب.

يقال -كما أخبرني بعض من زار الشيخ مشهور حفظه الله، عندما كان عمره خمسا وعشرين سنة- أنه: (اختلى في مكتبته مقدار سنتين، وقرأ كلّ كتبه الموجودة عنده، من أولها إلى آخرها، **فلما** قرأها كلَّها كان بين الحين والحين يكتب ويدوِّن عنده كلَّ شيء مهم يجده، ليرجع إليه وقتما يريده)، **هو** لا يريد أن يكتب الآن، لكن هذه المعلومة متى يحصل عليها مرة أخرى؟ ربما تضيع عليه هذه المكتبة العظيمة، (فبعد سنتين خرج فصار أساتذةُ الجامعات يتصلون به يسألونه: ما حكم كذا، وأين نجد كذا)، **وكان** شابًّا في ريعان شبابه، خمسا وعشرين سنة.

فلذلك إذا كانت الهمة موجودةً **فإنها** تهدُّ الجبال، ولو بريشة، مع الاستمرار الريشة **ماذا تفعل**؟ بل الهواء ماذا يفعل؟ **الجبال الضخمة والتلال** يحولها من مكان إلى مكان، شيئا فشيئا، ذرة فذرة، حرفا فحرفا تصبح إن شاء الله يُرتحل إليك.

فامضِ يا عبد الله، وما كتبتَه وقيَّدته وسجَّلته عندك اكتب عنه: **(نُقِل)**، حتى تعرف أن هذا ما تحتاج إلى أن تكرره مرة أخرى، ويصير عندك من المكررات الشيء الكثير.

وعندما تصل إلى نهاية شيء ما تكتب: **(بَلَغ)**، يعني بلغت هذا المكان، **بعض الناس** يقرؤون القرآن وهم عوامّ، **تجد** معه ورقة أو دفتر يكتب عليها إلى أين وصل إليه في التلاوة؛ **لأنه** إذا تركه ينسى إلى أين وصل، أولها أو آخرها، **فالإنسان** معرض للنسيان، **فلذلك** أنت تقتنص، **وتكتب** أنك وصلت إلى هذا المكان حتى لا يفوتك شيء.

من هذه الكتب التي أُلِّفت في ذلك؛ **(بدائع الفوائد لابن القيم)**، و**(خبايا الزاوايا للزركشي)**، و**(الإغفال وبقايا الخبايا)**، كتب كثيرة في مثل هذه الأمور التي تدلك على هذا الأمر.

فقيّد العلم بالكتاب، وهذا ورد أثرا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأورد نحوه في سلسته الصحيحة، الشيخ الألباني رحمه الله تعالى. ([1])، **فالحفظ** يَضعُف، **والنسيان** يَعرِض، **وهذه** آفات تلاحقك يا طالب العلم، أنت تحفظ الآن، **لكن** بعد قليل لا تحفظ، أنت يقابلك النسيان ويعترضك.

يقول الشعبي فيما رواه خيثمة ([2]): (**إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا فَاكْتُبْهُ، وَلَوْ فِي الْحَائِطِ**)، حتى لا تنساه، ثم انقله عندك في الكناش أو في الدفتر.

فإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع، **فرتّبه** بأن تعمل عناوين معينة حسب المواضيع؛ **لأنه** يسعفك في أضيق الظروف، **تجده** مباشرة، **بالجزء** والصفحة، **والمجلد** واسم الكتاب واسم الباب، واسم الموضوع الذي تريده أنت، فأضيق الأوقات يعجز عن الإدراك فيها كِبار الأثبات.

قال المؤلف رحمه الله:

[حفظ الرعاية

ابذل الوسع في حفظ العلم حفظ رعاية بالعمل والاتباع، قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (ويجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه).

وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض، **وطريقاً** إلى أخذ الأعواض، **فقد** جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه.

وليتَّقِ المفاخرةَ والمباهاةَ به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة، **واتخاذ** الأتباع، **وعقد** المجالس، فإن الآفةَ الداخلةَ على العلماءِ أكثرُها من هذا الوجه.

([1]) ونصه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ**". (القضاعي في مسند الشهاب) (١/ ٣٧٠) ح (٦٣٧)، انظر صَحِيح الْجَامِع (٤٤٣٤)، والصحيحة (٢٠٢٦).

([2]) (العلم) لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، (المتوفى: ٢٣٤هـ): (ص: ٣٤) رقم (١٤٦).

وليجعلْ حفظَه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، **فإن** رواة العلوم كثير، **ورعاتها** قليل، **ورب** حاضر كالغائب، **وعالم** كالجاهل، **وحامل** للحديث ليس معه منه شيء إذ كان في إطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام؛ باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: **{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}. أهـ.**

تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر، فان عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ؛ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**». رواه الشيخان، ومالك في الموطأ.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: (**وفي هذا الحديث** دليل على أن من لم يتعاهد علمه، ذهب عنه أي من كان؛ **لأن علمهم** كان ذلك الوقت القرآن لا غير، **وإذا كان القرآن الميسر** للذكر يذهب إن لم يتعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟!)

وخير العلوم ما ضبط أصله، **واستذكر** فرعه، **وقاد** إلى الله تعالى، **ودل** على ما يرضاه. أهـ.

وقال بعضهم: كلُّ عِزٍّ لم يؤَكَّد بعلم، فإلى ذلٍّ مصيره. أهـ].

الشرح:

علمنا أنه قد جمع الطالب ما عنده في كناشات ومذكرات، أو كشاكيل جمع كشكول، وهي لعلها لغات ولهجات ليست عربية.

والآن بعد هذا تحتاج إلى رعاية، **والعلم والعمل** تزيدهما يتفقان في الحروف، **حروف العلم** هي حروف العمل، عَلِمَ وعمل، **فالعلم** وحده هذا نصف، **والنصف الآخر** تكمله الرعاية، **بالعمل والاتباع** للنبي صلى الله عليه وسلم.

ويجب على طالب العلم أن يجعلَ العلم سبيلا لنيل الآخرة، وما عند الله عز وجل، وليحذر أن يجعله سبيلا لأغراض الدنيا الزائلة، أو طريقاً إلى أخذ الأعواض والأثمان. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". يَعْنِي رِيحَهَا. (١)، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ**". (٢)، (جة) (حب).

اتصل بي متصل يقول: **أقرأ القرآن بنية الشفاء، لي أجر على ذلك؟**

قلت: **نعم!** أنت متوكل على الله وتتخذ الطريق المشروع، أو آية في كتاب الله. (٣)

قال: **وكيف الإنسان يكون غير مخلص بقراءته للقرآن؟**

قلت: يقرأه على المقابر، ليأخذ شيئا من أموال الناس، أو يقرأه في فضائية من الفضائيات أو الإذاعات، ونيته أخذ ما عند الناس من أموال، إذن النية قد تتغير.

لكن إنسان يقرأ القرآن، **ودعي** إلى إذاعة وأعطي فلا مانع، **يختلف** أن تكون النية والقراءة حتى يحسن الصوت، **ثم** يذهب لينال به الأجرة، **فمن** أخذ الأجرة على هذا الشيء بهذه النية فقد الأجر من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) (د) (٣٦٦٤) (جة) (٢٥٢).

(٢) (جة) (٢٥٤)، (حب) (٧٧)، (التعليق الرغيب) (١/ ٦٨).

(٣) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَامْرَأَةٌ تُعَالِجُهَا أَوْ تَرْقِيهَا، فَقَالَ: "**عَالِجِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ**". (حب) (٦٠٩٨)، (الصحيحة) (١٩٣١)، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ**). (ش) (٢٤١٥٧)، صححه الألباني في الضعيفة تحت حديث: (١٥١٤).

كذلك إذا وصلت إلى درجة من العلم ما شاء الله، **وأخذتها** عن المشايخ، **فالمشايخ** بالياء، جمع شيخ، **ولها عشرة جموع** وهي: شيوخ، مشايخ، مشائخ، شُيُخ، مشيخة، مشاوخ، أشياخ، وشيخة، مشيُخاء، وشيخان، (1) يمكن أنها جمع جمع الجمع.

فلذلك إذا جلست إلى هؤلاء، **وأخذت العلم** ينبغي أن تحذر من المفاخرة والمباهاة، وحبِّ نيل الرئاسة، (**عند فلان عشرين تلميذ، وأنا عندي مائة ومائتي مستمع، أكثر من شيخنا!**) دخلت في المباهاة، **فيبدأ** رونق العلم وهيبتُه بالتلاشي.

ولتجعل حفظك للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، **ممكن تخطئ** في الحديث في اللفظ، لكن العمل تقوم به كما يحب الله سبحانه وتعالى أو قريبا منه، فرواة العلوم كثر، **ما أكثر** من يروي الحديث، **لكن الإخلاص فيه أين؟**

من يروي الحديث كثر! لكن رعاتها قليل، من يراعي بالأعمال قليل، وربّ حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، ورب حامل للحديث ليس معه منه شيء إذا كان في إطراحه، يعني هو يطرح في العمل لا يعمل به، بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

وكثيراً ما نرى من العوام من ينتقد طلبة العلم أو المشايخ، لبعض أفعالهم، **فأين الأخلاق والعمل** لهذا الذي يتكلم معهم؟! **لذلك يوم القيامة** تعرفون قصة ذاك الرجل الذي يتأذَّى من رائحته أهل النار، **وإذا** بهم يرون شيخهم وعالمهم في النار، وهو سبب الرائحة الكريهة المنتنة، **وإذا بأمعائه** مندلقة من بطنه يطوف حولها ويدور حولها كما يدور الحمار حول الرحى، **فهو** شبه الأمعاء في الخارج بالرحى، أي لا هي مقطوعة منه وسالم منها، ولا هي في الداخل، عذاب شديد، **ألست** كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال:

---

(1) جاء في (القاموس المحيط) (ص: ٢٥٤): [ج: شُيُوخٌ وشِيوخٌ، وأشْياخٌ وشِيَخَةٌ، وشِيْخَةٌ وشِيخانٌ، ومَشْيَخَةٌ ومَشِيخَةٌ، ومَشْيوخاء ومَشْيُخاء، ومشايخ].

نعم، كلامكم صحيح، **كنت** آتيكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه، أو كما قال صلى الله عليه وسلم. (١)

فينبغي لطالب العلم أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام كيف يكون ذلك؟ **باستعمال** آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وتوظيف** السنن على نفسه، **وأذكركم** بأن من علامات الناس المشهود لهم بالخيرية عند الله عز وجل الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى، حتى في كلامهم، في مشيتهم، في هيئته (٢)، قبل أن يكون في فعله مع الناس، يقول الله عز وجل: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}**. (الأحزاب: ٢١)

وتعاهد علمك من وقت إلى آخر، الذي حفظته، لا تتركه، **فإن عدم التعاهد** عنوان الذهاب للعلم مهما كان، **فالعمل والتعليم** زكاة للعلم، نماء للعلم الذي عندك، **فإذا أردت** أن يبقى علمك عندك فعلم غيرك، كل شيء من المواد وهي الأشياء المادية من نقود أو عقارات أو كذا ينقص بالعطاء، **إنما العلم** يزيد بالعطاء، يزداد، **لذلك كثرة المسائل وكثرة** مثل هذه الأمور التي يتداولها الطلاب فيما بينهم تذكي بينهم ثبات العلم في الصدر، ورد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ**»؛ =يعني يعقلها صاحبها ويربطها من أيديها، حتى لا تذهب بعيدا=.

«**إن عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا**»؛ =لأن الحبل مع الحركة يبدأ بالانحلال شيئا فشيئا، وإذا ترك مدة من الزمن ينحلُّ الحبل كله، فيتفلت، ولكن إن عاهد عليها أمسكها! انظر إلى التشبيه=

---

(١) ثبت أن أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ: (**أَلاَ تُكَلِّمُ هَذَا؟**) قَالَ: (**قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ**)، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ** فَيَقُولُونَ: **أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟** فَيَقُولُ: **إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ**"، (خ) (٧٠٩٨)، (م) ٥١- (٢٩٨٩).

(٢) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟!**"، قَالُوا: (**بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ**) قَالَ: "**خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا، ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**"، (جة) (٤١١٩)، انظر السلسلة الصحيحة ح (٢٨٤٩)، وحسنه في صحيح الأدب المفرد (٢٤٦/ ٣٢٣).

«**وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**». والحديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما.

فتعاهد الحفظ سواء القرآن أو غيره، لابد من معاهدة وتعاهد له، **وأفضل شيء للحفظ الجديد** أو تعاهد الحفظ، أن تقرأه قبل النوم، **وبعد** أن تستيقظ من نومك، يعني بعد العشاء وبعد صلاة الفجر، **فبعد النوم** حتى إذا فكرت في الليل أو تقلبت في المنام يأتي على ذهنك وبالك ذلك القرآن، أو ما قرأته قبل قليل، وربما ترى في المنام أنك تسمّع للشيخ، أو تسمّع لزميلك أمامك، **ويبقى** هذا الشيء مستمرًّا، **ففي الصباح** تُجدِّد هذا لن يضيعَ بأمر الله عز وجل، بركة آخر النهار، مع بركة أول النهار، تجتمع البركات كلها، فما بينها، وما قبلها، وما بعدها خير وبركة.

قال الحافظ ابن عبد البر -وهو إمام مجتهد مالكي في الأصل، لكنه يميل لمذهب الشافعي كثيرا لوجود الأدلة والبراهين والإثباتات في مذهبه أكثر من غيره-، قال:

الحديث فيه دليل على أن من لم يتعاهد علمه، **ذهب** عنه أيًّا كان هذا الإنسان، مهما كان في الحفظ يذهب، لماذا؟

لأنه لم يتعاهده، فإذا كان الكلام في القرآن الميسر للذكر، إذا لم يتعاهد يذهب، فكيف بغيره من الكلام الآخر، سواء كلام الفقه أو كلام النحو، أو ما شابه ذلك من العلوم المعهودة؟! (1)

وكلُّ عِزٍّ لم يؤَكَّد بعلم، **كإنسان** عزيزٍ لكن لا علم عنده، **بالتأكيد** يؤدي إلى الذل، **يصير** الإنسان مهينا، نسأل الله السلامة.

قال المؤلف رحمه الله:

[التفقُّهُ بتخريج الفروع على الأصول

من وراء الفقه: التفقه، ومعتمله هو الذي يعلّق الأحكام بمداركها الشرعية.

(1) قال ابن عبد البر: [وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَعَاهَدْ علمه ذهب عنه، أي مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتَ الْقُرْآنُ لَا غَيْرَ، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْمُيَسَّرُ لِلذِّكْرِ يَذْهَبُ إِنْ لَمْ يُتَعَاهَدْ؛ فَمَا ظَنُّكُ بغيره من العلوم المعهودة، وخيرالعلوم مَا ضُبِطَ أَصْلُهُ، وَاسْتُذْكِرَ فَرْعُهُ، وَقَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَدَلَّ عَلَى مَا يَرْضَاهُ]. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤/ ١٣٣، ١٣٤).

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها، ووعاها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**".

قال ابن خير رحمه الله تعالى في فقه الحديث: وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث على معاني الحديث واستخراج المكنون من سره. أهـ.

وللشيخين، شيخِ الإسلام ابنِ تيمية **وتليمذِه** ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، في ذلك القدح المعلى، **ومن نظر** في كتب هذين الإمامين، سلك به النظر فيها إلى التفقه طريقاً مستقيماً.

ومن مليح كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قوله في مجلس للتفقه: أما بعد، فقد كنا في مجلس التفقه في الدين والنظر في مدارك الأحكام المشروعة، تصويراً، وتقريراً وتأصيلا، وتفصيلاً، فوقع الكلام وفي، فأقول لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبنى على أصل وفصلين.

واعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقه: التفكر، **فإن الله** سبحانه وتعالى دعا عباده في غير آية من كتابه إلى التحرك بإحالة النظر العميق في التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وإلى أن يمعن المرء النظر في نفسه، وما حوله، فتحاً للقوى العقلية على مصراعيها، **وحتى** يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام، والانتصار العلمي: **{كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون}**، **{قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون}**.

وعليه فإن التفقه أبعد مدى من التفكر إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا **{فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً}**.

لكن هذا التفقه محجوز بالرهان، محجور عن التشهي والهوى: **{ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}**.

فيا أيها الطالب! تحل بالنظر والتفكر، والفقه والتفقه، **لعلك** أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى فقيه النفس كما يقول الفقهاء، **وهو الذي** يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو فقيه البدن كما في اصطلاح المحدثين.

فأجِلْ النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول، **وتمام** العناية بالقواعد والضوابط.

وأجمِع للنظر في فرع ما بين تتبعه **وإفراغه** في قالب الشريعة العام، من قواعدها وأصولها المطردة، كقواعد المصالح، **ودفع** الضرر والمشقة، **وجلب** التيسير، **وسد** باب الحيل، **وسد** الذرائع.

وهكذا هُدِيت لرشدك أبداً، **فإنّ هذا** يسعفك في مواطن المضايق، **وعليك بالتفقه** كما أسلفت في نصوص الشرع، **والتبصُّر** فيما يحُفُّ أحوال التشريع، **والتأمل** في مقاصد الشريعة، **فإن** خلا فهمك من هذا أو نبا سمعك **فإنَّ** وقتَك ضائع، **وإن** اسم الجهل عليك لواقع.

وهذه الخَلَّة بالذات هي التي تعطيك التميُّزَ الدقيق، **والمعيارَ الصحيحَ** لمدى التحصيل، **والقدرة** على التخريج، **فالفقيه** هو من تعرِض له النازلةُ لا نصَّ فيها فيقتبسُ لها حكماً.

والبلاغيُّ ليس من يذكرُ لك أقسامها وتفريعاتها، **لكنه** من تسرِي بصيرتُه البلاغية من كتاب الله، مثلا، **فيخرِج** من مكنون علومِه وجوهَهَا وإن كَتب أو خَطب؛ نظم لكَ عِقدَها، وهكذا في العلوم كافة].

الشرح:

التفقه بتخريج الفروع على الأصول، الآن أنت فقهت مثلا وعلمت مسألة معينة وفقهت أمرا معينا، وقضية معينة فيحتاج هذا إلى تفقه يعني تدخل في نفس هذه المسألة التي وردت عليك، تدخل في ذاتك، فهذه الدخول يكون معتمل داخل الذاكرة، داخل الصدر، عملية تحليل تصوير، حتى تخرج بنتيجة الحكم على هذه المسألة أو تلك، فتدركها بمداركها الشرعية.

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور والمتواتر: "**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها، ووعاها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه،** =فربما إنسان يحفظ الأحاديث، وربما يحفظ القرآن ولكنه طفل صغير ما يفقه الكلام الذي يقوله، وربما يكون أعجميا لا يعرف في اللغة العربية شيئا،

ومع ذلك يحفظ= **ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"**، لذلك **{فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}**.

قال ابن خير رحمه الله تعالى، -وابن خير هذا هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي، توفي في القرن السادس، سنة خمس وسبعين وخمسمائة-، في فقه الحديث السابق الذي ذكرناه **"نضر الله امرءا"**، قال:

(وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك)، الكل يقرأ، يقرأ حلية طالب العلم أو يقرأ غيرها، لكن كيف نفهم هذه القراءة، **فالكل** يقرأ المصحف، **لكن** كيف يكون الفهم في ذلك، **هذا** يحتاج إلى **(الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام، من طرق التفهم)**، بينا وجوب التفهم، **إذن** في بيان معاني الحديث يجب عليك أن تتفقه، **وإلا** من لم يفقه يخشى عليه من الوقوع في المخالفة وهو يريد المتابعة، يريد متابعة النبي صلى الله عليه وسلم بالفهم الخاطئ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالفهم الخاطئ للآية يقع في المخالفة، **كما** وقع المؤوِّلون للصفات وغيرُهم، وما أرادوا إلا الخير، **أرادوا** تنزيه الله عز وجل وهم معذورون إن شاء الله يوم القيامة، ولم يخرجهم علماء السنة من الإسلام.

متأوِّلون بخلاف إنسان مغرض زنديق، **ويؤول** صفات الله كما يريد هو، والعياذ بالله، **فالأول** يظهر عليه سيما الخير، **وذاك** يظهر عليه سيما الشر والعياذ بالله،

فالاستنباط والاستدراك **(من طَرِيق التفهم وَفِي ضمنه بَيَان وجوب التفقه والبحث على مَعَانِي الحَدِيث واستخراج الْمكنون من سرِّه)** ([1])، ويجب أيضا أن تبحث عن معاني الحديث وأن تستخرج المكنونات من سره، سواء كان آية أو عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا.

لذلك يقول من كان لهم القدح المعلى في ذلك، القدح المعلى، يقولون عنه سابع سهم من سهام الميسر، وهو أوفر السهام حظا، آخر شيء هذا، كما ذكر ذلك أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، في الكليات. ([2])

([1]) فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص: ١٢).

([2]) ذكره أبو البقاء الحنفي في الكليات، (ص: ٧٣٣).

القِدح بكسر القاف، وليس القَدَح بفتحِها، فالقَدَح للشرب.

أمّا القِدح هذا فللسهام والقتال، وهو سابع سهم، وهو آخر شيء، وقد فاز به ابن القيم وابن تيمية رحمة الله تعالى عليهما، **وتجد** أن من نظر في كتبهما يجد ذلك واضحا، **وانظر** إلى هذا المثال الذي ذكره ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه في مجلس للتفقه، **يعني** كان جالسا للتفقه، **ومعه** جماعة من العلماء، **كيف** أخذوا في مسألة؟ ماذا فعل عندهم وما هي هذه المسألة، ما ذكرها هنا لأن الأمر يطول، قال: **[أَمَّا بَعْدُ؛** فَقَدْ كُنَّا فِي مَجْلِسِ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالنَّظَرِ فِي مَدَارِكِ الْأَحْكَامِ الْمَشْرُوعَةِ]؛ =**كيف يكون هذا؟** قال:= [تَصْوِيرًا وَتَقْرِيرًا، وَتَأْصِيلًا وَتَفْصِيلًا، فَوَقَعَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِ الْقَوْلِ فِي حُكْمِ مَنِيِّ الْإِنْسَانِ] =طاهر أم لا؟= [وَغَيْرِهِ مِنْ الدَّوَابِّ الطَّاهِرَةِ]، **=ما حكمه؟=** [وَفِي أَرْوَاثِ الْبَهَائِمِ الْمُبَاحَةِ] =التي يجوز أكلها=: [أَهِيَ طَاهِرَةٌ؟ أَمْ نَجِسَةٌ؟ عَلَى وَجْهٍ أَحَبَّ أَصْحَابُنَا تَقْيِيدَهُ]، =**كيف** نخرّج وكيف نستنج؟ **وما هي النصوص** التي تساعد في ذلك؟= [وَمَا يُقَارِبُهُ مِنْ زِيَادَةٍ] =نستثني منها أشياء= [وَنُقْصَانٍ] =نستكمل عليها أشياء، قال:=، [فَكَتَبْت لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَأَقُولُ: وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ] =العلي العظيم=. [هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلٍ وَفَصْلَيْنِ...] أهـ (١)

هذا الكلام ليس موضوعا لنا، لكن نريد أن نصل إلى فائدة من نقل كلام ابن تيمية؛ أن المسائل تحتاج إلى تحريرٍ وتقريرٍ وتأصيل، ثم تأخذ بعد التحريرات الأحكام، أمّا أن تأخذها مباشرة فما ينبغي.

واعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقُّه لابد لك أن تتفكّر وتتدبّر فيما عند الله عز وجل، تنظر في ملكوت السماوات والأرض، تُمْعِن النظر في نفسك ومن حولك وما حولك، **وهذا** عندما تفكِّر يمينا وشمالا، لأن كثيرا من الناس عندما يأتي ليفكِّر يجوب ببصره كأنه يغيب عنك، يريد أن يستجمع ما عنده من علم، **وقوى داخلية** يستعين بها من الخارج والتفكير، **والله** أمرنا بالتفكر في السماوات والأرض، حتى يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام، وأن تنتصر انتصارا علميا، قال سبحانه: **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**. (البقرة: ٢٤٢)، بالآيات، سواء المقروءة في المصحف، أو آيات مرئية في كون الله عز وجل، يجلب العقل، ويجلب للعقل التجديد، **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}**. (الأنعام: ٥٠)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٣٤).

والتفقه أبعدُ مدى من التفكر، **لماذا؟** لأن هذا التفكر حصيلةٌ وهذا التفقه نتاجُه، وإلا **{فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}**. (النساء: ٧٨)، هم حفظوا الأحاديث وسمعوها، لكن لا يوجد عندهم فقه، فالتفكُّر كأنه آلة مساعدة للفقه.

وهذا التفقُّه محجوز بالرهان، **ومحجور** عن التشهي والهوى، **يعني** تجد الإنسان قد يتفقه لكن رهن نفسه في معصية الله، وفي الذنوب والخطايا، وتعرفون قول الشافعي رحمه الله:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي *** فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ *** ونورُ الله لا يُهدَى لعاصي

سبب هذا أنه يمشي في الطريق فرأى الريحَ قد كشفت عن كعب امرأة أو قدمِها من الخلف، نظرةُ فجأةٍ فاختلط عليه وتوقف عن الحفظ، يكرر مع أنه كان يحفظ مباشرة، فشكى أمره إلى أستاذه وشيخه وكيع فأرشده إلى ترك المعاصي.

إذا كان كذلك التفقُّه محجوز بالرهان، لا ترهن نفسك يا عبد الله بنفسك، قال سبحانه: **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}**. (البقرة: ١٢٠)، فاتباع الهوى رهن، وكذلك التشهّي.

فيا طالب العلم! تحلَّ بالنظر والتفكر، والفقه والتفقه، **ربما** في هذه الحالات إذا فعلت ذلك تتجاوز وتتعدى وتتخطى مرحلة الفقيه إلى فقيه النفس، **وهذا** الذي يعلّق الأحكام بمداركها الشرعية، ينظر نفسه أن الله رقيبٌ عليه، **فيحاول** أن يفعل ما يرضي الله، أو أن يفعل ما لا يغضب الله؛ لأن الإنسان قد يفعل أشياء لا تغضب الله، لا دليل عليها، لكن لا تغضبه؛ لأنها مباحات، ليس فيها ما هو محرم، وليس فيها ما يغضب الرحمن، فأقصى شيء أو أدنى شيء ألا تفعل ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

وأجِلْ النظر أي فكر، **{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}**. (الملك: ٤)، في الواردات التي ترد عليك من مسائل؛ **وذلك** بتخريج الفروع على الأصول، لابد أن تجعل هذا على العناية بالقواعد والضوابط، هذه خاصة بطالب العلم الذي يريد أن يجتهد في مسألة معينة، ثم تفرد ذلك كلَّه في قالب الشريعة، وأصولها المطردة.

وعليك أن تدفع الضرر والمشقة، عندما تفكر وتريد أن تعطي حكما في مسألة تفكر أن تبعد الضرر والمشقة عن هذا الإنسان السائل، قدر الطاقة والاستطاعة أبعده عنه.

وكذلك تجلب للمستفتي التيسير، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: **"مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا"**. (١) (خ)، (م).

لا نريد أن نصعّب على الناس ونشددَّ عليهم فيما فيه تيسير مشروع، عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

"لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَشْدِيدِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَسَتَجِدُونَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ". (٢)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"**. (٣) (س)، (جة)، (حم)، (حب).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"**. -قَالَهَا ثَلَاثًا-. (٤) (م)، (د)، (حم).

(**الْمُتَنَطِّعُونَ**) أَيْ: الْمُتَعَمِّقُونَ، الْغَالُونَ، الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ. (٥)

---

(١) (خ) (٣٥٦٠)، (م) ٧٧- (٢٣٢٧).

(٢) (طس) (٣٠٧٨)، (يع) (٣٦٩٤)، انظر الصَّحِيحَة (٣١٢٤).

(٣) (س) ٣٠٥٧، (جة) ٣٠٢٩، (حم) ١٨٥١، (حب) ٣٨٧١، وصححه الألباني في حجة النبي (ص: ٨٠)، والصَّحِيحَة: (٢١٤٤).

(٤) (٢) (م) ٧ - (٢٦٧٠)، (د) ٤٦٠٨، (حم) (٣٦٥٥).

(٥) شرح النووي (٩/ ٢٦).

كذلك أنْ تسدَّ باب الحيل؛ لأن الإنسان إذا فتح باب الحيل، **وكلمة (معلش وبهمش)** وما شابه ذلك يضيع الدين، فسُدَّ قدر الطاقة باب الحيل، **ولا تفتحه** إلا عند الاضطرار والضرورة القصوى.

هناك باب خاص في كتاب **(إعلام الموقعين)** لابن القيم رحمه الله عن الحيل، وهو رحمه الله يبين المباح منها ومتى يباح، **ويبين المحظور** منها التي تحايل الإنسان فيه على تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، وأن تسد باب الذرائع، **كل** ما هو ذريعة إلى كذا اقطعه عن الناس، هذا كله محفوف بالقواعد والضوابط.

هنا تكون قد وصلت إن شاء الله، **وأُسْعِفْتَ** في هذه المواطن من المضايق التي قد تعترضك في حياتك وفي طلبك للعلم، **وعليك** بالتفقه في نصوص الشرع، **والتبصُّر** بها فيما يحُفُّها من أحوال التشريع، يعني سبب النزول، **سبب** ورود النص، **المناسبة** في ذلك، **الواقع** الذين كان فيهم، تعلمون الحديث الذي رواه الترمذي وغيره (١) عندما جاءه رجل **فسأله** عن الصيام؟ عن القبلة للصائم، فأباحها له، خرج فجاء رجل آخر، **فسأله** هل يسمح بتقبيل المرأة للصائم؟ قال: لا، **فأخذ** الفتوى وذهب، **فهذان** اثنان سألا سؤالا واحدا، وكان الجواب مختلفا، **فلابد** من النظر في ذلك، ويبدو أن ذلك شيخ، **ولكنه** كان كبيرا في السن، فلا تؤثر عليه القبلة، **وذاك** يخشى عليه من ذريعة إلى الجماع، **فلذلك** منع الشاب، **ليس** منع تحريم، **ولكنه** منعه سدا للذريعة.

والبلاغيُّ ليس من يذكرُ لك أقسامَها وتفريعاتِها، **فهناك** أناس يفهمون القواعد وهكذا، **وهذه** من الله عز وجل، **وتحتاج** لعبد الله أن يستعين بالله سبحانه وتعالى، هذا والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ، "**فَرَخَّصَ لَهُ**"، **وَأَتَاهُ آخَرُ، فَسَأَلَهُ**، "**فَنَهَاهُ**"، **فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَالَّذِي نَهَاهُ شَابٌّ.** (د) (٢٣٨٧)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "**رُخِّصَ لِلْكَبِيرِ الصَّائِمِ فِي الْمُبَاشَرَةِ، وَكُرِهَ لِلشَّابِّ**". (جة) (١٦٨٨).

لا تفزعْ إذا لم يُفتَح لك في علم من العلوم، فقد تعاصَت بعضُ العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك، كما يعلم من تراجمهم، ومنهم **الأصمعي** في علم العروض، **والرَّهاوي** المحدث في الخط، **وابن الصلاح** في المنطق، **وأبو مسلم النحوي** في علم التصريف، **والسيوطي** في الحساب، **وأبو عبيدة، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبو الحسن القطيعي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو حامد الغزالي**، خمستهم لم يفتح لهم بالنحو.

فيا أيها الطالب! ضاعف الرغبة، وأفزع إلى الله تعالى في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، فيجد الفتح في ذلك].

الشرح:

وهذا المقطع لا يحتاج إلى طويل شرح، لأن اللجوء إلى الله غاية كل مقصد، وكل حلقة نجلس فيها هنا أنصح نفسي وإياكم بصدق اللجء إلى الله في كل أمورنا، **فاللجوء** إلى الله عز وجل في طلب التحصيل مهم جدًّا، **وبعض العلوم** تعاصت على بعض المشاهير من العلماء، **فربما** أنت لا تفلح في علم فاذهب إلى غيره، **استفتاني** طالب شابٌّ وهو يجيد الرياضيات، **لكن** أُشِير عليه باللغة العربية، **فقلت له:** لا ابقَ في الرياضيات، اللغة العربية ربما لا تجيدها الآن، **فعليك** أن تسعى لها من طرق أخرى، ليس من الدراسة الأكاديمية خذ شهادتك وتوكل على الله.

وأعرف كثيرا من الناس درسوا معنا في الجامعة الإسلامية، وكلية حديث وكان طبيبا، ترك الطب في السنة الثانية أو الثالثة، وهو متفوق، تركه وجاء يدرس الحديث، له رغبة في الحديث، وغيره ترك الهندسة من مصر وجاء إلى السعودية في الجامعة الإسلامية ليدرس الشريعة وهكذا، تبقى ميول وإقبال.

وأنا أنصح؛ فإنكم غدا تصبحون رجالا، **ولكم** أولادٌ وبناتٌ يريدون الدراسات، **فلا تجبر** ولدك على على شيء لا يرغبه.

أحدهم يجبره أبوه جبرا على أن يدرس القانون، وقد شكا إلي ذلك، **ثم سبحان** الله قلت له أطع والدك، ماذا تفعل؟! **لكن** حاول ان تقنعه، قال: هو غير مقتنع، **لأن** الطالب يريد الشريعة والدين، والوالد ينظر نظرة أخرى.

بعضهم يا إخواني يريد الرياضة كرة قدم وغيرها، حاول تقنعه أيها الوالد، أيها الموجّه، فإن اقتنع، وإلا اتركه.

لذلك لو نظرت تجد أن بعض العلوم استعصت على بعض أهل العلم، ومنهم الإمام **الأصمعي** ([1]) استعصى عليه علم العروض، مع أنه في اللغة ما شاء الله عليه، **والرَّهاوي** محدث في الخط، **وابن الصلاح** في المنطق، **وأبو مسلم** النحوي في علم التصريف، في علم النحو عمدة، **لكنه** في علم التصريف فإنه لا يحسنه، **وهكذا** تجد مثل هذه الأمور عند كثير من الناس لم يفتح عليها فيها.

فضاعف الرغبة، أفزع إلى الله عز وجل، أنت تحب علم الحديث مثلا أو التفسير أو كذا، تحبه لكنك لا تحسنه، الجأ إلى الله عز وجل أن يفتح لك هذه المدارك، وتذكر دعاء ابن تيمية: (**اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني**)، **{ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما}**، لكن فهم الله عز وجل تلك القضية لسليمان، فالمعلم والمفهم هو الله عز وجل الذي يفهمنا، فتجد الفتح إن شاء الله في ذلك.

قال المؤلف رحمه الله:

[الأمانة العلمية]

يجب على طالب العلم فائق التحلي بالأمانة العلمية، في الطلب، والتحمل والعمل والبلاغ، والأداء فإن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها

([1]) [اسمه عبد الملك بن قريب، بضم القاف وفتح الراء وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة، ثم باء موحدة، ابن عبد الملك بن أصمع البصرى الإمام، صاحب اللغة، والغريب، والأخبار، والمُلح، يكنى أبا سعيد، من أئمة الحديث الكبار، والمعتمد عليه فيها. روى الحديث عن جماعات من الكبار، وروى عنه جماعات من الكبار]. تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ٢٧٣)، من الطبقة (٩) من صغار أتباع التابعين، الوفاة (٢١٦)هـ، وقيل غير ذلك ،روى له (م د ت)، صدوق

أمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة، فقد مس العلم بقرحة، ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلَّوا بأسنى فضيلة، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، **وأمثال هؤلاء** لا تجدُ الأمانةَ في نفوسهم مستقراًّ، **فلا يتحرَّجون** أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا، **وهذا** ما كان يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال، **وتمييز** من يسرفُ في القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم، **حتى أصبحَ طلاب العلم** على بصيرة من قيمة ما يقرؤونه، فلا تخفي عليهم منزلته، من القطع بصدقِهِ أو كذبه، أو رجحانِ أحدهما على الآخر، أو احتمالها على سواء]. أهـ.

الشرح:

قبل الكلامِ عن الأمانة العلمية حدثنا شيخنا الشيخ **(عبد الفتاح عشماوي)** رحمه الله تعالى -وكنت أحب في دروس وحلقات يجعلونها غير أكاديمية يسموها حصة إضافية، في أوقات معينة غير أوقات الدرس، فمن يذهب إلى التفسير، ومن يذهب إلى الخطابة، ومن يذهب إلى الحديث، أنا ذهبت إلى الخطابة عند هذا الشيخ، حتى أرجع إلى أهلي وقومي ربما أخطب للناس، وقد حدث هذا، فكان يحدثنا- عن رجل أقنعته امرأته فقالت له:

(أنت عالم وأنت كذا، لماذا لا تخطب بالناس، اخطب في الناس)، فاقتنع ثم صعد على المنبر، وإذا بالناس كلهم ينظرون إليه، وينتظرون كلامه، حتى النعسان والنائم ... ما دام لا يتكلم ماذا حدث؟ سكت قليلا، ثم قال لهم:

(ما لكم تنظرون إلي هكذا؟ بأعين شزر)، يعني في إنكار، فبدأوا يتهامسون، وإذا به من على المنبر يطلق زوجته، فقالوا له: **(لماذا؟!)** قال:

(هي التي دعتني لذلك)، نسأل الله السلامة، وهو لا يحسن هذا، لكنه مسكين، فوقف في موقف صعب عليه.

فيجب على طالب العلم أن يفوق بالتحلي بالأمانة؛ **لأن الأمانة** إذا فقدت من طالب العلم، وهو عالم صغير أو عويلم، غدا سيصير عالما، فإذا فقدت الأمانة منه فقدت منه البركة كلها.

فلا بد أن تكون أمينا في الطلب، **أمينا** في التحمّل، **أمينا** في العمل، **أمينا** في البلاغ والأداء، **وفلاح** هذه الأمة في صلاح أعمالها، **وفعلا** صلاح العمل، **والعمل** يكون مبنيا على العلم، **والعلم** إذا كان فيه خيانة الذي بلغك إياه خائن، **فمن أين يأتي صلاح العمل؟**

إذن أين فلاح الأمة؟ وهذا ما يحدث في هذا الزمان، نسأل الله السلامة، هناك خيانات كثيرة جدًّا – إن صح التعبير– في صحة العلوم، **وفي** صحة نسبتها، كما يقولون، **وكل** يغني على ليلاه، يأخذ النص من القرآن أو من السنة مباشرة ويجعله له، يجيِّره ويلوي عنقه حتى يصير له هو فقط حسب هواه.

فلا تخلو الطوائفُ المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلَّوا بأسنى فضيلة، كثير منهم من يدخل العلم وإنما ليقدح، لا أن يعلم الناس، ولا أن يعمل ولا يعلم ولا يستفيد، ولا يحفظ مثل العلم، هؤلاء لا تجدُ الأمانةَ في نفوسهم مستقراًّ.

أذكر زميلا لي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من إندونيسيا لما خرجنا متجهين إلى المسجد، قال لي: (**يا فؤاد! نحن نتعلم الحيض والنفاس، والحيض والنفاس لابد منه؛ لأنه طهارة، ولون الدم الأحمر، ولونه قاني، ومتى تطهر المرأة، لكن نحن رجال فمالنا ولهذا؟!**) قلت:

(**أنت ستصبح عالما، وفي بلدك يشار إليك بالبنان، وتسأل عن هذا فماذا تفعل؟**) أووه، وهو يريد أشياء أخرى، فكأن هذا الشيء لا ينفعه، والله كلمتي هذه أنا استفدت منها كثيرا، زوجات وبنات مسؤولين في الأحزاب في هذا الوقت لا يعلمون مثل هذه الأحكام، يتصلون بي: (**ما حكم كذا وكذا، لونه زهر يا شيخ، لونه كذا، ما الحكم فيه، على الثلاثين طهرت ماذا تفعل؟**)

لولا أن مشايخنا –رحم الله من مات منهم وحفظ من كان حيا– علمونا، لما عرفنا الإجابة، وكنا من الجاهلين.

شيخنا المصري -حفظه الله إذا كان حيا- **محمد محمد الشريف** علمنا فقه الحديث، لو ما تعلمنا هذا، **هل سنتعلمه اليوم؟** سنخرب أكثر ما نعمر، إذا لم نعرفه على أصوله، وتركنا ما يتهمونهم أنهم علماء حيض ونفاس، هذا الحكم الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، إذا ما طهرت المرأة وكنت أنا السبب في طهارتها وصلاتها من عدمها.

فهل هناك فلاح للأمة إذا صلت نساؤها على غير طهارة، أو تترك الصلاة ظانة أنها نجسة، **فلا تستهينوا** يا عباد الله بأحكام الله، **تصفون علماء المسلمين** بأنهم علماء حيض ونفاس واللحية وحلق الراس، وكلها آس آس، فجاءنا الأسى والحزن.

لابد من احترام وتوقير وهيبة للأحكام الشرعية، جزاه الله خيرا هو يكون مخصصا في هذا الشيء، وأنت كن متخصصا في شيء آخر، يعني أنت لست بفالح في علم ما أو في فن ما، وتعيب علينا في مسألة ما، هذه مشكلتك.

فلابد لطالب العلم أن يكون على بصيرة من قيمة ما يقرؤه، ولا تخفى عليه منزلته، من القطع بصدقِهِ أو كذبه، لابد أن تقطع بالصدق أو الكذب حتى تأخذ العلم صافيا لا خيانة فيه، وجاء الصدق، لذلك قال المؤلف رحمه الله:

[الصدق

صدق اللهجة عنوان الوقار، **وشرف** النفس، **ونقاء** السريرة، **وسمو** الهمة، **ورجحان** العقل، **ورسول** المودة مع الخلق، **وسعادة** الجماعة، **وصيانة** الديانة، **ولهذا** كان فرض عين، **فيا خيبة** من فرط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه وعلمه بأذى.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: **تعلم الصدق** قبل أن تتعلم العلم.

وقال وكيع رحمه الله تعالى: **هذه الصنعة** لا يرتفع فيها إلا صادق.

فتعلم رحمك الله الصدق قبل أن تتعلم العلم.

والصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، **أما نقيضه الكذب فضروب وألوان**، ومسالك وأودية، **يجمعها ثلاثة**:

أولا: كذب المتملِّق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملَّق لمن يعرفه فاسقا أو مبتدعاً، فيصفه بالاستقامة.

ثانيا: وكذب المنافق: وهو ما يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع؛ كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

ثالثا: وكذب الغبي: بما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد؛ كمن يعتقد صلاح صوفيٍّ مبتدع فيصفه بالولاية.

فالزم الجادّة (الصدق) فلا تضغط على عكد اللسان **ولا تضم** شفتيك، **ولا تفتح** فاك ناطقا إلا على حروف تعبر عن إحساسك الصادق في الباطن، **كالحبِّ** والبغض، أو إحساسِك في الظاهر، كالذي تدركه الحواس الخمس: السمع والبصر، والشمّ والذوق واللمس.

فالصادق لا يقول: أحببتك، وهو مبغض، **ولا يقول**: سمعت وهو لم يسمع، وهكذا، **واحذر** أن تحوم حولك الظنون **فتخونك** العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكذابين.

وطريق الضمانة لهذا إذا نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه، **أن تقهرها** بذكر منزلة الصدق وشرفِه، ورذيلةِ الكذب ودركِه، **وأن الكاذب** عن قريب ينكشف، واستعن بالله ولا تعجزن.

ولا تفتحْ لنفسٍ سابلةَ المعاريض في غيرها ما حصره الشرع.

فيا طالب العلم! احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، **وأسوأ مرامي** هذا المروق الكذب في العلم لداء منافسة الأقران، وكيران السمعة في الآفاق.

ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالا يحملون **بصائر** نافذة، **وأقلاما** ناقدة، **فيزنون** السمعة بالأثر، **فتتم** تعريتك عن ثلاثة معان:

فقد **الثقة** من القلوب، ذهاب **علمك** وانحسار القبول، أن **لا تُصدَّق** ولو صَدَقت.

وبالجملة؛ فمن يحترف زخرف القول، فهو أخو الساحر، **{ولا يفلح الساحر حيث أتى}**، والله أعلم].

الشرح:

الأمانة العلمية أيضا تقتضي أمرا آخر، وهو الصدق، **والصدقُ** صدقُ اللهجةِ والكلام، أو صدقُ الفعل وعدمه، **يعني** إظهارُ غيرِ الحقيقة، فهنا **صفة جميلة جدًّا** وجليلةٌ كأنها عنوان الوقار، **وشرف** النفس، **ونقاء** السريرة، صفات كبيرة لها.

فالصدق يتعلَّمه الإنسان منذ الصغر، **وفي العلم** وما شابه ذلك، **خصوصا طالب العلم** يحتاج إليه، هذا العلم، **وهذه الصنعة** لا تُنال إلا بالصدق، ولا ينتفع بهذه إلا صادق، لابد أن تتعلم الصدق وتجاهد نفسك عليه.

بعض العلماء -مثل علماء السلف- قال: **(لقيت من الصدق مشقة)**، في كل شيء لا يكذب أبدا، نسأل الله السلامة من الكذب وأهله.

فالصدق قالوا في معناه؛ إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع، **وعكسه** الكذب وهو إلقاء الكلام على وجه غير مطابق للواقع، **كذلك** في الاعتقاد، **ونجد للصدق** طريقا واحدا، **لا يصلح للإنسان** من طرق متعددة.

أما الكذب فحباله كثيرة، لكنها قصيرة، فهناك من أوديته التملُّق والنفاق والغباوة، هذه أودية تودي بالإنسان إلى الكذب.

فالمتملق لماذا يخالف الواقع والاعتقاد؟ يخالفه يريد شيئا منه، فيعرفه فاسقا أو مبتدعاً، ويصفه بالاستقامة.

أما المنافق فهذا في الاعتقاد، **والمنافق** ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية، إنما نحن معكم، **يقولون** هذا الكلام أنهم مع المسلمين لكن في الحقيقة هم على غير ذلك، فيخالفون في الاعتقاد.

وأما الغبي فهذا كذب بما يخالف الواقع، **ويطابق الاعتقاد**؛ كصلاح الصوفي المبتدع المحترق، لكنَّ وصفه بالولاية؛ بأن يراه يطير أو يمشي فوق الماء، أو يُدخِل السكين في بطنه، وهذا لا يدل على الولاية؛ لأن بعض النصارى **وبعض الكفار** يفعلون ذلك، **كالهنود** يأكلون النار **ويمشون** فوق النار، **وينامون** فوق النار، هل هذا وليّ؟

الولاية اعرضها على الكتاب والسنة كما قال الشافعي رحمه الله (١): **لا تغتروا** بمن يطير على الهواء، **ويمشي** فوق الماء، **اعرضوه** على الكتاب والسنة.

فالزم جادة الصدق يا عبد الله، فلا تضغط على عكد اللسان (٢) وهو عقدة أصله، لذلك لا تعرِّض الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، **فتخبر** بخلاف ما تعلم، فكن صادقا.

فالصادق لا يقول: أحببتك، وهو مبغض، **وهكذا** كن يا عبد الله، **وكذلك** لا تقول: سمعت وأنت لم تسمع، أو شممت وأنت لم تشم.

وطريق الضمانة لهذا؛ إذا نازعتك نفسك بكلامٍ غير صادق وحدثت هذه المنازعة، **تتذكر** كلام الشيخ تتذكر الأحاديث، **تتذكر** هذه الأشياء، **وهذه تريد** أن تتلفظ بها؛ **اقهرها** بذكر منزلة الصدق عند الله سبحانه وتعالى، **وبشرفِ** الصدق، **وبرذيلةِ** الكذب ودركِه، **والكاذب** عن قريب ينكشف، **واستعن** بالله ولا تعجزن.

---

(١) [حُكِي للإمام الشافعي رحمه الله ما قاله الليث بن سعد، فقيه مصر ومفتيها في زمانه: (لو رأيتم الرجل يمشي على الماء؛ فلا تعتدوا به، ولا تغتروا به حتى تعرضوه على كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقال:

(لقد قصَّر الليث، لو رأيتم الرجل يمشي على الماء، أويطير في الهواء، فلا تعتدوا به، ولا تغتروا به حتى تعرضوه على كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب)]. (فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب) لمحمد نصر الدين محمد عويضة.

(٢) [(عكد) العكدة: أصل اللسان]. الصحاح تاج اللغة (٢/ ٥١١).

ولا تفتح لنفسك سابلةَ المعاريض؛ أي التورية، أنت تقول شيئا وتقصد أمرا آخر، هو يفهم شيئا مخالفا، **فأنت** لا تريد الشيء الذي فهمه هو، **وتكون صادقا** في قولك، هذه تسمى تورية أو معاريض، **والمعاريض** اجعلها فيما حصره الشرع فقط، أما غير ذلك فابتعد عنه.

فيا طالب العلم! احذر أن تمرقَ من الصدق إلى المعاريض فالكذب، يعني إذا تخليت عن الكذب تصدق، وإذا ذهبت إلى المعاريض وأنت صادق، قاربت من الكذب، يوشك أن تلج فيه، وأسوأ مرامي هذا المروق الكذب في العلم لداء منافسة الأقران، يريد أن يكذب حتى ينافس أقرانه، وكيران السمعة في الآفاق، قال في القاموس: [**الكِيرُ**، بالكسر: زِقٌّ يَنْفُخُ فيه الحَدَّادُ]، والجمع كيران، فأنت لا تصير كيرا للسمعة، تريد أن تنفخ، سمعتك تطير في كل مكان، فما الذي يدفع الإنسان للكذب؟ يريد السمعة، يريد الظهور، فيصير كيرا من كيران السمعة.

ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته؛ بالكذب يريد أن يصل إلى منزلة أعلى، فليعلم أن في المرصاد ومن يترصدك رجالا يحملون بصائر نافذة (١)، وأقلاما ناقدة (٢)، وفيس بوك وإنترنت، وكلها تنتظر من يكذب.

فيزنون السمعة بالأثر، **أين** سمعة هذا الإنسان؟ **وأين ميزانه** أمام الكتاب والسنة؟ **فتتم** تعريتك عن ثلاثة معان، **وهذه** المعاني مطلوبة في طالب العلم، فلا تتعرى منها بالكذب والسمعة، وهذه المعاني:

فقد **الثقة** من قلوب الناس.

ذهاب **علمك** وانحسار القبول من عند الله سبحانه وتعالى.

أن **لا تُصَدَّق** ولو صَدَقْتَ، كذاك الرجل الذي استغاث بالناس، فسألوه عن السبب فقال: (**الذئب يريد أغنامي**)، فجاؤوا فقال لهم: (**كذبت عليكم**)، وفي الثانية ناداهم، وكان كاذبا على سبيل المزاح، وفي

---

(١) [البَصيرَةُ: مابين شقتي البيت، وهى البَصائرُ. والبَصيرَةُ: الحُجَّةُ والاسْتِبصارُ في الشئ]. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٩٢)

(٢) [(ونَاقَده) فِي الأَمْر (: نَاقَشَه)] ...و [معنى نَقَدْتَهم، أَي عِبْتَهم واغْتَبْتَهم قابلُوك بِمثلِهِ]. تاج العروس (٩/ ٢٣٤، ٢٣٥).

المرة الثالثة جاء الذئب على الحقيقة، فنادى وهو صادق لكنهم كذبوه وما جاؤوه، مع أنه صادق، فالذي يتعود على الكذب لا تصدقه الناس ولو صدق.

قال المؤلف رحمه الله:

[جُنَّةُ طالب العلم

جنة العالم لا أدري، ويهتك حجابه الاستنكاف منها، وقوله: يقال...

وعليه، فإن نصف العلم لا أدري، فنصف الجهل يقال وأظن.

المحافظة على رأس مالك

(ساعات عمرك)

الوقت الوقت للتحصيل، فكن حلف عمل لا حلف بطالة وبطر، وحِلْسَ معمل لا حلسَ تَلَهٍّ وسمر، فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءةً وإقراءً، ومطالعةً وتدبراً، وحفظا وبحثا، لا سيما في أوقات شرخِ الشباب ومقتبل العمر، ومعدِن العاقبة، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنالَ رتبَ العلم العالية، فإنها؛ وقت جمع القلب، واجتماع الفكر، لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال.

ما للمعيل وللعوالي إنما *** يسعى إليهم الفريد الفارد

وإياك وتأمير التسويف على نفسك، **فلا تسوف** لنفسك بعد الفراغ من كذا، **وبعد** التقاعد من العمل هذا... وهكذا، بل البِدار قبل أن يصدق عليك قول أبى الطمحان القيني:

مَعَ الثَّمَانِيْنَ عَاثَ الضَّعْفُ فِي جَسَدِي *** وَسَاءنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي

إِذَا كَتَبتُ فَخطِّي خطُّ مُضطَرِبٍ *** كخطِّ مُرْتَعِشِ الكفَّيْنِ مُرْتَعِدِ

فَاعجَبْ لضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلهَا قَلَماً *** مِنْ بَعْدِ حَطْمِ القنَا فِي لَبَّةِ الأَسَدِ

فَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طولَ مُدَّتِهِ: *** هَذِي عَواقِبُ طولِ الْعُمر وَالمُدَدِ

فإن أعملت البِدار، فهذا شاهد منك على أنك تحمل كِبَر الهمّة في العلم].

الشرح:

في هذا المجلس السابع من مجالس شرح حلية طالب العلم، **وقد علمنا** في الحلقة الماضية من آداب الطلب؛ الرحلة للطلب، (**فمن لم يكنْ رُحْلَةً لن يكونَ رُحَلَة**)، وعليك أن تحفظ العلم كتابة في (**كُنَاش**) أو (**مذكرة**) أو كشكول لتقييد الفوائد والفرائد، ثم حفظ الرعاية بالعمل والاتباع، وتعاهد المحفوظات من وقت إلى آخر، **وأيضا** التفقه بتخريج الفروع على الأصول، **وفي** كل ذلك قبله وبعده وأثناءه عليك اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في الطلب والتحصيل، وأن تكرر قول ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه: (**اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني**)، فتجد إن شاء الله الفتح في ذلك).

والتحلي بالأمانة العلمية، في الطلب، **والتحمل** والعمل والبلاغ، **فكل** هذا يحتاج إلى أمانة، وأن تكون صادق اللهجة.

والصدق هو إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع، **فالصدق** من طريق واحد، أما نقيضه الكذب من طرق متعددة، وله مسالك وأودية، وإياك وكذب **المتملق**: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، وكذب **المنافق**: وهو ما يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع، وكذب **الغبي**: بما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد.

وكذلك إذا تطلعت إلى سمعة فوق منزلتك، **فاعلم** أن هناك بالمرصاد رجالا يحملون بصائر نافذة، وأقلاما ناقدة، وأصابع ناقرة، **وهذه** أضيفوها عندكم، تنقر على الفسبكة وغيرها، فيزنون السمعة بالأثر،

السمعة التي سمعوها عنك، أين أنت منها في الأثر، فتتم تعريتك عن ثلاث معان؛ يتعرى الإنسان بالسمعة التي لن ينلها حقيقة، بثلاثة معان: تفقد **الثقة** من القلوب، ويذهب **العلم** وينحسر القبول، وأن **لا تصدق** ولو صدقت.

وبالجملة فمن يحترف زخرف القول، فهو أخو الساحر، **{ولا يفلح الساحر حيث أتى}**. والله أعلم.

ويزيدنا المؤلف رحمه الله د. بكر أبو زيد رحمه الله تعالى من هذه الآداب فيقول:

جُنة طالب العلم؛ أي وقاية طالب العلم، وكذلك العالم، فالجُنة والوقاية لهما: **(لا أدري)**، فما أحسن من أكثر -ولو كان عالما أو طالب علم- من كلمة: **(لا أدري)**، وهو لا يدري حقيقة، لكن الذي يهتك الحجاب ويكشف الإنسان؛ **(يُقال، زعموا، يُظن)**، وعليه؛ فإن نصف العلم؛ **(لا أدري)**، فنصف الجهل: يقال وأظن.

والمحافظة على رأس المال، ورأس ماله ساعات العمر، الوقت هنا للتحصيل، **فكن محالفا** دائما للعمل، لا لتحالفَ البطالةَ والكسل، والبطر، **وحِلْسَ** معمل لا حلسَ تَلَهٍّ وسمر، والحلس؛ هو البساط الثقيل الذي يلقى في البيت، **فربما يخرجونه** من البيت كل عام مرة لينظفوه.

يعني كلمة حلس هنا مقصودها كن حلسَ عمل مستمر، لا حلس تله وسمر وسهر، وأن تحافظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وأنت طالب تلازم المشايخ والعلماء وتثافنهم، **والمثافنة** من أثفان الإبل التي تكون في صدرها، وتلازم الأرض، **حتى** تقيها من الأمور الأخرى، **وأنت** تقيها بركبك، **وتزاحم** طلبة العلم عند العلماء، **وتشتغل** بالعلم قراءةً وكتابة وإقراءً، **ومطالعةً** وكلّ الأنواع التي يحتاجها الطالب، والبحث.

فبادر يا عبد الله! بشرخِ الشباب؛ لأن شرخ الشباب له فترة معينة ثم يندثر ويذهب، **وتدخل** الشيخوخة، فهنا في مقتبل العمر، **ومعدِن** العاقبة، هذه فرصة غالية، فيها يمكن للإنسان أن يسيِّرَ دفَّة حياته، **ويعرف** نفسه أين هو، **ويغتنم** هذه الدفة، **ويَسيْرُ** إلى الرتب العالية، **فإنها** وقت الشباب وقت جمع

القلب، **واجتماع** الفكر، **وقت** النضوج، **وهنا** قلة صوارف، الشاب هنا عنده قلة في الصوارف والشواغل عن التزامات الحياة والترؤس، **وخفَّة** الظهر والعيال، ما عنده زوجة ولا أولاد، ولا عنده نفقات، وما شابه ذلك، فيكون غيره يعيله، **فهو** عنده تفرغ لئلا يعيل غيره، **فلا** يحدث عنده التفرغ.

جاء في الكشكول (١/ ١٠٧)، وهذا كتاب اسمه (**الكشكول**)، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، المتوفى سنة إحدى وثلاثين وألف من الهجرة، نقلا عن أبي الفرج علي بن الحسين بن هند من الحكماء الأدباء، هو المنسوب إليه:

ما للمعيل وللعوالي إنما *** يسعى إليهم الفريد الفارد

ما للمعيل =الذي عنده عيال= وللمعالي =أن يصعد علوًّا في الرتب وعنده أطفال وعائلة= إنما يسمو إليهنَّ الوحيدُ الفارد، وهذا كما جاء في الكشكول، ولكن في الكتاب الذي بين أيدينا (**الفريد الفارد**)، المتوحد، ويقولون في اللغة الثور الفارد، وهو الثور الذي انفرد عن القطيع، فهو ينفرد.

فالشمسُ تجتازُ السماءَ فريدةً *** وأبو بناتِ النَّعْشِ فيها راكدُ

انظر إلى الأمثلة جعل الشمس تمشي، وأما أبو بنات النعش، وهذا تعلَّموه في الفلك، وليس بواجب، ولكنه من علم المعرفة.

ثم يحذرك من تأمير التسويف على نفسك، بالسين وسوف، يسوف فيقول: سأعمل ليس الآن بعد، وسوف أفعل، متى؟ قال: بعد الفراغ، بعد التقاعد من العمل، بل البِدار، بكسر الباء، وهي واردة في كتاب الله عز وجل، في سورة النساء: **{وبدارا أن يكبروا}**، يعني في حال التبكير، **والساعات الأولى** من العمل، قدر ما يستطيع يبكر الإنسان، قبل أن يصدق عليك قول أبي الطمحان القيني:

أبو الطمحان هذا من المعمرين، يقال أنه عاش مائتي عام، بل ذكره ابن حجر رحمه الله في الإصابة في تمييز الصحابة، **وهو أبو الطمحان القيني واسمه؛** حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين، والقين والقيِّن

في اللغة يطلق على الحداد، الذي عنده حدادة، وعنده نار، وما شابه ذلك، قال محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) في التذكرة الحمدونية (٦/ ٣٨):

[ومن المعمّرين أبو الطمحان القيني، واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين. قال أبو حاتم: عاش أبو الطمحان القيني مائتي سنة، وقال في ذلك]:

حنتني حانياتُ الدهر حتى ... كأنّي خاتلٌ يدنو لصيد

حنتني حانيات الدهر من كبر السن، وحنتني حانيات هي السنين

كأني خاتلٌ أدنو لصيدٍ، أي كأنه يريد أن يقترب من صيد الأرنب، فالذي يراه يحسب أنه يريد صيدا.

قريبُ الخطو يحسبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقَيَّداً أني بِقَيْدِ

[أراد: قد كبرتُ، وضعف مشيي، حتى صار بمنزلة مشي مخاتل الصيد، في ضعفه وخفيته]. (١)

وقال أسامة بن منقذ الذي توفي سَنَةِ أَرْبَعٍ وثمانين وخمس مائة من الهجرة، وهو الأَمِيْر، كما قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله (٢) الكَبِيْر مُؤَيِّد الدَّوْلَةِ، مَجْدُ الدِّيْنِ أَبُو المُظَفَّرِ أُسَامَة بن مُرْشِد بن مُنْقِذ الكِنَانِيّ الشَّيْزَرِيّ، وهو شاعِر توفي عَنْ سَبْع وَتِسْعِيْنَ سَنَةً، **فانظر** ماذا قال عندما وصل الثمانين:

مَعَ الثَّمَانِيْنَ عَاثَ الضَّعْفُ فِي جَسَدِي *** وَسَاءِنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي

مَعَ الثَّمَانِيْنَ عَاثَ الضَّعْفُ فِي جَسَدِي، وكلمة عاث تعني الانتشار بفساد وإفساد، عاث بالأمراض، عاث بالضعف في جسده، وَسَاءِنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي فكل أعضائه ترتجف وتضطرب.

---

(١) (الزاهر في معاني كلمات الناس)، أبي بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) (١/ ٤١٦).

(٢) انظر تاريخ الإسلام، ت بشار (١٢/ ٧٧٥).

إِذَا كَتَبتُ فَخطِّي خطٌّ مُضطَرِبٍ ***كخطِّ مُرْتَعِشِ الكفَّيْنِ مُرْتَعِدِ

فمن وصل إلى هذا السن إذا أراد الكتابة تخرج الخطوط متعرجة ليست مستقيمة، وذلك لارتعاش اليدين، وارتعادها.

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما *** من بعد حمل القنا في لَبَّة الأسد

فَاعجَبْ لضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلَماً مع خفة وزنه؛ لأنه كان زمن الشباب شاعرا وكاتبا، وقبلها كان مجاهدا مقاتلا في سبيل الله، ضعفت أركانه مِنْ بَعْدِ حَطْمِ؛ أي تحطيم القنَا وهو الرمح وسلاحه رغم ثقله، أطعن به فِي لَبَّةِ الأَسَدِ أي في نحره.

فَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طولَ مُدَّتِه: *** هَذِي عَواقِبُ طولِ الْعُمر وَالمُدَدِ

ومن هذه الخبرة والمعاينة، قل لمن يبتغي طول العمر: هذه العوارض من ضعف الجوارح، ونقص الحركة، وقلة العمل، هي نتائج من طال عمره، وكبر سنه، فما فائدة هذا التمني، وهذه عواقبه؟!

فإن أعملت البِدار، أي السرعةَ والتبكير، فهذا شاهد منك على أنك تحمل كِبَرَ الهمّة في العلم.

فنسأل الله أن ينيلنا وإياكم إياها، آمين يا رب العالمين.

قال المؤلف رحمه الله:

[إجمام النفس

خذ من وقتك سويعاتٍ تجِمُّ بها نفسك في رياض العلم؛ من كتب المحاضرات؛ (**الثقافة العامة**)، فإن القلوب يروَّح عنها ساعة فساعة.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: (**أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان**).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حكمة النهي عن التطوّع في مطلق الأوقات: بل في النهى عنه بعض الأوقات مصالح أخرُ؛ من إجمام النفوس بعض الأوقات، من ثقل العبادة، كما يجم بالنوم وغيره، ولهذا قال معاذ: (**إني لأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي ...**).

وقال: بل قد قيل: إن من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات: **إجمام النفوس** في وقت النهي لتنشط للصلاة، **فإنها** تنبسط إلى ما كانت ممنوعة منه، **وتنشط للصلاة** بعد الراحة. والله أعلم. أهـ.

ولهذا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمدٍ بعيد، **وكان** الأغلب فيها، يوم الجمعة، وعصر الخميس، وعند بعضهم يوم الثلاثاء، ويوم الاثنين، وفي عيدي الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام وهكذا...

ونجد ذلك في كتب آداب التعليم، وفي السير، ومنه على سبيل المثال: (**آداب المعلمين**)، لسُحنون (ص١٠٤)، و(**الرسالة المفصلة**)، للقابسي (ص: ١٣٥- ١٣٧)، و(**الشقائق النعمانية**)، (ص: ٢٠)، وعنه في (**أبجد العلوم**)، (١/ ١٩٥- ١٩٦)، وكتاب (**أليس الصبح بقريب**)، للطاهر ابن عاشور، **وفتاوى** رشيد رضا (١٢١٢)، و(**معجم البلدان**) (٣/ ١٠٢)، و**فتاوى** شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ٣١٨- ٣٢٩،٣٢٠).

قراءة التصحيح والضبط:

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ متقن؛ **لتأمنَ** من التحريفِ والتصحيفِ، والغلطِ والوهم.

وإذا استقرأت تراجم العلماء، **وبخاصة** الحفاظ منهم، **تجد** عدداً غيرَ قليل ممن جَرَد المطولات في مجالس أو أيام قراءةَ ضبط على شيخ متقن.

فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قرأ **صحيح البخاري** في عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات، و**صحيح مسلم** في أربعة مجالس، في نحو يومين وشيء من بكرة النهار إلى الظهر، وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة (٨١٣)هـ، وقرأ **سنن ابن ماجة** في أربعة مجالس، و**معجم الطبراني الصغير** في مجلس واحد، بين صلاتي الظهر والعصر.

وشيخه الفيروز آبادي قرأ في دمشق **صحيح مسلم** على شيخه ابن جهبل قراءة ضبط في ثلاثة أيام.

والخطيب البغدادي والمؤتمن الساجي، وابن الأبار وغيرهم في ذلك عجائب وغرائب يطول ذكرها، وانظرها في: (**السير**) للذهبي (١٨/ ٢٧٧، ٢٧٩)، (١٩/ ٣١٠)، (٢١/ ٢٥٣)، و(**طبقات الشافعية**) للسبكي (٤/ ٣٠)، و(**الجواهر والدرر**) للسخاوي (١/ ١٠٣- ١٠٥) و(**فتح المغيث**) (٢/ ٤٦)، و(**شذرات الذهب**) (٨/ ١٢١، ٢٠٦)، و(**خلاصة الأثر**) (١/ ٧٢- ٧٣)، و(**فهرس الفهارس**) للكتاني، و(**تاج العروس**) (١/ ٤٥- ٤٦)، فلا تنس حظك من هذا].

الشرح:

أيضا تحتاج النفوس إلى إجمام، أجمَّ نفسه معناه: عَفَاها وأعفاها من التَعَبِ، **وذَهَبَ** إِعْياؤُهُا، يُجم نفسه يذهب عنه التعب، **ويذهب** عنها الإعياء، **والذي** يقرأ يحدث لجسمه وذهنه نوع من التعب والمشقة والفتور، فيحتاج إلى سويعاتٍ يعفي نفسه من التعب، ويذهب الإعياء، وذلك يكون بقراءة كتب أخرى، يعني تنتقل من هنا إلى هناك، كتب في محاضرات تسمى (**الثقافة العامة**)، هنا تروَّح بها القلوب، ككتاب (**الأذكياء**) مثلا، لابن الجوزي، أو (**الحمقى والمغفلين**)، أو قصص السابقين، أو من السير، وما شابه

ذلك، فقد ورد في الأثر عن علي رضي الله تعالى عنه: (**أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان**). ([1])

وقال ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه مبينا حكمة في النهي عن الأوقات المنهي فيها الصلوات، بعد الصبح مثلا، بعد العصر، وقبل الزوال، وأنَّ النهي عن بعض الأوقات فيه مصالح، غير أنها حِكَم قد لا نعلمها، لكن يعلمها الله عز وجل.

فالأحكام الواردة عن الله سبحانه، أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم، **نعمل** بها سواء علمنا الحكمة من هذا الحكم، أو لم نعلم، **فالحكمة** لا تعلل، فإن وجد تعليل شرعي كان به، وإن استنبط العلماء شيئا يقولون: (**ربما، والله تعالى أعلم**)، ولعل هذا يكون من الحكم، فإن لم نجد تعليلا عملنا بالحكم وقلنا: سمعنا وأطعنا.

فمن الحكم هنا ترك الصلاة في بعض الأوقات، **والنهي** عن الصلاة فيها، **لإجمام** للنفوس في بعض الأوقات، **إجمام من ماذا؟ وراحة من ماذا؟** من ثقل العبادة، كما يجم بالنوم وغيره، إنسان ينام حتى يستريح، ولهذا قال معاذ: (**إني لأحتسب نومتي**)، يعني يجعل نومته هذه في سبيل الله، يتقوى بها على طاعة الله، (**كما أحتسب قومتي**)، قيامه للعبادة، لله سبحانه وتعالى، قيامه ليصلي.

إذا كان الطعام الذي تأكله ويأكله غيرك من الكفار والمشركين وما شابه ذلك، **فإن** ابتغيت به وجه الله وتقوِّي جسمك بطاعة الله عز وجل، **تأخذ** الأجر عليها، **مع** أن هذه من سنن العادات، **يفعلها** الكافر والحيوان، وكل مخلوق يدبُّ على وجه الأرض يبحث عن الطعام، ولا ثواب ولا أجر، لكن أنت تفعلها لأمر آخر فتثاب وتؤجر.

([1]) (مكارم الأخلاق ومعاليها)، للخرائطي (٢/ ٢) رقم: (٢٧٢).

أيهما أكثر حكمة؛ أكل ليعيش، أم عاش ليأكل؟ سُئل أحدهم وهو يجلس في مطعم، على الأرض، وكان شابًّا في العشرينات، قالوا له: لماذا نأكل، قال: والله ما أدري، لا يعرف لماذا يأكل، الله أكبر، أي جواب آخر جيد، لكن يقول: لا أدري، فهو أجاب بنصف العلم، نسأل الله السلامة.

وقال ابن تيمية: **(بل قيل إن من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات فيه إجمام النفوس)؛** لتتقوى على طاعة جديدة، تصور أنت ممنوع مثلا من التطوع بعد صلاة الصبح، فتقوم لصلاة الشروق أو الضحى، وأنت متشوق للصلاة، بعد أن منعت منها ونهيت عنها، **كإنسان** يُمنع عن شيء يحبه ثم يطلق، **ويسمح** له فيه، يمنع ثم يطلق، **فيكون** مقبلا على الطاعة أنشط مما لو سمح مطلقا وأفضل بكثير، **فإجمام النفوس** في وقت النهي لتنشط للصلاة، **فهذه من فعلها** ينشرح صدره للعبادة القادمة، التي كان ممنوعا عنها، **وهناك** تنشط أيضا للصلاة بعد الراحة.

كذلك في هذه الأيام، أيام العلم والطلب، لاحظتم –وهو الآن موجود– العطل الأسبوعية، أيامنا نحن العطلة يوم الجمعة، الآن زادوا يوم الخميس، ثم جعلوه يوم السبت مثلا، وهكذا.

بل الشيخ الدكتور بكر رحمه الله تعالى ضرب مثلا، **ربما بعض الناس** عندهم الثلاثاء والاثنين يجعلونها عطلة، **وهذه** ليست من باب الإلزام، **وإنما** من باب الترويح عن النفس، في أيام معينة، تصور لا جمعة ولا سبت ولا اثنين ولا ثلاثاء، كله علم مستمر، هذا صعب، لابد للنفوس أن يكون هناك نوع من الراحة، ومراعاتها من التعب.

بعض مشايخنا كانوا إذا جلسوا، ومنهم الدكتور محمود ميرة وهو سوري، وكان يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فإذا جلس ورأى بعض الناس الجالسين، ينام أو ينعس، مباشرة يذكِّر ويقول:

قالت جدتي، ويأتيهم بقصة عن جدته، أو يقول: قرأت لكم في كتاب ألف ليلة وليلة، ويأتيهم بقصة قصيرة، **فالناس** تجذبهم القصص، والطلبة عندما يسمعون قصة أو طرفة ما ينامون في الدرس أبدا، بل ينشطون، فالقصة حركت مكامنه ومداخله؛ ليحفظ شيئا أو ليزداد علما.

فلذلك لو كانت توجد مثل هذه الأمور أثناء الدروس فلا مانع، أقول هذا لكم؛ لأن منكم من سيكون خطيبا أو داعيا إلى الله، ومعظم خطبنا اليوم؛

إما أنها علمية بحتة، والعامي لا يستفيد شيئا إلا طالب العلم الجيد، وربما يملّ طالب العلم.

وإما أن تكون الخطب من الرقائق والمواعظ مطلقا ليس فيها رائحة العلم.

لا؛ لابد أن تكون خليطا من هذا ومن هذا، **وما أحسن العصير** إذا كثرت موادّه، من برتقالٍ وغيره، **وما يسمّى (كوكتيل)**، حاولت أن أبتعد عن هذا اللفظ **(كوكتيل)** لكن ما منه مفرّ؛ لأن عامة الناس لا تفهم أحيانا إلا بهذه الألفاظ الأجنبية، لكن رغم أنوفنا، أحيانا لا يفهمون إلا هي، يعني لو قلنا للناس الإذاعة المرئية لا يعرفون، لكن لو قلت لهم **(التلفزيون)** يفهمون، وهي كلمة غير عربية، واللسان طفل، يتعلم من البيئة التي حوله.

وهناك عُطَلٌ في الأعياد والمناسبات، كعيدي الفطر والأضحى ونحوهما.

وهنا؛ ذكر لك قائمةً من الكتب مثل **آداب المعلمين** و**الرسالة** و**معجم البلدان**، والفتاوى، كلها تدل على وجود الإجمام والراحة.

واحرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ متقن؛ **لماذا؟** لأن القراءة وحدها لا تكفي، فحتاج لتقويم لسانك على شيخ، لذلك كانت عندنا في الجامعة على مدار الأربع سنوات، مادة مقررة اسمها: **(قراءة في كتب السنة)**، قراء فقط، فكان يدرسنا إياها الشيخ لغويٌّ متمكن، وهو سوداني، الذي كان يدرسنا كتب السنة، وكنا نقرأها قراءة فقط، تقويم اللسان فقط، لا شيء غير ذلك، لا شرح ولا غيره، فقط كيف نلفظ الكلمات، المطلوب أن تلفظ صحيحة، هذه قراءة التصحيح والضبط مهمة جدا، كإنسان وقف يشرح وقال: **(أَوَلَمْ بشاة)، وهي (أَوْلِم بشاة)**.

ننظر قراءة الضبط؛ **صحيح البخاري** في عشرة مجالس، قرأه ابن حجر على أحد شيوخه، أما صحيح **مسلم** في أربعة مجالس، **سنن ابن ماجة** في أربعة، **ومعجم الطبراني الصغير** في مجلس واحد، بين صلاتي الظهر والعصر، جلس فقرأهما وانتهى مجلد، ومع ذلك قرأه كاملا، بالضبط، فإذا أخطأ يرجعه ويعلمه، ليس قراءةَ هَذٍّ، بل تحتاج إلى ضبط، فكان ابن حجر يأخذ عنه العلماء ويأخذ عنه الناس، وكلهم عالة عليه رغم أنوف من أراد أن يحرق كتاب ابن حجر والنووي رحمه الله، وهكذا الفيروز آبادي وغيرهم.

قال الشيخ رحمه الله:

[جرْدُ المطولات

الجرد للمطولات من أهم المهمات، **لتعدد** المعارف، **وتوسيع** المدارك، **واستخراج** مكنونها من الفوائد والفرائد، **والخبرة** من مظان الأبحاث والمسائل، **ومعرفةِ** طرائق المصنفين في تأليفهم واصطلاحهم فيها.

وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم: **(بلغ)**، حتى لا يفوته شيء عند المعاودة، لا سيما مع طول الزمن.

حسن السؤال

التزم أدب المباحثة من حسن السؤال، **فالاستماع** فصحة الفهم للجواب، **وإياك** إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي كذا، أو قال كذا، فإن هذا وهن في الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا.

وإن كنت لا بد فاعلاً، فكن واضحا في السؤال، وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تسمِّ أحداً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقيل: إذا جلست إلى عالم، فسلْ تفقُّها لا تعنُّتاً. أهـ، وقال أيضاً: وللعلم ست مراتب: أولها: **حسن** السؤال، الثانية: **حسن** الإنصات والاستماع، الثالثة: **حسن** الفهم،

الرابعة: **الحفظ**، الخامسة: **التعليم**، السادسة: وهى ثمرته، **العمل** به ومراعاة حدوده. أهـ، ثم أخذ في بيانها ببحث مهم].

الشرح:

جرد المطولات، لا نطيل في هذا، ولم يطل الشيخ نفَسَه رحمه الله في ذلك، ومعناها أن تقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، وأتذكر ابن مسعود عندما قال: لعن الله النامصة والمتنمصة، ([1])، وكانت امرأة جالسة قالت: أين لعن ذلك؟ قال: في كتاب الله، غابت ثم رجعت، قالت: والله قد قرأت ما بين لوحيه، يعني القرآن من الفاتحة إلى الناس، ما وجدت ما تقول، قال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، في ماذا، في أي آية، **{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}**، وهذا نهانا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

الذي أريده من هذا المثال، جرد المطولات، وهذه المرأة قرأت القرآن كله، هي قبل ذلك قرأته لكن تريد أن تستخرج هذه المسألة فما وجدت، حسب ظنها وعلمها، أن هناك نصا في المسألة، وليس استنباطا أو فهما وإدراكا.

جرد المطولات؛ الكتاب المطول، هو الكتاب الطويل، ككتب الفقه مثلا، وكتب التاريخ، وكتب السير، وكتب السنن والمسانيد، وكما ذكر الشيخ قبل قليل الصحاح، والكتب الستة أو التسعة وغيرها من الكتب، **فكان السالفون** يكتبون عند وقوفهم؛ لأنه لا يكمله في يوم واحد، فعندما ينتهي يكتب (**بلغ**)، يعني بلغت إلى هنا، **حتى** لا يفوته شيء عند المعاودة، **يمكن** أن يترك أربع صفحات، **لأنه** لا يعرف أين وصل، **فكلمة** (بلغ) يتوقف، لا سيما مع طول الزمن.

وأدب آخر هو حسن السؤال، ثق تماما إذا أحسنت السؤال ونويت به وجه الله، وللتفقه كما قال ابن القيم رحمه الله، وليس للتعنت ستستفيد كثيرا.

([1]) انظر (خ) (٤٨٨٦).

وأما السؤال من أجل الإيقاع بالمسئول فهذا خطأ كبير، تكلّم عنه الشيخ بكر رحمه الله رحمة واسعة، وحفظ له آخرته في كتاب له اسمه **(أدب الهاتف)**، يتكلم عن هذا ويقول: أن هذا من الخيانة، أن تفتح السماعة الخارجية، وتُسمِع الناس ولم تستأذن من صاحب المكالمة، وبعض الناس يريد هذا الإنسان الذي تسأله ربما لا يقول كلامه أمام أي من الناس، لكن يقول أمامك أنت هذا الشيء، أما غيره فلا، فكيف تفتح هذه، فهذه خيانة كما قال وأي خيانة، اقتنوا هذا الكتاب واقرؤوه، لأن الجوالات انتشرت أكثر من عهده في هذه الأيام.

وإن كنت لابد واضحا في السؤال، لأنك سألت شيخا، ثم أردت أن تسأل شيخك، **فقل**: ما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تسمِّ أحداً، يعني إذا كان هناك أناس أفتوا بأمر، لكن لا تقل فلان، لئلا تضرب المشايخ، وهذا ما يحدث اليوم، وهذا الذي يحدث يوقع المشايخ في حرج كبير، فلذلك في الفتاوى، تقول: هل استفتيت أحدا؟ إذا قال: نعم! قل: فخذ بفتواه، ودعك من الموسوسين الذين يتلقون الفتاوى من هنا وهناك، ويأخذ الذي يعجبه، وقد قيل: إذا جلست إلى عالم، فسلْ تفقُّها لا تعنُّتاً.

والست مراتب التي هي للعلم:

أولها: **حسن** السؤال، كيفية الإلقاء، كيفية السؤال، اختر الكلمات المناسبة التي لا تنفر المسؤول الشيخ، أو العالم، أو الداعي إلى الله عز وجل.

والثانية: **حسن** الإنصات والاستماع، إذا أجابك لا تكن منشغلا، كثير من الناس الذين على الإعلاميات يسأل السؤال، ويترك الشيخ يجيب ويعطيه السماعة، وهو يتكلم في جهة أخرى، هذا ليس من أدب السؤال، ولا من أدب طالب العلم، أنت سألت، وهو يسأل للمستمعين لا يسأل لنفسه، **فهل أنت يا طالب العلم** تسأل للمستمعين، أنت تسأل لنفسك، فعليك أن تحسن الإنصات والاستماع.

والثالثة: **حسن** الفهم، لا تفهم خطأ، أنا سألت الشيخ وقال كذا وكذا، ما قال، أنت هذا فهمك، أن تحسن الفهم وكذلك الحفظ.

والرابعة: **الحفظ**، أن تحفظ المسألة التي أخذت الجواب عليها.

كذلك التعليم وهي **الخامسة**، تبلِّغ ذلك أطفالك وأهلك ونساءك وآل بيتك، أو إذا كنت مدرسا أو معلما أو داعيا أو خطيبا أو واعظا أو معلما، تعلِّم ما فهمت.

السادسة: الثمرة وهي **العمل** بهذا العلم ومراعاة الحدود، وألا تزيد على ذلك، إذا تحول الأمر إلى غير ذلك ندخل في المماراة والمجادلة.

قال المؤلف رحمه الله:

[المناظرة بلا مماراة

إياك والمماراة، فإنها نقمة، أما المناظرة في الحق، **فإنها نعمة،** إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، **فهي مبنية** على المناصحة، والحلم، ونشر العلم، **أما المماراة** في المحاورات والمناظرات، **فإنها** تحجُّجٌ ورياء، **ولغط** وكبرياء، **ومغالبة** ومراء، **واختيال** وشحناء، **ومجاراة** للسفهاء، **فاحذرها واحذر** فاعلها، تسلم من المآثم وهتك المحارم، **وأعرض** تسلم، **وتكْبِتْ** المأثم والمغرم.

مذاكرة العلم

تمتع مع البصراء بالمذاكرة والمطارحة، **فإنها** في مواطن تفوق المطالعة، **وتشحذ** الذهن، **وتقوى** الذاكرة، ملتزماً الإنصاف والملاطفة، **مبتعداً** عن الحيف والشغب والمجازفة.

وكن على حذر، **فإنها** تكشف عوار من لا يصدق.

فإن كانت مع قاصر في العلم، بارد الذهن **فهي** داء ومنافرة، **وأما مذاكرتك** مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم؛ **فهذا** ما لا يسوغ أن تنفك عنه، **وقد قيل**: إحياء العلم مذاكرته].

الشرح:

المناظرة؛ كأنها مأخوذة من أنّ كلَّ واحدٍ ينظر إلى الآخر، وصارت بين اثنين، وكلّ منهما ينظر إلى الآخر، وذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه وأنها حصلت بين إبراهيم عليه السلام والنمروذ، لكنها مناظرة وأيّ مناظرة، إفحامٌ مطلقٌ، وهذا هو الأصل إذا كان معك الحقّ، معك الدليل والبرهان، فعليك بالإفحام، يعني تعطيه سؤالا، أو تطرح عليه مسألة لا يكون له فيها قولان كذا أو كذا، الجواب لا يحتمل إلا قولا واحدا.

قال: **{أنا أحي وأميت}**، وجاء بالفهم للحياة والموت، يعفو عن إنسان أحياه، ويقتل إنسانا يعني أماته.

{قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر}، ويوجد كتب كثيرة أُلِّفت في ذلك منها: (**مفحمات الأقران**)، للسيوطي، وغيره، مفحم مباشرة، لا يستطيع الجواب بعد أن يكون متعلما وما شابه ذلك، إذا به يسكت لم يحر جوابا، أو كما يقولون: لم يتفوَّه بِبِنْتِ شَفَةٍ.

وعكس المناظرة المماراة، ففي المناظرة الكل يريد الحق، لكن المماراة سواء بحق أو بباطل هو يريد أن يثبت كذا، وينتصر على خصمه، مماراة ومجادلة، ومخاصمة، وكأن الذي أمامه يعني خصم له.

فالمناظرة في الحق، والمماراة هذه نقمة، وقد تكون في الباطل، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا"**. (١)، (د)، (طس)، أَيْ: الجدال.

فالمسائل التي ترى فيها جدال ابتعد عنها وتجنبها، ولو كنت على حق؛ **لأنها** ليست مناظرة، تحولت إلى مماراة.

---

(١) "أَنَا زَعِيمٌ" (د) (٤٨٠٠)، (طس) (٤٦٩٣)، صحيح الجامع: (١٤٦٤)، والصحيحة: (٢٧٣).

فالمناظرة الحقة هي التي يكون فيها إظهارٌ للحق، **والراجح** على المرجوح، **ومن** بيان المناصحة، **ومع** هذا تحتاج إلى حلم وعلم، **وانشراح** صدر لقول أخيك، **أما المماراة** في المحاورات والمناظرات، **هذه تحجُّجٌ** أي استجلاب الحجج، **وليست** بحجج لهذه المسألة.

يمكن أن يأتي أحدهم بآيات من القرآن لكن ليست حجة في هذه المسألة، كإنسان يحتج لقوله: إن الصلاة حرام، لماذا؟ قال: لقوله سبحانه: **{فويل للمصلين}**، لا**!** أكمل التي بعدها، هو جاء بنص من القرآن، لكن في غير موضعه.

وما أكثر هؤلاء، نسأل الله السلامة، فهذا التحجُّج والرياء، والمغالطة والكبرياء، والمغالبة ويجاري السفهاء، تجده هو والعالم هو ومثله طلاب علم، إذا احتاج شيئا يقول للناس العوام: (**ولاَّ شو رأيكم يا جماعة؟**)، يجاري السفهاء، وكلامه له أثر فيهم، **فاحذرها** واحذر فاعلها، تسلم من المآثم، وتسلم من هتك المحارم، وتسلم وتكْبِتْ المأثم والمغرم.

وعليك أن تذاكر العلم، لكن مذاكرة العلم مع البصراء، يعني الذين عندهم بصيرة في العلم الذي تريده أنت، كذلك يكون هذا بالمذاكرة والمطارحة، اطرح أشياء، وهو يطرح أشياء، والكل يستمع منها.

لذلك كان بعض علماء النحو ليس عنده أحد، فكان يجلس مع كبشٍ له، ويكرر ما يريد أن يحفظه على الكبش، مثلا (**ضرب زيد عمرا**)، ويمسك أذني الكبش، ويقول: (**ضرب زيد عمرا**)، (**ضرب**) فعل ماضي مبني على الفتحة، ويكرر، (**زيد**) فاعل مرفوع بالضمة، (**عمرا**) مفعول به منصوب، ثم يطلقه، ويقول: أفهمت شيئا فيحرك الكبش أذنيه ورأسه بلا، مسكين ما فهم شيئا، ويكررها ويعيدها مرة أخرى، وهو المستفيد، هو يعلم أن هذا الكبش لن يستفيد.

بعض الناس يخبرني أنه يجلس في غرفة من أجل أن يستعد لخطبة الجمعة، **ويغلق** على نفسه، **ويتخيل** الناس أمامه، **ويتمرن** عليها، وهذا من باب التمرين، ولا نقول ذلك ذَمًّا، بل هذا من باب تكرار الحفظ،

وإلاَ فالإنسان يظل يكرِّر ويبقى هكذا تجده يملّ منها، أما هذا وضع كبشه عنده، حتى يحفظها وينتقل لحفظ الأخرى، ويكون هو المستفيد.

وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق، ويقصد بذلك الحيفَ والشغبَ والمجازفة، ورفع الصوت، يريد أن يثبت نفسه، لكن إن كانت مع قاصر في العلم، وبارد في الذهن، فالمذاكرة هذه داء ومنافرة، فهو لا يفقه شيئا أصلا؛ لأنه يعيق عليك العمل، وأما مذاكرتك مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم؛ فهذا ما لا يسوغ أن تنفكَّ عنه، في خلواتك، في عودتك إلى البيت، وهناك كلمات كثيرة كتبتَها، تريد أن تسأل عنها، فدوِّنها وهكذا، فلا يسوغ لك أن تترك الكتاب أبدا، وقد قيل: إحياءُ العلم مذاكرته.

قال المؤلف رحمه الله:

[طالب العلم

يعيش بين الكتاب والسنة وعلومها

فهما له كالجناحين للطائر، فاحذر أن تكون مهيض الجناح.

استكمال أدوات كل فن

لن تكون طالب علم متقناً متفنناً حتى يلجَ الجمل في سَمِّ الخياط ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية... وهكذا، وإلا فلا تتعنَّ، قال الله تعالى: **{الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته}**، فيستفاد منها أن الطالب لا يترك علما حتى يتقنه].

الشرح:

طالب العلم يعيش كالنبات، يحتاج إلى أرض خصبة، ويحتاج إلى بيئة مناسبة من جوٍّ وحرارة، ويحتاج إلى أن يرتوي بالماء الزلال، لا المالح أو المر، وهذه العيشة تكون بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنة نبيه صلى الله

عليه وسلم، وتفسير هذا وشرح تلك، في هذا يعيش طالب العلم، فعليه إن احتاج في وقت إجمامَ النفس أن يذهب إلى شيء من الكتب الأخرى؛ كتب المنطق أو علم النفس، أو كتب التي هي تكون علوم آلة، ممكن تستفيد منها، لا أن تجعل جُلَّ وقتك لها، بل شيء من الوقت، لا مانع إن شاء الله.

فلذلك الكتاب والسنة اجعلهما -يا طالب- العلم كالطائر، **أنت** طائر وتطير بهذين الجناحين الكتاب والسنة، وأنا أقول قول الله عز وجل: **{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}**. (آل عمران: ١٠٣)، **الحبل** لا يكون من فتلة واحدة، لابد ألاّ يقل شيئين، **فديننا** بدون الكتاب والسنة مع بعضهما ما ينفع، **لابد** للكتاب من السنة، ولابد للسنة من الكتاب، أما أحدهما فلا يغني عن الآخر.

ويوجد جماعة في الباكستان يسمَّون القرآنيين، لا يعترفون ببخاري ولا مسلم، كما عندنا أهل السنة، ولا بالكافي للكليني وغيره للشيعة ولا غيره، هؤلاء يريدون فقط أن نأخذ ديننا فقط من القرآن، لا نريد شيئا غير ذلك.

وحصل مناظرة بين أحد هؤلاء القرآنيين وبعض العلماء، قبل أن تحصل المناظرة قال أحد العلماء للجنة التحكيم: أتسمح لي بسؤال يبين من على حق وصواب: هل هم القرآنيون أو الجماعة الذين يأخذون بالقرآن والسنة؟ قالوا: تفضل.

قال: أريد أن أسألكم أيها القرآنيون على أي شيء تتزوجون، أو كيف تزوج آباؤكم أمهاتِكم؟! على السنة أم على غيرها؟!

فكروا وفكروا، فإذا قالوا: على غير السنة، إذن يكونوا هم زناة أو أبناء زنى، والعياذ بالله، فخرجوا ولم يكملوا الجلسة، خرجوا مقهورين مذلولين.

وإنما هذه من الفئات الضالة التي لا تريد منا أن نأخذ ديننا كما نزل غضا طريا، **(فالسنة قاضية على القرآن)**، وقد قرأناها على الشيخ ابن باز رحمه الله، فقال: **(قف قف)**، تفهمها جيدا، وقال: **(نعم**

نعم؛ السنة تنسخ بعض الآيات)، لكن القرآن لا ينسخ السنة؛ **لأن** السنة شارحة موضحة، **مبينة** فكيف ننفيها، فالذي يأخذ القرآن ويترك السنة، كطائر قطع جناحه، هل يطير؟**!** لا والله**!**

فيا أهل السنة، تمسكوا بالسنة، تمسكوا بها، **واعرفوها** قبل أن تدافعوا عنها؛ **لأن** بعض الناس يدافع عن السنة وهو لا يعلم عنها شيئا، كذاك الرجل الذي يريد أن يدافع عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو بدوي يعيش في الصحراء، وجاء له من يسمَّون (بالمبشرين، نصارى منصرين)، هو رئيس قبيلة، فإذا تنصَّر كلُّ من معه سيتنصر، **وهذا المنصِّر** معه حلوى يطعمه منها، ويسمعه ويكرر عليه: (عيسى ولد الله)، فلما أكل البدوي وشبع، وما بقي مع المنصِّر شيء، قال له: **(كذبت، محمد ولد الله!!)** أستغفر الله العظيم.

إذن لا توجد خلفية علمية، ولا علم أصلا، بعض الناس لا علم عندهم عن السنة حتى يدافع عنها، فدخل أحدهم على الفسبكة على مواقع النصارى ليهديهم، فجاء موسوسا، ويقول لي: **(أنا كفرت يا شيخ)**، ويبكي، لماذا؟ لأنه يقول: **(إن القرآن أستطيع أن آتي بمثله)**، ويقول: **(أستغفر الله العظيم، أنا كافر يا شيخ)**، شابٌّ مسلم سنيٌّ، لكن لا خلفية عنده، **فبالشبهات** التي قرأها انتهى، قلت له: **(هذا مستنقع نجس أدخلت رجلك فيه، لابد أن تخرج وتتوب وتغسل نفسك، وتبتعد عنه مرة أخرى)**.

وهذا إدمان، فكل ما يريد التوبة والإقلاع عن هذه المواقع يرجع إليها، **كيف تتثبت أن هذا غلط؟** هل تستطيع أن تواكب شبهات النصارى وغيرهم، **وأنت** ليس عندك القاعدة الأساس في الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، لا تفهمه ولا تفقهه، **وتجلس** أمام نصراني، **يعني** فحل في النصرانية، وقرأ كتبنا بالصفحة والجزء، ويأتي بالشبهات حولها، مالك **ولهذا الشيء؟** أنت انج بنفسك يا عبد الله، ثم بعد ذلك إن أعطاك الله سبحانه وتعالى قدرة على المناظرة والحجاج، فناظر وحاجج، **فتحتاج** إلى استكمال أدوات الفن.

فالقرآن وحده، أو السنة وحدها، يتيه من قرأهما على غير عالم، أو بدون تفسير، أو بدون شرح، لابد من سلسلة العلماء من عندك يا عبد الله إلى أن تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن رسول الله إلى جبريل عليه السلام، إلى الله عز وجل، **هذا** ديننا، **وهذه** سلسلة، **فمباشرة** تقفز قفزة وتذهب إلى القرآن، **وتأخذ** علمك منه مباشرة، لن تستطيع، **فالعلماء** أراحوك من الاستنباط والفهم، **افهم** وما عليك إلا أن تعمل!

وهذا خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس، هذا القرآن، وهذه هي السنة وانتهى الأمر، أين فهم السلف الصالح، وأين فهم تلاميذهم، حتى نصل إلى علمائنا ويصل إلينا، لابد من إكمال أدوات كل فن، **وكل طالب علم** لابد أن يستكمل هذه الأدوات، **هناك فقه** في الكتاب، فقه في السنة، **هناك أصول** الفقه، **فالذي** لا يعرف أصول الفقه، **كيف يريد** أن يفقه أو يفقِّه، الحديث نفسه قول النبي صلى الله عليه وسلم أسانيد ورجال، وهو علم الرواية أو الدراية، **وهكذا نعم!** إذا لم تتخذ هذه العلوم، وتتقن علم النحو واللغة وما شابه ذلك، لا تتعنَّ، لا تتعب نفسك، لن تصل إلى مرادك.

فالذي أراد أن يقفز القفزة العالية جدا إلى الكتاب والسنة مباشرة، لن يصل مهما كان، وإلا سيتيه في الضياع، طرق كثيرة جدا أمامه، سيتيه فيها كصاحبنا هذا المؤمن بالله وبرسوله، وخائف من الكفر، ويقع في الكفر، وقلت له: **(ما في عليك حرام، ولا ما شابه ذلك، وابتعد عن هذا الشيء)**؛ لأنه موسوس، تريد أن ترجعه مرة أخرى، فلا نقنطه ونغمسه في الأرض، فهذا لا ينبغي.

قال سبحانه: **{الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته}**، حق تلاوته تشمل قراءته القراءة الصحيحة السليمة، تشمل أن تفهمه فهما جيدا، عن طريق التفسير والمفسرين وأقوال العلماء، حق تلاوته؛ أن تعمل بما فهمت، حق تلاوته أن تعلِّم غيرك بعد هذه الأمور.

فيستفاد منها أن طالب العلم لا يترك علما حتى يتقنه، فلابد من الإتقان.

قال المؤلف رحمه الله:

[الفصل السادس

التحلِّي بالعمل

من علامات العلم النافع: تساءل مع نفسك عن حظّك من علامات العلم النافع، وهى: **العمل** به، **كراهية التزكية** والمدح، والتكبر على الخلق، **تكاثُر تواضُعِك** كلما ازددت علماً، **الهروبُ من حُبِّ الترؤُّسِ** والشهرةِ والدنيا، **هجرُ دعوى** العلم، **إساءةُ الظنِّ بالنفس**، وإحسانُه بالناس تنزُّها عن الوقوع بهم.

وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم *** ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

زكاة العلم:

أدِّ زكاة العلم صادعاً بالحق، **أمّاراً** بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، **موازنا** بين المصالح والمضارّ، **ناشراً** للعلم، **وحبِّ** النفع وبذلِ الجاه، **والشفاعةِ** الحسنةِ للمسلمين في نوائب الحق والمعروف.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"**. رواه مسلم وغيره.

قال بعض أهل العلم: **هذه الثلاث** لا تجتمع إلا للعالم الباذلِ لعلمه، فبذله صدقةً ينتفع بها، والمتلقِّي لها ابن للعالم في تعلمه عليه.

فاحرص على هذه الحلية فهي رأس ثمرة علمك.

ولشرف العلم، فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان.

ولا تحملك دعوى فساد الزمان، **وغلبة** الفساق، **وضعف** إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت، **فهي** فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، **ليتم** لهم الخروج على الفضيلة **ورفع** لواء الرذيلة].

الشرح:

دخلنا في الفصل السادس من آداب طالب العلم، ومنها:

التحلِّي بالعمل، يعني التحلي بالعلم وحده لا يكفي، هذا طريق إلى هذا، **فالعمل** ثمرة للعلم، **فالآن** جاء لك بعلامات واسأل نفسك، **هل** تنطبق عليك هذه العلامات أم لا، **علامات ماذا؟** علامات العلم النافع، هل انتفعت بعلمك أم لا؟

أولا: هل عملت به، هذه علامة على ارتفاعك بالعلم النافع، أن تعمل به.

ثانيا: كراهية التزكية والمدح، والتكبر على الخلق، **أن** تكره أن تزكي نفسك، أنا وأنا، أنا صاحب الرحلتين، **والذي** قالها ضرب خمسين جلدة؛ **لأنه** نوع من الترفُّع، فتأدّب بها، **فلا** تحتاج إلى الخمسين ولا إلى الضربة الواحدة، لا تزكي نفسك يا عبد الله.

ثالثا: أكثر من **تواضعك** فكلما ازددت علماً، ازدد تواضعا، فإذا ازددت تواضعا اعلم أنك ازددت علما، يعني هما أمران مرتبطان، تناسبٌ طرديٌّ، كلما ازددت علما ازددت تواضعا، انظر لنفسك إذا أنت متواضع فأنت إن شاء الله عندك علم.

رابعا: **حبُّ الترؤس** والشهرة في الدنيا، والدنيا هذه أهرب منها، دليل في قلبك أنك لا تحب أن تفعل هذا الشيء رياء ولا سمعة ولا للشهرة، أما من باب التحدث بنعمة الله فلا مانع.

خامسا: هجر دعوى العلم، أن تدعي أنك عالم، **نسأل الله** أن نكون من طلاب العلم، **فهذا أحد** أعضاء هيئة كبار العلماء له فتاوى على الهواء، **تسأله** امرأة عن حديث، وبعد أن أجاب عن الأسئلة، قال: نبحث عنه إن شاء الله، **وأنت** يا بنيتي ابحثي عنه، في كتب الشيخ الألباني، وهذا نوع من التواضع منه، وبعدها قال: نحن طلاب علم، وهو من هيئة كبار العلماء، فماذا نقول نحن في هذا الزمان؟

ما هو مصغّر طويلب؟ مصغّر طالب طويلب، فما هو مصغَّر طويلب؟ هذه لعلها طويليب، أو لا توجد أصلا، فنحن على أبواب العلماء، إن سمحوا لنا بذلك، **فنسأل الله** السلامة من دعوى التعالم.

سادسا: أن تحسن الظنَّ بالناس، وتسيء **الظن بالنفس**، نفسك هذه أسئ الظن بها، اتهمها بالتقصير دائما، وإياك في يوم من الأيام أو ليلة من الليالي أن تقول: أنا عملت الذي عليَّ وكفى، من هنا يبدأ الانحناء، أنت صاعد في درجات العلم، فإذا قلت علمت وتوقفت، توقف الأمر، ووقتع في الجهل، نسأل الله السلامة.

عبد الله بن المبارك ([1]) إذا ذكر أخلاق السلف أنشد:

لا تَعْرِضَنَّ بذِكْرِنا مع ذِكْرِهِمْ ** ليس الصحيحُ إذا مَشَى كالْمُقْعَدِ

لا تعرضنَّ بذكرنا مع ذكرهم، وعبد الله بن المبارك هو أصلا من السلف، **تكلَّم** عمَّن سلف، ولا تجعلونا مع ذكرهم، **ليس الصحيح** الذين هم سبقونا إذا مشى كالمقعد، **فإذا كان** في زمنه كالمقعد، قبل ألف عام تقريبا، ألف ومائة تقريبا، أو ومائتي عام، فكيف بزماننا هذا اليوم، إذا كان هو في زمانه مقعد**!**

لكن أبشروا إن شاء الله، لو عملتم بعشر ما تعلمون نجوتم إن شاء الله، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّكُمُ الْيَوْمَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ، مَنْ تَرَكَ**

([1]) (لطائف المعارف)، لابن رجب (ص: ١٦٩).

عُشْرَ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ هَوَى، وَيَأْتِي مِنْ بَعْدُ زَمَانٌ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِعُشْرِ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ نَجَا". (حم) (٢١٤٠٩)، انظر الصَّحِيحَة: (٢٥١٠)

كم تعلَم؟ كم تحفظ؟ العمل بعُشره ينجيك عند الله، **معنى ذلك** أنَّ كثيرا من الناس لا يَصِلُون إلى العشر، لا يزيد عن العشر، **ينجو** بالعشر أو نحوه، نسأل الله السلامة.

فلكل شيء زكاة، فالعلم له زكاة، والجسد له زكاة، **فما هي زكاة الجسد؟** التسبيح والذكر، ويجزي عن ذلك ركعتي الضحى يركعهما العبد، عن بُرَيْدَةَ، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **"فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ، مَفْصِلًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْهُ بِصَدَقَةٍ"** قَالُوا: **(وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟)** قَالَ: **"النُّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا، وَالشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُكَ"**. (د) (٥٢٤٢)

وزكاة المال معروفة، **أما زكاة العلم** فنشره، **وتعليمه** للناس، **فكن أمّاراً** بالمعروف، **صادعا** بالحق، **نهّاء** عن المنكر، **لكن** الشيخ رحمه الله في خلال ذلك لا ينسى أن توزان –يا أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا تنس أن توازن– بين المصالح والمضار.

قال ابن القيم: [سَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ يَقُولُ:

مَرَرْت أَنَا وَبَعْضُ أَصْحَابِي فِي زَمَنِ التَّتَارِ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مَعِي، فَأَنْكَرْت عَلَيْهِ، **وَقُلْت لَهُ:** إنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ، وَهَؤُلَاءِ يَصُدُّهُمْ الْخَمْرُ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ فَدَعْهُمْ]. [1]

لأن السكّير الفاجر عندما يفيق يظلم هذا وهذا، ويتعدى على الناس، فهو في هذه الحالة في حالة شربه وسكره ظلمه على نفسه.

---

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/ ١٣).

ماذا تستفيد من هذه القصة؟

أشياء كثيرة جدا، **مصالح** ومضار، **كثير** من طلبة العلم والشباب في هذا الزمان ليس عندهم الموزانات بين المصالح والمضار، يريد أن يفعل، ولو حدث ما حدث، حتى لو أدى إلى خراب الدين، ما عنده علم، ويظن أن هذا يعد واجبا عليه، وكأنه نزل اسمه في القرآن الكريم افعل كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، مع كذا وكذا، كأن هذا الشيء عنده، يا أخي؟ أين المصالح والمضار.

وعليك أن تنشر العلم، **وحبّ** النفع، تتعلم لتنفع غيرك، **وتبذل** جاهك، إذا كان لك جاه وتمشي مع الناس، **وتبذل** لهم الخير، **وتشفع** الشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف، لما كانت هذه صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة.

والصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به، والولد الصالح الذي يدعو له، أين نحن من هذا؟ خير الناس اليوم أنفعهم للناس، **فكيف** أنفعهم للمسلمين والمؤمنين، **وكيف** أنفعهم للجيران والأقارب، **وأنا أترقى** بكم من النفع العام، إلى نفع الخصوص الأفضل، **وخصوص** الخصوص أفضل، **فكيف** يكون نفع الوالدين؟ **وكيف** يكون نفع النفس مع الله سبحانه وتعالى، **كذلك** علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له، هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعالم الباذل لعلمه، **فبذله** صدقة، **وبذله** زكاة، **وبذله** نماء، **وبركة** لعلمه ينتفع بها، **والمتلقي** لها يصبح ابنا للعالم في تعلمه.

لذلك أنت عندما تدعو تقول: (**اغفر لنا ولوالدينا ولعلمائنا ولمشايخنا ولمن له حق علينا**)، وهذه تأتي في النهاية على العموم، حتى لا تكون قد نسيت أحدا، **فلا تبقِ** حاجة لأحد إلا تدعو له بالخير إن شاء الله سبحانه وتعالى.

فاحرص على هذه الحلية، **والحلية** تطلق على اللباس الكامل، **فهذا لباس** كامل لطالب العلم، **فهي** رأس ثمرة عِلمك، **ولشرف** العلم، **يزيد** بكثرة الإنفاق، **كلما** أكثرت من إنفاقه زاد.

وأنا أقول: سبحان الله! عن نفسي الذي تعلمناه قبل ثلاثين عاما صدقوني ما راجعته، هناك أشياء ما راجعتها، لكن كثرة الأسئلة والأجوبة، جعلتها تثبت وتستقر في الذهن، **فتحتاج** المسألة إلى إنفاق.

إنسان لا أحد يسأله ولا هو يراجع، **فماذا يحدث لعلمه؟** ينقص حتى يتلاشى ويذهب، وآفته الكتمان، **ومعنى الكتمان** ألا تعلِّم الناس، أو أن تُسألَ ولا تجيب، **ما تجيبهم** الإجابة الصحيحة أو الإجابة المعروفة، **يكتمون** ما أنزل الله عز وجل، **والعياذ** بالله، **لكن** لا تتعذر، **لا تأتيك أعذار** دعوى الفساق في هذا الزمان وكثرتهم وهذا الفساد، وأن يأتي بنصيحة ضعيفة، **فهذا** لا يعوقك عن واجب الأداء.

أخلص النية لله، **تفقد نفسك** إذا قام الناس عنك، **واتهم نفسك** بالتقصير، **لذلك السلف الصالح** كان أحدهم يعرف خطأه أو إذا كان عصى الله سبحانه، في أدب زوجته، وفي خلق دابته، يعني عندما يخرج من البيت وزوجته راضية عنه، والدابة –ما شاء الله– ذلول، لما تجهز للركوب عليها هذه المرة أوقعته، ما يقول للدابة: مالها، وإنما يخاطب نفسه، ماذا فعلت مع الله عز وجل، يرجع إلى زوجته فيجدها شاحبة غاضبة، فيتفقد نفسه أنه قد عمل عملا ما، فيصلح ما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وما بينه وبين الناس يصلح الله له ما في البيت، ويصلح الله له كل الأمور.

نختم بهذه القصة؛ في كتب التاريخ والأدب:

[حُكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله، وكان من الصالحين، يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته، فطرق الباب فقالت امرأته : (من؟) فقال: (**أخو زوجك في الله، جئت لزيارته**).

فقالت: (**راح يحتطب؛ لا رده الله، ولا سلمه**)، وفعل به وفعل، وجعلت تذمذم عليه.

فبينما هو واقف على الباب، وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل، وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد، و هو يسوقه بين يديه، فجاء فسلم على أخيه، ورحب به، ودخل المنزل، وأدخل الحطب، وقال

للأسد: (**اذهب بارك الله فيك**)، ثم أدخل أخاه، والمرأة على حالها تذمذم، وتأخذ بلسانها، وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئا، ثم ودعه وانصرف، وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثاني؛ جاء أخوه لزيارته على عادته، فطرق الباب فقالت امرأته: (**من بالباب؟**) قال: (**أخو زوجك؛ فلان**)، فقالت: (**مرحبا بك وأهلا وسهلا، اجلس فإنه سيأتي، إن شاء الله بخير وعافية**)،

قال: (**فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه، هو يحمل الحطب على ظهره، فتعجب أيضا لذلك**)، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله، **وأحضرت المرأة** طعاما لهما، **وجعلت** تدعو لهما بكلام لطيف!

فلما أراد أن يفارقه قال: (**يا أخي! أخبرني عما أريد أن أسألك عنه**). قال: (**وما هو يا أخي؟!**)

قال: (**عام أوّل أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان، قليلة الأدب، تذم كثيرا، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل، والحطب على ظهر الأسد، وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟!!**)

قال يا أخي: (**توفيت تلك المرأة الشرسة، وكنت صابرا على خُلُقها، وما يبدو منها، كنت معها في تعب، وأنا أحتملها، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت، يحمل عني الحطب بصبري عليها، واحتمالي لها، فلما توفيت؛ تزوجت هذه المرأة الصالحة، أنا في راحة معها، فانقطع عني الأسد، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري؛ لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة**). فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم]. (1)

---

(1) (الكبائر)، للذهبي (ص: ١٧٢)، (الزواجر عن اقتراف الكبائر)، للهيتمي (٢/ ٣٤٣).

أخذنا مجموعةً من آداب الطلب، وأنَّ جُنَّةَ ووقايةَ طالب العلم قوله: **(لا أدري)**، فإنها نصف العلم، ونصف الجهل: **(يقال وأظن وزعموا)**.

وأما رأس مالك -أيها الطالب- فهي ساعات العمر؛ **لا سيما** في أوقات شرخِ الشباب ومقتبل العمر، **وعليك** أن تغتنم البِدار والسرعة والتبكير، **فهذا** شاهد منك على أنك تحمل كِبَرَ الهمّة في العلم، **ولا** مانع من إجمام النفس وإراحتها سويعاتٍ في رياض العلم؛ **من** كتب المحاضرات والثقافة العامة.

ومن آداب الطلب وحليته أن تقرأ وتصحح وتضبط على شيخ متقن؛ **وذلك** لتأمنَ التحريفِ والتصحيفِ، والغلطِ والوهم، **وأن** تجرد بأن يكون لك وقت معين لجرد المطولات، **والتي** هي من أهم المهمات.

وتحلَّ -يا طالب العلم- بحسن السؤال، **وأدب** المباحثة والاستماع، **وصحة** الفهم للجواب، **ولتتذكر** قول ابن القيم رحمه الله: **(إذا جلست إلى عالم، فسلْ تفقُّها لا تعنُّتاً)**. أهـ.

ولتتذكر قوله أيضاً رحمه الله: **(وللعلم ست مراتب: حسن السؤال، حسن الإنصات والاستماع، حسن الفهم، الحفظ، التعليم، والسادسة وهى ثمرته؛ العمل به، ومراعاة حدوده)**.

وعلينا إذا وقعنا -نحن طلبة العلم- في مناظرة أن تكون بلا مماراة ولا مجادلة ولا مخاصمة، **فالمماراة** نقمة، **والمناظرة** في الحق نعمة، **وعليه** مذاكرة العلم، فقد قيل: **(إحياء العلم مذاكرته)**.

هكذا كن -يا طالب العلم- تعيشُ بين **الكتاب والسنة وعلومها**، ولا تستغن عن إكمال أدوات كل فنّ، فإن استغنيت عن أدوات كل فنّ، وإلا فلا تتعنَّ، كما قال الشيخ.

ودخلنا في الفصل السادس وتعلمنا بعض الآداب وعلمناها، وعلمنا أن **من علامات العلم النافع؛ العمل** به، و**كراهية التزكية** والمدح، والتكبرِ على الخلق. **وأن تكثر من تواضعك**، فكلما كثر التواضع كثر العلم النافع، وكلما ازداد العلم النافع ازداد التواضع، وأن **تهرب من حبِّ الترؤس** والشهرة في الدنيا، وأن **تهجر دعوى** العلم، وأن تسيء **الظن بنفسك وتحسنه بالناس**.

وطالب العلم لا يزكي نفسه، **بل** يزكي علمه بعطائه، **يعني** يعطي ويزكي علمه، **فهو** أمّار بالمعروف، نهّاء عن المنكر لكنه موازن بين المصالح والمضار، **والمفاسد** والمنافع، **ناشراً** للعلم، **فبذله** صدقة ينتفع بها.

وختمنا بقول الشيخ رحمه الله: والمتلقي لها ابن للعالم في تعلمه به.

ووصلنا في الحلية إلى قول الشيخ رحمه الله في تعداد آداب الطلب، ومنها:

[عِزَّةُ العلماء

التحلي بعزة العلماء: صيانة العلم وتعظيمُه، **حمايةُ** جناب عزّهِ وشرفه، **وبقدر** ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، **وبقدر** ما تهدره يكون الفوت، **ولا** حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وعليه؛ فاحذر أن يتمندلَ بك الكبراء، أو يمتطيَك السفهاء، **فتلاينَ** في فتوىً أو قضاء، **أو بحثٍ** أو خطاب، **ولا تسع** به إلى أهل الدنيا، **ولا تقِفْ** به على أعتابهم، **ولا تبذلْه** إلى غير أهله وإن عظم قدره.

ومتّع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمةٍ مضوا، **ترَ** فيها بذلُ النفس في سبيل هذه الحماية، لا سيما من جمع مثلا في هذا، مِثْل كتاب **(من أخلاق العلماء)**، لمحمد سليمان رحمه الله تعالى، وكتاب **(الإسلام بين العلماء والحكام)**، لعبد العزيز البدري رحمه الله تعالى، وكتاب **(مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)**، لفاروق السامرائي.

وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب **(عزة العلماء)** يسر الله إتمامه وطبعه.

وقد كان العلماء يلقّنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني على بن عبد العزيز (م سنة ٣٩٢هـ) رحمه الله تعالى، كما نجدها عند عدد من مترجميه ومطلعها:

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما *** رأوا رجلاً عن موضعِ الذُّلِّ أحجما

أرى الناسَ من داناهم هان عندهم *** ومن أكرمته عزةُ النفس أُكرِما

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعَظَّما

(لعظما) بفتح الظاء المعجمة المشالة].

الشرح:

فعلى طالب العلم أن يتحلى بعزة العلماء، **كيف تكون هذه؟** بصيانة العلم وتعظيمه، **يعني** لا يبذل العلمَ بذلا، من الابتذال والامتهان، **ليس كذلك؛** بل تحميه **وتحمي** جناب عزه وشرفه، **وبقدر** ما تبذله في هذا يكون الكسب منه، **بقدر** ما تبذل عزة العلم والعلماء يكون العلم، **ويكون** قدر ما تكتسبه منه، ومن العمل به، **وبقدر** ما تهدره وتضيّعه يكون الفوت، **ولا** حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وعليه؛ فاحذر أن يتمندل أي أن يتخذوك منديلا يتمسح به الكبراء، أو يمتطيك أي يتخذك دابة هؤلاء السفهاء، **فتلاين** وتميّع في فتوى، أو تجور في قضاء، أو تغالي في بحث، أو تجفو خطاب، أو نحو ذلك، **فلا تكن** منديلا أو مطية للأهواء والشهوات والملذات، وما شابه ذلك، **وكن** عزيزا، **يكون** أمرك كلُّه لله سبحانه وتعالى.

علمك –يا طالب العلم– إذا منحك الله إياه؛ **لا تسع** به إلى أهل الدنيا، **ولا تقف** به على أعتابهم، **ولا تبذله** إلى غير أهله وإن عظم قدر هذا الإنسان الذي أنت واقف على بابه، **فهذا معناه** ألا تطلب بعلمك الدنيا، اطلب به الآخرة، بنفْع الناس، فإن حصل مع هذا دنيا كان بها.

مثال على ذلك؛ الحجُّ إلى بيت الله الحرام عبادة خالصة لله عز وجل، **لكن** هناك إذا وصلت للمكان الحج جاز لك أن تبيع وتشتري وتربح، **وتأخذ** تجارة من هناك، وترجع بها إلى هنا، **جاز** ذلك كله، **فأيهما أصوب؟** كما قلنا: (**نأكل لنعيش، أم نعيش لنأكل**)، نقول: (**نحجُّ لنتاجر**)، أم (**نتاجر لنحجّ**)؟ فكر فيها جيدا، **نذهب** للحج من أجل التجارة، أو نتاجر لنحج، التجارة للحج جيدة، **أما الأولى** معناها أنه يحج من أجل التجارة، **أما التجارة للحج** هو يستخدم أساليب معينة ليصل إلى هناك، **فهو** يستخدم التجارة ليصل إلى الحج، **وليس** يصل للحج من أجل التجارة، **فما هو الهدف أصلا؟**

إذا كان الهدف من رحلة التجارة، ودخلت مع الحجاج للخروج هناك، **فهذه مشكلة!**

أما إذا كان الهدف هو الحجُّ واتخذت سبلا معينة؛ **لأنه** لا يمكن أن تخرج للحج إلا عن طريق التجارة، **فأخذت** شيئا من التجارة للاتجار به هناك، **والأصل** أنك تريد أن تحج، فلا مانع.

والمقصود لا تسع بهذا العلم إلى أهل الدنيا، لتنال به شيئا من حطامها.

ومتع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم، والسير؛ أي تاريخ العلماء والأئمة الذين مضوا، **فإذا** متعتك بصيرتك هناك ترَى فيها بذلَ النفيس في سبيل هذه الحماية، **لا سيما** من جمع مُثُلا في هذا، أمثال كثيرة في هذا، ومن أمثال الكتب في هذا المجال، التي لابد أن تكون معك، **أمثالا** لطلبة العلم والعلماء الذين لم يبذلوا علمهم لدنيا، كتاب اسمه: **(من أخلاق العلماء)**، لمحمد سليمان رحمه الله تعالى، كذلك كتاب: **(الإسلام بين العلماء والحكام)**، لعبد العزيز البدري رحمه الله تعالى، وأظنه عراقيًّا رحمه الله رحمة واسعة، وكتاب **(مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)**، لفاروق السامرائي، نسبة إلى **(سُرَّ مِن رَأى)**، والآن يسمونها (سامراء)، وهي في العراق.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **وأرجو** أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب **(عزة العلماء)**، وهذا لمن؟ للشيخ بكر رحمه الله، **فابحثوا** عنه واقرءوه، **ستجدوا** فيه العجب، **وكلما** قرأتم وأنتم مخلصون في القراءة يُبعث فيكم الاقتداء به، **وتخليدٌ** لأفعالهم وأخلاقهم، **وأيُّ** إنسان عنده محبة لشيء، **يحب** أن يقلد فاعل هذا الشيء، **فكثير** من الناس من يقلد المصارعين، والملاكمين، **ويقرأ** كتبهم، أو الرياضين وكرة القدم، ويحب الرياضة.

طالب العلم يختلف عنهم؛ يقرأ عن عالم، **فهو** يريد أن يقتدي بهذا العالم، **ينظر** إلى أمر الرياضة أنها أمر ثانوي، **ليس** عنده ميل لذلك، **فالذي** يحب شيئا يميل إليه بطبعه، **فقوِّ** هذه المحبة بمراجعة تراجم هؤلاء.

والعلماء كانوا يلقِّنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز المتوفَّى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة رحمه الله، **كما** نجدها هذه القصيدة عند عدد من مترجميه، **فكل** ما يترجم له عالم يأخذ اللاحق عن السابق، **ويذكرون** منها، **ويذكرون** قصيدته إما كاملة، **أو** بعضها، **وأول** هذه القصيدة، **يقول** علي رحمه الله تعالى:

ولَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا *** بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا.

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما *** رأوا رجلاً عن موضعِ الذُّلِّ أحجما

يَقولونَ لِيْ فيْكَ انْقِبَاضٌ =أي أنت مبتعد عنا قليلا= وإنَّمَا رَأَوا رَجُلاً عنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ مُحْجِمَا =يقصدون به أنه لماذا لا يذهب إلى بيوت الأمراء والحكام والمسئولين والوزراء الذين هم من أصحاب الجاه والمال، وأصحاب المكانة.=

أرى الناسَ من داناهم هان عندهم *** ومن أكرمته عزةُ النفس أُكرِما

أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَـهُمُ واقترب منهم هَانَ عِنْدَهُمْ.

وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا؛ لذلك العلماء قديما كان المسئولون قديما يبحثون عن الإمام مالك، **يريدونه** فيرفض أن يذهب إلى دورهم، **فيُجَلد** ولا يستطيع أن يضع يديه على صدره، **الحديث** الذي رواه هو في موطئه رحمه الله، من أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره، **والمالكية** الآن لا يضعون، إلا من رحم الله، **وسبب** ذلك أنه ضرب حتى شلَّت يده، **فلا** يستطيع أن يرفعها، **فقال أحد تلاميذه**: رأيته قد أسدل، **وأخذوا** كلهم هذه الرأي، **فاقتدوا** به في السدل، **ولم** يقتدوا بما في موطأه رحمه الله.

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم *** ولو عظموه في النفوس لعَظَّما

ولَوْ أنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَـهُم، فأهل العلم إذا صانوا العلم وحافظوا عليه، **فالعلم** يصونهم ويحافظُ عليهم.

ولَوْ عَظَّمُوهُ فِيْ النُّفُوسِ لعُظِّمَا؛ فكثير ممن ذكر هذه الكلمة يقولها بلفظ: (**عُظِّما**)، بكسر الظاء المشدّدة، **لكن** الشيخ رحمه الله ضبطها بفتح الظاء المعجمة المشالة، **معجمة** أي عليها نقطة، **مشالة** لها ألف، **حتى** تختلف عن الضاد، المعجمة المشالة بفتحها (**لعَظَّما**)، أي لعظَّم العلم صاحبه وحامله، **وبقيَّةُ** القصيدة يقول فيها:=

وَمَا زِلْتُ مُنْحَازَاً بِعِرْضِيَ جَانِبَاً *** مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا

يصون نفسه ويعُدُّها غنيمة.

إذا قِيْلَ: هذا مَشْربٌ قُلْتُ: قَدْ أَرَى *** ولَكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

أي قد أرى أي شيء طيب في هذا المكان، **ويقصد** بذلك أن يبقى عطشانا أو يذهب للذل.

ومَا كُلُّ بَرقٍ لاحَ لِيْ يَسْتَفِزُّنِيْ *** وما كُلُّ مَا فِيْ الأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

لا أحد يستفزني بزخرفه، **فالدنيا** ظلام وهناك بريق، **فإذا** جرى إليه يجده ورقة تلمع، **ويظنها** ذهبا، **قال:** فكل أهل الأرض لا يكون عنده النعيم الذي يريده هذا الإنسان.

ولَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا *** بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا

فليس كل شيء أطمعُ به، **أصير** العلمَ مطية وأجعله لي سلما، ليس كذلك.

قال المؤلف رحمه الله:

[صيانة العلم

إن بلغت منصباً، **فتذكر** أن حبل الوصل إليه طلبك للعلم، **فبفضل** الله، **ثم** بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء... **وهكذا** فأعط العلم قدره **وحظه** من العمل به وإنزاله منزلته.

واحذر مسلك من لا يرجون لله وقارا، **الذين** يجعلون الأساس حفظ المنصب، **فيطوون** ألسنتهم عن قول الحق، **ويحملهم** حبُّ الولاية على المجاراة.

فالزم –رحمك الله– المحافظةَ على قيمتك بحفظ دينك وعلمك، **وشرفِ** نفسك، **بحكمةٍ** ودراية، وحسن سياسة: **"احفظ الله يحفظك"**، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة. (١)

وإن أصبحت عاطلاً من قلادةِ الولاية، **وهذا** سبيلُك ولو بعد حين فلا بأس، **فإنه** عزلُ محمدةٍ لا عزلَ مذمَّة ومنقصة.

ومن العجيب أن بعض من حُرم قصدا كبيرا من التوفيق، **لا يكون** عنده الالتزام والإنابة، **والرجوع** إلى الله إلا بعد التقاعد، **فهذا** وإن كانت توبته شرعية، **لكن** دينه ودين العجائز سواء إذ لا يتعدَّى نفعُه،

---

(١) **"احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، احْفَظِ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ يَحْفَظْكَ فِي الشِّدَّةِ، ..."**. معجم أبي يعلى الموصلي (ص: ١٠١) ح(٩٦).

أمَّا وقت ولايته، **حال** الحاجة إلى تعدِّى نفعه، **فتجده** من أعظم الناس فجوراً وضرراً، **أو بارد** القلب أخرس اللسان عن الحق، **فنعوذ** بالله من الخذلان.

المداراة لا المداهنة

المداهنة خلق منحطٌّ، أما المداراة فلا، **لكن** لا تخلط بينهما، **فتحملك** المداهنة إلى حضار النفاق مجاهرة، **والمداهنة** هي التي تمسُّ دينك.

الغرام بالكتب

شرف العلم معلوم، **لعموم** نفعه، **وشدةُ** الحاجة إليه كحاجةِ البدن إلى الأنفاس، **وظهورُ** النقص بقدر نقصه، **وحصولُ** اللذة والسرور بقدر تحصيله، **ولهذا** اشتد غرام الطلاب بالطلب، **والغرام** بجمع الكتب مع الانتقاء، **ولهم** أخبار في هذا تطول، **وفيه** مقيدات في خبر الكتاب يسر الله إتمامه وطبعه.

وعليه؛ فاحرز الأصول من الكتب، **واعلم** أنه لا يغني منها كتاب عن كتاب، ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيما كتب المبتدعة، فإنها سم ناقع].

أما صيانة العلم؛ فإذا وصلت -يا طالب العلم- ونحن في نهايات تلك الحلية الحلوة إن شاء الله سبحانه وتعالى، **ربما** تَصل إلى منصب ويكون معك علم، **فتذكر** أن حبل الوصل إليه طلبك للعلم، **أيضا** لا تنسى طلب العلم حتى لو وصلت إلى مرتبة معينة، كمدرس أو مدير لمدرسة أو مدير لجامعة، أو وصلت إلى وزارة، أو وصلت حتى إلى الرئاسة، أو إلى المملكة، **من يدري** لعل فيكم من يصل، **فعصرُنا** عصر الأعاجيب، بين عشيَّة وضحاها يصبح الإنسان إنسانا آخر، **لكن بصفات** تختلف قبل وبعد، **فبفضل الله** عليك يكون ذلك، ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء، أو الوزارة، وسمِّ ما شئت... **وهكذا عليك** أن تعطيَ العلمَ قدره وحظَّه من العمل به وإنزالَه منزلته.

بعض الناس لا يرجو لله وقارا، إذا وصل إلى هذه المناصب فقط يجعلون الأساسَ حفظ المنصب، ويبقى متمسكا به، **فيطوون** ألسنتهم عن قول الحق، **ويحملهم** حبُّ الولاية على المجاراة، **وليس** المداراة، **ففرق** بين المجاراة والمداراة والمماراة.

فالزم رحمك الله المحافظة على قيمتك بحفظ دينك وعلمك، **الذي** أوصلك إلى ذلك خوفك من الله عز وجل، **علمك** لله سبحانه وتعالى، **فحافظ** عليهما، **ولا** تخش من الله سبحانه وتعالى أن يضيّعَك.

فلذلك قيمتك بحفظ علمك، **وشرفِ** نفسك، **وهنا** تحتاج إلى حكمة ودراية، **وحسن** سياسة، **السياسة ما معناها؟** مأخوذة في اللغة عند العرب من ساس الفرس، أي قاده قيادة حسنة، **فلذلك** أنت تكون في سياستك تقود من هم تحت ولايتك قودا حسنا، "**احفظ الله يحفظك**"، قريبا من الرواية التي ذكرها الشيخ بكر رحمه الله تعالى ما رواه أبو يعلى الموصلي ([1]) بإسناده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: "**يَا غُلَيْمُ يَا غُلَامُ! أَوْ يَا غُلَامُ يَا غُلَيْمُ! احْفَظْ عَنِّي كَلِمَاتٍ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِنَّ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، احْفَظِ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ يَحْفَظْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ جَهِدَ الْخَلَائِقُ أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُقَدِّرْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ مَا اسْتَطَاعُوا، أَوْ يَمْنَعُوكَ شَيْئًا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ، اعْمَلْ بِالْيَقِينِ مَعَ الرِّضَى، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**".

نفترض أن إنسانا وصل إلى الولاية، **وإذا** به يجهر بالحقِّ لكن بالحكمة والموعظة الحسنة، موازنا بين المفاسد والمضار، **ولم يرض** المسئولون عنه، **فلابد** من أن تكون عاطلاً عن الولاية ولو بعد حين، **إما** بعزل ولو بعد حين، **وهذا** الأول، فإنه إذا كنت محافظا وكنت ناطقا بالحق فإن عزلت فهو عزلُ محمدة، لا عزل مذمة ومنقصة، فلا تيأس، ولا تبأس.

لكنَّ بعضَ الناس عنده عزلٌ من نوع آخر، عزلُ التقاعد، إذا وصل إلى الستين أو السبعين، يكون قد انتهى ولايته، يبحثون عن غيره، أو يموت، **لكنَّ** عزلَ التقاعد هذا، وإن كانت توبته شرعية بعد التقاعد يتوب، **فكيف** عندما كان عنده القدرة هل كان ينفع الناس؟ أو كان جبّارا ظالم؟ هل كانت بركة علمه ظاهرةً عليه قبل التقاعد؟ أم كان –والعياذ بالله– بعيدا عن ذلك؟ **المهم التوبة الشرعية**، لكنها كدين العجائز، لا يتعدى نفعه، فالعجوز ماذا تستفيد منها؟ لا يتعدى نفعها إلى الآخرين.

([1]) رواه أبو يعلى الموصلي في معجم٩ (ص: ١٠١) ح (٩٦).

أنت عندما كان بيدك الحكمُ والسلطة وما شابه ذلك في المدرسة، في الجامعة، في القضاء، في الإفتاء، في الوزارة، ما نفعت الناس، الآن أصبحت بتوبتك كدين العجائز، نفعك لا يتعدى، كحال من كان قبل التقاعد تجده من أعظم الناس فجورا وضررا، بارد القلب أخرس اللسان عن الحق، نعوذ بالله من الخذلان، كثير نجد من الناس وقرأنا عنهم من الجبارين، بعد ما أحيل إلى التقاعد، أو أنزل من مكانه، أو طرد أو عزل **لبس** (الجلابية)، **واعتمر** (الطاقية) وتوجه إلى المساجد، سبحان الله**!** والحمد لله، **لكنه** ما نفع الناس، نسأل الله السلامة.

فالمداراة والمداهنة الجامع بينهما الوصول للهدف، لكن المداراة محمودة، والمداهنة مذمومة، **{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}**. (القلم: ٩)، **مأخوذة** من الدهن، **والدهن** إذا وضع على شيء عسر يسره، **فالدهن** إذا كان في مكانه جائز، **أما** إذا كان في غير مكانه فلا، **فالدهن** إذا كان في مكانه فهو مداراة، **يعني** يسهل الحديد مع بعضه، أو يسهل الأمور، دونها تعدي على الحق، **فالمداهنة** خلق منحط، والمداراة ليست كذلك، فلا تخلط بينهما، من أجل أن تصل إلى ما تريد على حساب دينك، **يقول للناس:** أنت أفضل الناس، ولم يأمره بمعروف ولم ينهه عن منكر يفعله، هذا خطأ كبير، **ولابد** من النصيحة، فالمداهنة إلى حضار النفاق مجاهرة، وحضار وحضور، **بنفس** المعنى، **وكلها** تدل على الجري، **وسرعة** معينة، تقول عائشة رضي الله عنها: (**ثم أحضرت فأحضر**)، تقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رأته خرج من بيته في الليل، وهو ذاهب إلى البقيع، وهي تظن أنه ذاهب إلى إحدى نسائه، **فعندما** انفتل راجعا وهو يدعو لهم، رأى سوادا، قالت: (**رأى سوادي**)، قالت: **فأسرعت فأسرع، فأحضرت فأحضر**)، وهي سرعة يجريها الفرس، **فكانت** تجري عائشة، قالت: حتى سبقته، والحديث طويل في مسلم وغيره،

وهنا النفاق يجري في مثل هذه الأمور، **مع المداهنة** يأتيك النفاق والعياذ بالله، **فالمداهنة** تمس الدين، **لكن المداهنة** في الدنيا بدون أكل حقوق أو ما شابه ذلك، **الأمر** فيها أيسر.

الله سبحانه وتعالى قال في أواخر الفرقان عن لزوم النار لأهلها، **{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}**. (الفرقان: ٦٥)، غراما تعني ملازم له، لا ينفك عنه أبدا، ثم تجد أن الغريم صاحب الدين يلازمك، **هذا** في أصل الكلمة، تعني الملازمة، **كذلك** نوع من أنواع المحبة الغرام، **معناه** ملازمة الحب لهذا القلب، **هذه** الكلمة لها

معاني، **فهذا الشيخ رحمه الله** يحثك على أن يكون الكتاب لك غراما، **وليس** غرامة تلازمك الشرطة حتى تأتي بها، غرام أي مغرم بالكتب، ملازم لها، **فشرف العلم معلوم**، لعموم نفعه، **ينتشر** النفع، **وهذا** العلم للأرواح كالروح للأبدان، **وكالنفس** للإنسان، **فإذا** نص من العلم بقدر ما ينقص العلم يظهر على الإنسان آثار النقص، **وآثار الجهل** في الكلام، نسأل الله السلامة، **وفي الحديث** وفي المشي، **وفي** المعاملات، وما شابه ذلك، **كذلك** أيضا فصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، **كم** عند من العلم، **يوجد** انشراح في القلب وسرور، **تجده** عنده سرور بحفظ كتاب الله عز وجل، **وفي فهم** آيات وأحاديث من الرسول صلى الله عليه وسلم، أحكام شرعية يريد أن يعمل بها ويعلمها.

فاحرز وتحصّن بالأصول من الكتب، **كيف** تحرز الأصول من الكتب؟ **بالحرص** عليها، **فلا** يغني عن الأصول كتاب، لا تحشر مكتبتك وتشوِّشْ على فكرك بالكتب الغثائية، والتي اسمها اليوم (**الكتب الفكرية**)، ليس فيها رائحة العلم، **ولا رائحة** الكتاب والسنة، كتب فكرية، **فكيف** إذا كانت كتبا مسمومة، **فيها** عقائد ضالَّة والعياذ بالله، أو فيها أفكارٌ هدَّامة، أو مناهجُ مخالفةٌ لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، **وفيها** إثارةٌ للنعرات، **وفيها** نزع للرحمة من قلوبهم تجاه الناس، **والحكمُ** على غيرهم بالكفر أو البدعة أو التفسيق، ولم يسلم من ذلك أحد عندهم، في بعض الكتب، **وكأنه** يقول أنا ومن اتبعني فقط، وأما غيرنا فليسوا منا، **فإن** هذه الكتب وأمثالها سمٌّ ناقع، والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[قوام مكتبتك

عليك بالكتب المنسوخة على طريقة الاستدلال، **والتفقُّهِ** على علل الأحكام، **والغوصِ** على أسرار المسائل، **ومن** أجلِّها كتب الشيخين، شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله تعالى، وتلميذه **ابن قيم** الجوزية رحمه الله تعالى.

وعلى الجادَّة في ذلك من قَبل ومن بعدُ؛ **كتب** الحافظ ابن عبد البر (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى، **وأجل** كتبه التمهيد، الحافظ ابن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠هـ) رحمه الله تعالى، **وأرأس** كتبه المغني، والإمام الحافظ ابن الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى، والحافظ ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)

رحمه الله تعالى، والحافظ ابن رجب (المتوفى سنة ٧٩٥هـ) رحمه الله تعالى، الحافظ ابن حجر (المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى، والحافظ الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى، والإمام محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى، وكتب علماء الدعوة، ومن أجمعها الدرر السنية، والعلامة الصنعاني (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) رحمه الله تعالى، لا سيما كتابه النافع سبل السلام، والعلامة صديق حسن خان القنوجي (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى، لا سيما كتابه أضواء البيان].

التوضيح:

هذه كوكبةٌ من الكتب ينصحك باقتنائها، **وذكر الكتابَ** مع العالم، أو ذكرَ العالم وحدَه ويقصد كتبَه كلَّها، **وهي** مدوَّنةٌ في الكتاب، ولا داعي لتكرارها مرة أخرى، **لكني** أعلِّقُ على العلامة الصنعانيّ المتوفَّى سنة اثنتين وثمانين بعد المائة والألف رحمه الله، وكتابه (**سبل السلام**) وهذا الكتاب يدرس في الجامعة الإسلامية، **لكن** ليس في كلية الحديث عندنا، بل مقرر عندنا في كلية الحديث في فقه الحديث كتاب آخر، وهو (نيل الأوطار)، للشوكاني رحمه الله، **أما في كلية الشريعة** كانوا يدرسونهم من (سبل السلام)، مع أن صاحب (سبل السلام) الصنعاني تكلم في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تكلم عليه، فلما وصل إلى المشايخ ببلاد الحجاز أنه يتكلم عنه، قالوا:

(لا! هو يبتغي بذلك وجه الله، لا نرد علمه، ما في طعن، لا يوجد هذا)، مع أنه لو تعصب الإنسان لا يريد أن يأخذ العلم من أحد أصلا، **ولا يبقى** له شيء، **ونسأل** الله السلامة، **ثم** يأخذ العلم عن نفسه، أو عن صاحبه؛ **شابٍّ** مثله، **عنده** طلاقة لسان أو ما شابه ذلك، **واليوم** على الشيخ (قوقل)، والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[التعامل مع الكتاب

لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاحَ مؤلفه فيه، **وكثيراً** ما تكون المقدِّمةُ كاشفةً عن ذلك، **فابدأ** من الكتاب بقراءة مقدمته، **ومنه**؛ إذا حزت كتاباً؛ فلا تدخلْه في مكتبتَك إلا بعد أن تمرَّ عليه جرداً، أو

قراءة لمقدِّمته وفهرسه، **ومواضع** منه، **أما** إن جعلته مع فنه في المكتبة، **فربما** مرَّ عليه زمان، **وفات** العمر دون النظر فيه، وهذا مجرَّب، والله الموفق].

التوضيح:

اصطلاح المؤلف مهمٌّ جداً أن تعرفه، فمثلا الأصل في قول من يخرج حديثا أن يقول: **(رواه الجماعة)** وهم أصحاب الكتب الستة، لكن عندما يقول الشوكاني رحمه الله: **(رواه الجماعة)**، يعني بذلك (البخاري والمسلم، وأبا داود والترمذي، وابن ماجة والنسائي، وأحمد ابن حنبل)، بينما الصنعاني يقول: (رواه السبعة)، وقد يختلف عن غيرهما، **فلكلٍ** اصطلاحه، قد يجعل الكتب الستة مع الإمام أحمد للجماعة، **وقد** يجعل الكتب الستة مع ثلاثة كتب أخرى، ويقول: (رواه الجماعة)، **ويقصد** بزيادة مسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، وموطأ مالك، يضيفها إلى الكتب الستة، التي أصحابها؛ البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي وابن ماجة.

ولما يقول: **(رواه الأربعة)**، مقصوده الأربعة غير الصحيحين، الترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داود، فلما يقول الثلاثة يكون حذف واحدا منهم، **عند** الشوكاني تختلف عند غيره كالسيوطي، وصاحب سبل السلام...

فكيف تقرأ وأنت لا تفقه مصطلح الكاتب، **ولا تفهم** مصطلح المؤلِّف، **ولا تعرف** ماذا يريده المصنف بالمصطلحات التي قالها، **فهذا** شيء مهم جدا، وإذا حزت كتاباً؛ **لا تدخله مكتبتك** حتى تقرأه تبدأ بالمقدمة، **لأن المؤلف** يضع فيها خارطة وجدولا وبرنامجا لكل ما ستقرأه بعد، **وربما** إذا قرأت المقدمة تعينك على ما في الداخل، **من أي ناحية؟** من القراءة الإجمالية، **لكن** إذا حدث واحتجت شيئا فتتذكر المقدمة، **وتعرف** أن الجواب في ثنايا وغضون الكتاب فترجع إليه.

فقراءة المقدمة مهمة جدا، لذلك أي كتاب تريد أن تضمّه إلى القائمة، **لا** تكتب عليه، **ولا** ترقمه برقم خاص عندك، **ولا** تدخله عندك المكتبة، **ولا** تدخله عندك غرفة النوم حتى تقرأه إمّا كلَّه أو بعضَه، ثم أدخله هناك، وإلا يتراكم عليه الغبار كما قال، ولم تفتحه بعد ذلك.

وربما تشتريه مرة أخرى؛ لأنك نسيت أنك اشتريته، **وفعلا** حدثني بعض الناس أنه يشتري الكتاب مرة ومرتين وثلاثا ليس لأنه تحقيق جديد، **بل** لأنه لا يعلم أنه اشتراه، هو مغرم بالكتب فقط، يكدِّس هذه الكتب، وربما هذه الكتب تكون شهادةً عليه خصوصا مع هذا الملهي (**الحاسوب المتنقل –اللاب توب**)، ما يفتح الكتاب، **يفتح** هذا فقط، **خصوصا** إذا ساعدته المصورات من الكتب، **سرعة** البحث، **وإذا** ذهب هناك ربما يبدأ بالعطاس نتيجة الغبار، **يكون** هنا متكئا على أريكةٍ، **وكلٌّ** العالم بين يديه، والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[إعجام الكتابة

إذا كتبت فأعجم الكتابة بإزالة عجمتها، وذلك بأمور:

١- **وضوح** الخط.

٢- رسمه على ضوء قواعد الرسم الإملاء، وفي هذا مؤلفات كثيرة من أهمها: كتاب (الإملاء) لحسين والي، و(قواعد الإملاء) لعبد السلام محمد هارون، و(المفرد العلم) للهاشمي، رحمهم الله تعالى.

٣- **النقط** للمعجم، والإهمال للمهمل.

٤- **الشكل** لما يشكل.

٥- **تثبيت** علامات الترقيم في غير آية أو حديث].

التوضيح:

هذه مهمة جدا لطالب العلم، عليه أن يقتنيَ شيئا من الكتب في قواعد الإملاء؛ **متى** تضع الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والنقطة والنقطتان رأسيًّا، والنقاط الثلاث أو الأربع الأفقية، **كذلك** الشرطة العارضة، **والقوسان** الصغيران، **والقوسان** الصغيران جدا، **وعلامات** التنصيص، **والقوسان** الكبيران، **هذه** يجب أن تعرفها، **وأن** تترك فقرة عند الفقرة الجديدة بمقدار طرف الأصبع، **كما** كانوا يقولون لنا عند الانتقال لكلام

آخر، **كلما** دخلت في فقرة جديدة، **تحتاج** إلى أصبع جديد، **وإن كنت** تشتغل على مثل هذا الذي بين يدي، -الحاسوب- سهلة جدا، **هو** يريحك منها، **وأشياء** كثيرة جدا.

والكتب في ذلك الأمر وفي التعليم كثيرة جدًّا، **فقط** اقرأها أولا ثم اسأل واستفسر واستوضح ممن عنده علم في هذه المسألة، **إذا** غمض عنك شيء، **وإلا** الكتابة تكون هكذا كالجرائد والمجلات التي لا تعنى بذلك، فهذا ليس عليه رونق العلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[الفصل السابع

المحاذير

حلم اليقظة

إياك وحلم اليقظة، ومنه بأن تدعي العلم لما لم تعلم، أو إتقان ما لم تتقن، فإن فعلت، فهو حجاب كثيف عن العلم.

احذر أن تكون أبا شبر

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبَّر، ومن دخل في الشِبْرِ الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم].

التوضيح:

إياك وحلم اليقظة، **ومنه** بأن تدّعي وتظهر بين الناس بأنك على علم لما لم تعلم، **أو أنك** على إتقان ما لم تتقن، **فإن** تجرأت وفعلت، **فهو** حجاب كثيف غليظ يحجبك عن العلم، **ويحرمك** من فائدته وثمرته وبركته.

فاحذر أن تكون أبا شبر...

فقد قيل: **العلم ثلاثة أشبار**، من دخل في **الشبر الأول** تكبر، ومن دخل في **الشبر الثاني** تواضع، ومن دخل في **الشبر الثالث** علم أنه ما يعلم.

حلم اليقظة، يحلم الإنسان **وهو** مستيقظ بأنه عالِمٌ، هو الآن يحلم، **والحلم الأصل** أن يكون في المنام، **فالمصيبة** في حلم اليقظة، **بعض الناس** يحلم أنه عالم، **غيره** من الشباب يحلم أنه متزوج فتاة شقراء، **وشعرها** كذا ما شاء الله، وصنف آخر يحلم أنه يعدُّ النقود.

واليوم توجد في كثير من المسلمين صفات وأخلاق هي منتشرة عندنا، **نسب** أمريكا مثلا ونشتمها، ثم نعترض عليها إن قطعت المعونات والمساعدات عنا.

نسب ونشتم أبو الدولار وهو كلُّ شيء في دنيانا، ونتقاتل من أجله**!**

وبعض الناس يحلم بامتلاك العقارات أو السيارات، **وبعض الشباب** الصغار يحلمون بدراجة نارية، هكذا حلوم الناس، **فأنت** في حلم اليقظة يجب أن متيقظا في هذا الأمر، **وأنك طالب علم** تحلم في الزيادة، **لا تحلم** بأنك انتهيت، **ووصلت** إلى القمة، **فعليك** أن تبتعد عن هذه.

وبعد أن تكلَّم في الفصول السابقة الست، **تكلم** عن الحلية، **ماذا** تتحلَّى؟ **ماذا** تطلب؟ **ماذا** تقتني؟ **ماذا** تكتسب؟ **الآن** إياك واحذر وابتعد **واجتنب** هذه الصفات الذميمة، **وهذه** الأخلاق المشينة، **أن** تكون في حليتك الحلوة الجميلة، **هذه** التي سيذكرها المصنف **كأنها** بقعٌ من الأوساخ، **أو** كُتَلٌ من النجاسات في هذه الحلية التي لبستها، **فلذلك** ابتعد عنها واحذرها، منها:

لا تدَّعي علم ما لم تعلم، **ولا تدعي** إتقان ما لم تتقن، **فإن** فعلت، **فهو** حجاب كثيف عن العلم، **وإخراجٌ** وإذهابٌ وإبطالٌ لبركة العلم.

ثم يقول لك: **احذر** أن تكون أبا شبر، **فما هي قصة أبي شبر؟** فقال: العلم ثلاثة أشبار:

الشبر الأول تكبرٌ، وربما مررنا به كلُّنا، **وصل** في العلمِ شبرا **ويظن** أنه وصل وحاز العلم بحذافيره، **فيتكبر** على المشايخ والعلماء والدعاة، **وعلى** الناس، **حتى** يتطاول على الكتب والمفسرين والمؤلفين، وعلى غيرهم.

والسبب أنه حفظ مسألة أو مسألتين، أو حفظ حديثا أو حديثين، أو أجاد آيةً أو آيتين، أو ردَّ على شيخ أو عالم وكان الحقُّ معه، فانتهى الأمر عنده إلى التكبر والتعالي.

ومن دخل في **الشبر الثاني تواضع**، بدأ يرى الناس حوله على الحقيقة، من أنهم أعلم منه، وهو أين منهم، هو لا يزال عند الكعب، أي الشبر الثاني.

أما من دخل في **الشبر الثالث فعلم أنه ما يعلم**، علم أنه يحتاج إلى آفاق كثيرة جدّا، حتى يصل إلى ما يريد، وهنا تحذير آخر التصدر، فقال د بكر رحمه الله:

[التصدر قبل التأهُّل

احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم والعمل.

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه.

التنمُّر بالعلم

احذر ما يتسلَّى به المفلسون من العلم، **يراجع** مسألة أو مسألتين، **فإذا** كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما، **ليظهر علمَه!** وكم في هذا من سوءة، **أقلُّها** أنُّ يعلمَ أنّ الناسَ يعلمون حقيقته.

وقد بيَّنْتُ هذه مع أخوات لها في كتاب (**التعالم**)، والحمد لله رب العالمين].

التوضيح:

إذن هنا أمران: **الأمر الأول**: التصدُّر، **والثاني**: التنمُّر، ما دام علم مسألة أو مسألتين يتصدّر، **كيف** يفعل هذا؟ **وفعلا** يوجد شباب يفعلونها **حتى** يحرجوا الشيخ فلان في مجلس ما، **يكون** هذا الشابُّ قد سهر ليلهُ يدرس مسألة أو مسألتين **بكل** تفاصيلها وصفحاتها وأرقامها، **وهذا** سهل عليه، **فإذا** جاء مجلس الشيخ أظهرهما، **والشيخ** ربما ما راجعها من مدّة طويلة، **فيحرج** الشيخ **ويظهر** نفسه أنه عالم أعلم من الشيخ زعما.

فيشعر أنه قبل أن يتأهَّل صار كذا وكذا، **وهذه** سوءة، يعني عورة، **هذا** ليس طلبا للعلم، أن تفحم غيرك، **ليس** هذا هو الأساس الذي تعلمت العلم من أجله، **أنت** تتعلم لتعمل، وتعلمت لتعلم وتنفع، وكثيرا ما يحدث مثل هذا الأمر.

لذلك بعض الناس **وبعض** العلماء **يخرج** هذا الإنسان **وقد** ظهرت سوأته، من مجلسه يخرجه بصورة عجيبة جدا، **وربما العالم** هذا يأخذ هذه المسألة، **ويكون** منذ زمن ما راجعها.

وهذا الشاب المتصدر المتنمر يسأله في لفتة من هنياتها فلا يعرف يتوقف، **هو** ما عرف إلا عندما قرأ، وما حفظ إلا قبل قليل، **وربما** غدا أو بعد غد، أو بعد الغدِ ينساها؛ **ربما** لأنه حفظ لشيء معين، لا تبقى بركةٌ له.

لكن الذي يسأل ليستفيد أو ليفيد أو ليتذاكر، أو ما شابه ذلك، **يختلف** الأمر، **فهذا** التصدُّر **والتنمُّر** بالعلم ما لا ينبغي أن يفعله طالب العلم.

قال المؤلف رحمه الله:

[تحبير الكاغد

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية، **والذي** نهايته تحبير الكاغد، **فالحذر** من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، **واكتمال** أهليتك، **والنضوج** على يد أشياخك، **فإنك** تسجّل به عاراً، وتبدى به شناراً.

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، **واستكمل** أدواته، **وتعددت** معارفه، **وتمرس** به بحثا ومراجعة ومطالعة وجرداً لمطولاته، **وحفظاً** لمختصراته، **واستذكاراً** لمسائله، **فهو** من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

ولا تنس قول الخطيب: من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس].

التوضيح:

تحبير الكاغِد بالدال، أو الكاغِذ بالذال، بكسر الغين، وأحيانا يجعلونها بالظاء، **الكاغظ**، والمعروف أنها بالدال، **وهو** عبارة عن قرطاس، الدفتر الذي يكتب فيه.

وتحبيره أن تكتب فيه، **تجعل الحبر** فيه يجري لكن بصورة معينة، **بخط** وقلم، **وما** شابه ذلك.

والعجيب في الأمر أن كتابا اسمه (**المزهر في علوم اللغة**)، يذكر صاحبه عن ابن مالك اللغوي، أنه قال:

(**الذي ورد من فاعل**)، -والذي دفعني أن آتي بهذا كلمة الكاغد-، (**بفتح الغين**، قال: في اللغة العربية لا يوجد كثيرٌ على وزن فاعل، قال: **الذي** ورد من فاعَل بفتح العين ألفاظ محصورة، **تستطيع** حفظها، **ثم نظمها فقال**:

اخصُص إذا نطقت وزن فاعَلٍ ... بباذَق وخاتَم وتابَل

ودانَق وراسَن ورامَك ... ورانَج ورامَج وزاجَل

وساذَج وسالَخ وشالَم ... وطابَع وطابَق وناطَل

وطاجَن وعالَم وقارَب ... وقالَبٍ وكاغَد وما يلي

من كامَخ وهاوَن ويارَج ... ويارَق وبعضها بفاعل

وفي بعضٍ منها يمكن أن نقولها بفتح العين، وبكسرها.

فالحذر من التأليف الخالي من الإبداع، **وأنا** أسميه سرقة، **إذا** أخذه من غيره دون عَزوه لقائله.

هناك بعض الناس يكون قرأ كتابا عنده قديما، **ويطبعه** ويخرجه للناس باسمه، **فهذه** سرقة، والعياذ بالله.

أو يأخذ منه فقرات ولا ينسبها إليه، **ولا يقول** نُقِل، **حتى** يبعد التهمة عن نفسه، **أنها** ليست من قوله، لو قال: نقل، أو قيل، أو ما شابه ذلك، **لبرأ** نفسه، **لكن** هذا لا ينسبه لصاحبه، **فالذي** يقرأ كأنه من فعله هو**!** ما ينبغي.

كذلك من عصَر ذهنَه ثم جاء بما لا فائدة فيه، **جاء** بأشياء لا فائدة فيها، أو سبقه غيره إليها، ما جاء بها تأكيداً لغيره، **إنما** جاء بها على أنها شيء جديد، وفي الحقيقة هو شيء قديم.

فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، **واكتمال** أهليَّتِك، **والنضوج** على يد أشياخك، **فإنك** تسجّل به إذا فعلت ذلك وابتعدت عن المشايخ، **وافتقدت** النضوج تسجل به عاراً، وتبدى به شناراً.

فالتأليف النافع هذا لمن قامت أهليته، **واستكمل** فيها هذا الشيء، **ونرى** ذلك اليوم في صفحات الفسبكة؛ **كلهم** يكتبون، **وكلهنّ** يكتبن، **أو كلهنّ** تكتب يجوز الأمران، **يعني** رجالا ونساء، وعوام ما دام ينقر على هذه اللوحة، **يكتب** ما هبّ ودبّ.

وربما ينسبون للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل.

ويطلقون عنانًا للأحكام بالحلال والحرام؛ **فيحرمون** ما أحل الله، **ويحللون** ما حرم الله.

وأحسنهم حالا من ينقل عن غيره، **ويقول**: نقلت هذا من كذا، منقول من كذا، هذا أحسنهم حالا، **أما الذي يخلط** في الأمور، **فهذا** مسكين جلب العار والشنار، **وسيسأل** يوم القيامة عما نقرت أصابعه.

فلذلك لابد من التمرُّس؛ كأنها من المراس والمران، **فالدابّة** تتمرس على أمر مّا، **والإنسان** يتمرّس على أمرٍ ما، **فالتمرس** في العلم، **وفيه** مراجعة المطولات، **وجردُها**، وأن تحفظ المختصرات، **وتستذكر**، **فهذه** من أفضل ما يقوم به النبلاء الفضلاء.

يقول الخطيب رحمه الله: **(من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس)**، فأنت عندما تصنِّف كتابا أو تكتب كلمة على الفسبكة؛ **كأنك** تضع عقلك للناس، **فإمّا** يمدحونه وإما يذمونه، **ويقولون**: من هو فلان؟ **وما أكثر الذين** يذمون من العقلاء؛ **لأن** بعض الناس يمدح بعضهم بعضا، والكفار يمدح بعضهم بعضا، **فلا** يعني المدح العام صحة الكلام، **أو** صحة ما يعرض.

نتذكر ما أخذناه في الحلقة الماضية من التحلي بعزة العلماء **وهي** صيانة العلم وتعظيمه، **فاحذر** أن يتمندل بك الكبراء، أو يمتطيك السفهاء، **ولا** تبذل هذا العلم إلى غير أهله وإن عظم قدره.

ومتّع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم، **والسير لأئمة** قد مضوا، **فصن العلم** إن بلغت منصباً، **واحذر** مسلك من لا يرجون لله وقارا، **والزم** رحمك الله المحافظة على قيمتك بحفظ دينك وعلمك، **"احفظ الله يحفظك"**، **"احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة"**، وعليك بالمداراة لا المداهنة، **لكن** لا تخلط بينهما، **وعليك** بالغرام بالكتب، **وعليك** بالحصول على الأصول من الكتب، **واعلم** أنه لا يغني منها كتاب عن كتاب، **ولا تحشر** مكتبتك بالكتب الغثائية، **لا سيما** كتب المبتدعة، **وهي** المسماة بالكتب الفكرية، **فإنها** سم ناقع، **وعليك** بكتب الشيخين، **ابن تيمية** وتلميذه **ابن قيم الجوزية** رحمهم الله سبحانه وتعالى، **وكذلك** كتب الحُفَّاظ من قبل، **كتب** ابن عبد البر وابن قدامة والذهبي، وابن كثير وابن رجب وابن حجر، والشوكاني والصنعاني ومحمد بن عبد الوهاب، **وكتب** علماء الدعوة، **ومن أجمع** هذه الكتب التي شملت الفتاوى والمقالات الكثيرة، الدرر السنية، وكتب صديق حسن خان القِنَّوْجي ([1]) ومحمد الأمين الشنقيطي، **هذا** على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر.

وعليك بمعرفة اصطلاح المؤلف لكل كتاب من المقدمة الكاشفة لذلك، **فإذا** حزت كتاباً واشتريته أو أهدي إليك أو منح، أو منحته **فلا تدخله** في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جرداً، أو قراءة لمقدمته، أو فهرسته، ومواضع منه.

فإذا كتبت فعليك وضوح الخط، **وعلى** قواعد الرسم والإملاء، **وفي** هذا مؤلفات كثيرة، **ولا** تنسى النقط للمعجم، **ففي** الحركة المعجمة يحتاج إلى نقط، والإهمال للمهمل، **وكذلك** الشكل لما يشكل، **وعليك** أن تتثبت بعد أن تتعلم علامات الترقيم في غير الآيات، وفي غير الأحاديث.

([1]) جاء في (الموسوعة التاريخية- الدرر السنية): [هو أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القنوجي البخاري، نزيل بهوبال، ويرجع نسبه إلى زين العابدين بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب. ولد في بلدة "بريلي" موطن جده من جهة الأم عام (١٢٤٨هـ) ونشأ في بلدة "قِنَّوْج" موطن آبائه بالهند، توفي: (١٣٠٧هـ)، وفق: (١٨٨٩م)]، وفي (غاية النهاية في طبقات القراء) (١/ ٢٨٠): [القنوجي؛ بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة وبعد الواو جيم نسبة؛ إلى بليدة من الهند...]. فـ(قنوج) [على زنة سنور]. (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) (ص: ٧٣٩).

والفصل السابع، تعلمنا منه أشياء إلا أن المصنف رحمه الله جعله لذكر المحاذير، ليحذر الطالب من الوقوع فيها، **فمنها**: أحلام اليقظة، **بأن** تدعي العلم لما لم تعلم، **وتدعي** إتقان ما لم تتقن، **فاحذر** أن تكون أبا شبر، **فمن هو أبو شبر؟** قد قيل: **العلم** ثلاثة أشبار، **من دخل** في الشبر الأول **تكبر**، ومن دخل في الشبر **الثاني تواضع**، ومن دخل في الشبر **الثالث علم** أنه ما يعلم، **واحذر** التصدر قبل التأهل، **وما** يتسلى به المفلسون من العلم، **الذين** يراجع أحدهم مسألة أو مسألتين، **فيثير البحث** فيهما ليظهر علمه، **ولابد** من تحبير الكاغد، **والحذر** من التأليف الخالي من الإبداع والتجديد، **والتحذير** في مقاصد التأليف، **ولا تنس** قول الخطيب رحمه الله: من صنف، **فقد** جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

ووصلنا إلى قول المصنف رحمه الله تعالى في هذا الفصل السابع؛ **موقفك** من وهم من سبقك، فقال:

[موقفك من وهْم من سبقك

إذا ظفرت بوهْم لعالم، **فلا** تفرح به للحطِّ منه، **ولكن** افرح به لتصحيح المسألة فقط، **فإن** المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، **لا سيما** المكثرين منهم، **وما يشغّب** بهذا ويفرح به للتنقص، **إلا** متعالم يريد أن يطب زكاما فيحدث به جذاما.

نعم، ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله، **لكن** لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه، والحط عليه، **فيغتر** به من هو مثله].

التوضيح:

يقصد بذلك الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الناس، **ولا يوجد** أحدٌ معصومٌ إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، **فإن وقعت** على خطأٍ لعالم قديم؛ **كالأئمة** الأربعة، **حتى** الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أو من بعدهم، أو معاصرٍ من أشياخك أو علمائك، **فلا** تفرح به للحطِّ منه.

هناك أناس ينتظرون مثل هذه السقطات والهفوات، **هؤلاء** كالذباب لا يقعون إلا على القبيح، **يريد** أن تشيع مثل هذه الأشياء؛ **ليشنّع** ويطعن، **ويقبّح** ويتعالى.

والأصل أنك إذا رأيت هفوة أو وهما لعالم أن تعتذر، **خصوصا** لأهل الاعتذار، **لكنّ** الكفار لا يُعتذر لهم، **وكذلك** المحترقون في التفرق والتحزب **والوقوع** في البدع، **فهؤلاء** لا يُعتذر لهم، **لكن** نعتذر لأولئك العلماء والدعاة المخلصين حسن قصدهم، **وذاع** صيتهم بالجهود المضنية في نصر الدين، **ونشر** الشريعة.

أما أولئك ذوو القصد السيء، **فتحمل** قصدهم على مرادهم، **أصحاب** القصد السيء يحمل على السيء.

فأصحاب القصد الحسن؛ كالصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، **والسلفِ الصالح** رحمهم الله تعالى، **ومن سار** على هديهم وطريقهم كلّهم يعتذر لهم، **إذا حدثت** منهم أخطاء، **ولا** نشنّع عليهم، **فنجمع** مثالبهم في كتاب، **أو نقولُه** أمام الناس، **وإنما** نبدي المحاسن، **ونعتذر** عمّا يحدث من خطأ أو وهم.

والفرح يكون بالخطأ من العالِم القديم أو المعاصر، **يكون** فقط لتصحيح المسألة.

أحيانا أراجع نفسي إذا وجدت لعالم مخالفةً في نظري، **أجدُها فأقول**: سبحان الله، **وأرجع السبب** إلى فهمي القاصر، **أقول**: ربما أنا أخطأت في هذا الفهم، **وأراجعه** لتلميذه إذا كان هو أيضا قديما، **يعني** قرأت للشافعي مثلا رأيا، **وأنظر الشافعية ماذا قالوا**؟ حتى أتأكد من أنه خطأ، **حينها أقول**: أنه خطأ، **لكن** قبل أن نتأكد نعتذر بجميع الاعتذارات.

وما سلم إنسان من الخطأ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"**. (١)

فهذا أمر مهم جدا، **فكل** إمام لابد أن يقع في أخطاء، **لكنّ** المكثرين منهم يظهر عندهم الأخطاء أكثر من غيرهم، **لكثرة** العمل وكثرة النتاج، **تحدث** مثل هذه الأمور، **ومَن معصوم**؟ فالعصمة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

لكن هذا الذي يشغّب، **والمشاغِب**؛ يعني يخرج أصواتا وما شابه ذلك، ويفرح، **لماذا**؟ للتنقُّص من هذا العالم، أو ذاك الداعي إلى الله عز وجل، **والعالم** وطلبة العلم، **يفرح** إذا وجد خطأ، **يفرح لماذا**؟ هذا

---

(١) (ت) (٢٤٩٩)، (جة) (٤٢٥١)، انظر صحيح الجامع (٤٥١٥)، وصحيح الترغيب (٣١٣٩).

ثلمة في الإسلام، وفي الدين، **تريد** أن تُوسَّع الثلمةُ بأن تصدّ عن هذا العلم، **فتترك** علمه، **وتحذر** من مجالسه.

نجد أمثال هؤلاء يفرحون بهذا التنقُّص، **ويزيدون** الفجوة، **هو** يريد أن ينصر الدين، **فيزيد** هذه الهوة، وإن كانت صغيرة؛ **إلا** أنها تتسع يوما بعد يوم.

يريد أن يرقع الثوب، **فاتسع** الخرق على الراقع، كما قال هنا: **(لا يفرح بذلك إلا متعالم، يريد أن يطِبَّ زكاما فيحدث به جذاما)**، كمن أعطى لمريض دواء للزكام، فأحدث الجذام، **فإذا** بأطرافه تتناثر؛ **لأن** مرض الجذام يصيب الأطراف، **كالأصابع** والأنف وأطراف الرجلين، والشفتين فيصبح الإنسان **وكأنه** أسد في الصورة، ففي الحديث: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ**». [1] يجعل الإنسان كأنه غير طبيعي، **ومن أشكال** الأسد والعياذ بالله، **فالتنبيه** على الخطأ مهم، **لكن** ليس بالفرح والتنقيص **وإشاعة** ذلك على الهواء.

أحيانا يكون خطأ أو وهم لعالم، **هذا العالم** ووجود هذا الخطأ غُمِر في بحر علمه وفضله، **تنسى** البحر العظيم وتأتي إلى هذه القشة، **أو ذلك** الغبار الذي وضع في بحر من العلم، تنساه**!**

وهذا ما يفعله شباب اليوم إلا من رحم الله، **تجده** يتغيَّر ويتمَّحل ويدخل إلى القلوب، **فيقول**: وهو قصده كذا، ونيته كذا**!! يا أخي** خذْ بالظاهر، اعتذر لإخوانك. **أبدا**؛ لا يوجد عندهم ذلك الاعتذار.

قال رحمه الله: **لكن** لا يثير الرهج عليه بالتنقُّص منه، **والحطِّ** عليه، **والرهج** هو الغبار، **فيغترُّ** به من هو مثله.

---

(1) (حم) (٩٧٢٢)، ونحوه (خ) (٥٧٠٧).

قال المؤلف رحمه الله:

[دفع الشبهات

لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، **فاجتنب** إثارة الشبه **وإيرادها** على نفسك أو غيرك، **فالشبه** خطافة، **والقلوب** ضعيفة، **وأكثر** من يلقيها حمالة الحطب –المبتدعة– فتوقَّهم.

احذر اللحن

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، **فإن** عدم اللحن جلالةٌ، **وصفاءُ** ذوقٍ، **ووقوفٌ** على ملاح المعاني **لسلامة** المباني، **فعن** عمر رضي الله عنه أنه قال: **"تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة"**.

وقد ورد عن جماعة من السلف؛ أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن.

وأسند الخطيب عن الرحبي قال: **"سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر؛ صار الحديث بالفارسية"**.

وأنشد المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن *** والمرء تكرمه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلَّها *** فأجلُّها منها مقيم الألسن

وعليه؛ فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة رحمه الله تعالى: تعلُّمُ النحو؛ أوله شغل، وآخره بغي.

ولا بقول بشر الحافي رحمه الله تعالى: لما قيل له: **تعلَّم النحوَ**، قال: **أضلّ**، قال: قل: **ضرب زيدٌ عمراً**، قال بشر: **يا أخي! لم ضربه؟** قال: **يا أبا نصر! ما ضربه، وإنما هذا أصل وضع**، فقال بشر: **هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه**. رواهما الخطيب في اقتضاء العلم العمل.

الإجهاض الفكري

احذر الإجهاض الفكري بإخراج الفكرة قبل نضوجها.

احذر الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين؛ **من يهودٍ ونصارى**؛ فهي أشد نكاية وأعظم خطراً من الإسرائيليات القديمة؛ **فإن هذه** قد وضح أمرها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم الموقف منها، **ونشر** العلماء القول فيها، **أما الجديدة المتسربة** إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورية الحضارية، **واتصال** العالم بعضه ببعض، **وكبح المدّ الإسلامي**؛ فهي **شر** محض، **وبلاء** متدفق، **وقد** أخذت بعض المسلمين عنها سنة، **وخفض** الجناح لها آخرون، **فاحذر** أن تقع فيها، **وقى** الله المسلمين شرها].

التوضيح:

ومن المحاذير في هذا الفصل؛ دفعُ الشبهات، لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، عندما بحثت في اللغة، **لم أجد** كلمة السفنجة بالمعنى المتعارف اليوم، **وهم ما نشتريه للطفل الصغير**؛ ليفة تؤخذ من البحر أو مادة أخرى، وتؤخذ من أمور أخرى كالبلاستيك وما شابه ذلك.

وإنما في (معجم اللغة العربية المعاصرة)، المعاصرون قالوا: **إسفنج،** يعني بإثبات حرف الهمزة، **الإسفنج** هذا جمع لإسفنجة، قالوا عنها: **مادة** تؤخذ من حيوان الإسفنج، تستعمل في الاستحمام والتنظيف وغيره.

أما كلمة سفنجة، فلها معنى آخر غير هذا المعنى الذي أراده المصنف رحمه الله. (١) فاجتنب إثارةَ الشُّبَهِ **وإيرادَها** على نفسك أو غيرك، **تجدْ قلبَك** قد يتشرب شيئا منها.

لذلك عندما [دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ فَقَالَا: (**يَا أَبَا بَكْرٍ! نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ**)، قَالَ: (**لَا!**) قَالَا: (**فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)، قَالَ:

(**لَا! لَتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ**)، قَالَ: (**فَقَامَ الرَّجُلَانِ فَخَرَجَا**)، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ:

(**يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!**) فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ:

---

(١) [السَّفَنَّجِ: السَّرِيعِ... (سَفْنَجَ لَهُ سَفْنَجَةً: عَجَّلَ نَقْدَه)... (الإِسْفَنْج) بِكَسْر فَسُكُون فَفتح عُرُوقُ شَجَرٍ، (نافعٌ فِي القُروحِ العَفِنَة) معرّبٌ]. تاج العروس (٦/ ٤١).

(**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَأَا آيَةً عَلَيَّ فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي**)، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: (**لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي أَكُونُ مِثْلَ السَّاعَةِ لَتَرَكْتُهُمَا**).

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ لِأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: (**يَا أَبَا بَكْرٍ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟**) فَوَلَّى وَهُو يَقُولُ بِيَدِهِ: (**لَا، وَلَا نِصْفُ كَلِمَةٍ**).

وَقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ لِابْنٍ لَهُ، وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: (**يَا بُنَيَّ! أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ حَتَّى لَا تَسْمَعَ مَا يَقُولُ**)، ثُمَّ قَالَ: (**اشْدُدْ اشْدُدْ**)]. ([1])

وإنما يخشى على نفسه ما بعد الآية **والحديث** والكلمة أو قبلها، **من كلام** وشُبَه قد يتشربه الإنسان.

فالشبه خطّافة، كأنّ لها خطَّافًا للقلوب، **ممكن** أن يكون الإنسان لا يدري ولا يعلم، **وإذا** به يقع في هذه الشبه؛ **لأن** القلوب ضعيفة، **وأكثر** من يقع فيها، **ويلقيها** مثل حمالة الحطب، **وقد** قصد بهم المبتدعة، **معهم** خطاطيفُ من الشبه كثيرةٌ جدا، **يلقي** عليك أشياء منها.

وهذا ما سيكون في آخر الزمان مع الدجال، **من** كثرة ما يلقي من الشبه تجد الإنسان يذهب إليه، **فيتّبَعه** ويؤمن به، **وأنت** منهيٌّ عن أن تذهب إليه، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**")، أَيْ فَلْيَبْتَعِدْ عنه ("**فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ**")، ([2]) ("**فلَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ**")، ([3]) ("**لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ**"). ([4])

([1]) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٣٨) رقم (١٠٠- ١٠٢).

([2]) (د) (٤٣١٩).

([3]) (حم) (١٩٨٨٨)، وقال الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٤) (د) (٤٣١٩)، انظر صَحِيح الْجَامِع (٦٣٠١)، المشكاة (٥٤٨٨).

(**فَلْيَنْأَ عَنْهُ**) أي يبتعد، **لماذا؟ يخشى** على نفسه أن يتأثر بما عنده، ("**فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ**")، ([1]) وهذا يجعل في الإنسان شيئا من الميل، **كيف حدث هذا؟** أقل شيء لو سأل هذا السؤال، **فيكون** هذا بداية البعد عن الدين، **والانسلاخ** من التوحيد والعقيدة، **فالقلوب** ضعيفة.

واحذر اللحن، **واللحن** عكس الإعراب، **فلان** يتكلم بالإعراب، **هذا** يعرب الحركات وغيرها، **وذاك** يلحن، **يعني** لا يتكلم بالإعراب، **فاللحن** في اللفظ والكَتْب، **كَتْب** مصدر، من كَتَبَ يكتب كَتْبا وكتابة، **فإنَّ** عُدْمَ اللحنِ جلالة، **يعني** هيبةً ورفعةً للإنسان، **وصفاءُ** ذوق، **ووقوفٌ** على ملاح المعاني لسلامة المباني، **لذلك** ورد عن السلف منهم عمر رضي الله عنه أنه قال: (**تعلموا العربية فإنها تقوي العقل وتزيد في المروءة**). ([2])، **وعن جماعة من السلف** رضي الله تعالى عنهم أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن. ([3])

الآن كيف إذا كان الآباء والأجداد وآباؤهم وأولادهم الكل في لحن، **يعني** الخطيب يخطب الخطبة يحاول أن يأتي بالمعاني التي يفهمها الناس، **على** قدر الطاقة والاستطاعة، **ومع** ذلك العوام يقولون: **والله** هو يتكلم بالنحوي، أي باللغة العربية الفصحى، **وفيه** لحن كثير، **وفيه** موافقة للغة.

وأسند الخطيب عن الرحبي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: (**إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر**)؛ إذن ليست لغة عربية ما دام لحان يكتب عن آخر، (**صار الحديث بالفارسية**)، هذا في عهدهم، **أما اليوم** فصار الحديث باللغة الإنجليزية والعبرية والأجنبية**! اللغة العامة** التي تشمل الجميع، **وربما** يفهمها العوام أكثر من اللغة العربية المعروفة.

([1]) (ت) (٢٢٤٠)، (وقصة الدجال) للألباني (ص١٣٥)، وانظر (م) ١١٠- (٢٩٣٧).

([2]) (غرر الخصائص الواضحة)، لأبي إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) (ص: ٢٢١).

([3]) انظر (نصرة الثائر على المثل السائر)، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ).

وهنا أنشد المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن *** والمرء تكرمُه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلَّها *** فأجلُّها منها مقيم الألسن

(النحو يبسط من لسان الألكن)، حتى لو كان إنسانٌ ألكنَ يعني ألثغ، **إذا** وجدت النحو عنده نسي سامعه ما عنده من لكنة.

(والمرء تكرمه إذا لم يلحن)، فإذا أردت من العلوم أجلها، **فأجلها** منها مقيم الألسن، **كيف** أجلها، **والقرآن الكريم**، هب أن لحانا يقرأ القرآن الكريم **كيف سيقرؤه؟** لحان يكتب القرآن الكريم كيف سيكتبه، **لابد** من اللغة، **لابد** أن يكون اللسان عنده مقوم، لا يلحن.

وهذه قصة كان يذكرها لنا مشايخنا: **مرة** كان أحد الأدباء الذين يبحثون عن شواهد لغوية؛ **شعرية** كانت أو نثرية يدونونها عندهم بين البوادي، **فجاء** على بدويٍّ يعلم ابنته البدوية الصغيرة، **تبيت** يدا، **فماذا** قالت؟ قالت: **تبت يدان، يضربها**، ويقول لها: **لا تقولي تبت يدان، لا يوجد حرف نون، ويعيدها وتعيدها**، فالأديب هذا فاهم لهذا الأمر، فقال له: **أكمل الجملة**، لأن يدا في النحو والقواعد مثنى لا تحذف منها النون إلا إذا **أضيفت**، مثنى مضاف إليه، **مضاف** إلى شيء، **فتحذف** النون، **والفتاة** لم تفهم شيئا، **لكن** في اللغة العربية الفطرية الأصيلة عندها هذه لم تدخل ذهنها، **فأعاد** تبت يدا أبي لهب، فقالت: **تبت يدا أبي لهب، وحذفت النون، عجيب!** فقال: **كيف عرفت أن ابنتي هكذا**، قال: **اللغة تقول هكذا، لكن من مثل تلك الفتاة البدوية الصغيرة اليوم، في هذا الزمان؟** نسأل الله السلامة.

لا تغترَّ ولا تحفل بقول بعض البطالين؛ الذين لا يريدون أن يتعلموا العلم أصلا، فقالوا: **(تعلم النحو؛ أوله شغل، سيشغلك، وآخره بغي على الآخرين)**، أن تأتي بأمثلة معينة، مثل ضرب زيدٌ عمرا، هذه بغي، كيف يضربه، وما هو ذنب زيد، **لماذا** ضربه؟ **ما هذه** الجريمة التي اقترفها؟ **وهذا** بشر الحافي من أصحاب الزهد، رحمه الله تعالى لما قيل له: **(تعلم النحو)**، قال: **(أضل)**، قال: **(قل ضرب زيد عمراً)**، قال

بشر: (**يا أخي! لم ضربه؟**) قال: (**يا أبا نصر! ما ضربه، وإنما هذا أصلٌ وضع، هكذا متعارف عليه**)، قال بشر: (**هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه**)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنها الإجهاض الفكري، الإجهاض؛ معروف أنه أن تنزِّل المرأة الحامل، **أو الدابة الحامل** تنزِّل ما في بطنها قبل الأوان، **وهذا أنزل** ما في فكره قبل الأوان، **إجهاضٌ** فكري، **بإخراج** الفكرة قبل نضوجها، **وهذا** واقعٌ في الشباب، **وأكثرُ** الشباب اليوم إذا نشأت فكرة هنا في رأسه أخرجها، **فكانت** النتيجة الإجهاض.

واحذر الإسرائيليات الجديدة، ما هي الاسرائيليات القديمة أصلا؟ ما نسب إلى بني إسرائيل، أخذ من التوراة والإنجيل وشروحاتها وما شابه ذلك، **هذه** إسرائيليات قديمة، **هذه** العلماء وقفوا وبينوها، **وربما** كتبوا عنها كتب خاصة مؤلفة اسمها (**الإسرائيليات**)، كلما رأى شيئا منها؛ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لم يقله، **وإنما** يقول عنها أنها إسرائيليات.

والسبب في انتشارها أنّ رجلا وضّاعًا كذابًا نسب هذا القول من الإسرائيليات إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يروجَ بين الناس، **وهو** في الحقيقة من الإسرائيليات.

ماذا يقصد المؤلف رحمه بالإسرائيليات الجديدة؟ قال: هي الأفكار المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورية الحضارية، **واتصال** العالم بعضه ببعض، **كثرت** وسائل الاتصال وصار العالم كما قالوا قديما: (**قرية صغيرة**)، الآن صغَّروها عن القرية؛ (**كأنها بيت صغير**)؛ لأنك في بيتك تذهب إلى جميع العالم، **وترى** وتشاهد وتكلم من تشاء، **فلابد** من كبح المدّ الإسلامي**!!**

كيف يكبحون المد الإسلاميّ؟ بالإسرائيليات الجديدة، والإسرائيليات الجديدة التي ظهرت بمثل هذه الأمور شرٌّ محض، وبلاءٌ متدفق، **وقد** أخذت بعض المسلمين عنها سنة، **في** غفلة من المسلمين الآن، وإما خفض الجناح لها جماعة آخرون، فاحذر أن تقع فيها، وقى الله المسلمين شرها.

ونأتي الآن إلى الكلام عن (**الجدل البيزنطي**)، وما أكثره في هذه الأيام، قال المؤلف رحمه الله:

[احذر الجدل البيزنطي

أي الجدل العقيم، أو الضئيل، **فقد** كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة، **والعدوُّ** على أبواب بلدتهم حتى داهمهم، **وهكذا** الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

وهديُ السلف رحمهم الله: الكفُّ عن كثرة الخصام والجدال، **وأنّ** التوسُّع فيه من قلّةِ الورع؛ **كما** قال الحسن إذ سمع قوماً يتجادلون: **هؤلاء** ملُّوا العبادة، **وخفَّ** عليهم القول، **وقلّ** ورعُهم، فتكلموا. رواه أحمد الزهد، وأبو نعيم في الحلية.

لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها

أهل الإسلام ليس لهم سِمَةٌ سوى الإسلام والسلام، **فيا طالب العلم!** بارك الله فيك وفي علمك؛ **اطلب** العلم، **واطلب** العمل، **وادع** إلى الله تعالى على طريقة السلف.

ولا تكن خراجاً ولاجاً في الجماعات، **فتخرج** من السعة إلى القوالب الضيقة، **فالإسلام** كله لك جادة ومنهجاً، **والمسلمون** جميعهم هم الجماعة، **وإن** يد الله مع الجماعة، **فلا** طائفية ولا حزبية في الإسلام.

وأعيذك بالله أن تتصدع، **فتكون** نهاباً بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، **تعقد** سلطان الولاء والبراء عليها، **فكن** طالب علم على الجادة؛ **تقفو** الأثر، **وتتبع** السنن، **تدعو** إلى الله على بصيرة، **عارفاً** لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، **فكم** أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، **وغشيت** المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر رحمك الله أحزاباً **وطوائف** طاف طائفها، **ونجم** بالشر ناجمها، **فما هي إلا كالميازيب**؛ تجمع الماء كدراً، **وتفرقه** هدراً؛ **إلا** من رحمه ربك، **فصار** على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند علامة أهل العبودية: **العلامة الثانية**: قوله: ولم ينسبوا إلى اسم؛ أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، **فيعرفون** به دون غيره من الأعمال؛ **فإن** هذا آفة في العبودية، **وهي** عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة؛ فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها؛ **فإنه** مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ **ولا يتقيد** برسم ولا إشارة، **ولا اسم** ولا بزي، **ولا طريق** وضعي اصطلاحي، **بل إن سئل عن شيخه**؟ قال: **الرسول**، وعن طريقه؟ قال: **الاتباع**، وعن خرقته؟ قال: **لباس التقوى**، وعن مذهبه؟ قال: **تحكيم السنة**، وعن مقصده ومطلبه؟ قال: **{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**، وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ}**. وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: **مالك ولها؟** معها حذاؤها وسقاؤها، **ترد** الماء، **وترعى** الشجر، **حتى** تلقى ربها.

واحسرتاه تقضي العمر وانصرمت ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال: قوله: "**أولئك ذخائر الله حيث كانوا**"؛ ذخائر الملك: **ما** يخبأ عنده، **ويذخره** لمهماته، **ولا** يبذله لكل أحد؛ **وكذلك** ذخيرة الرجل: ما يذخره لحوائجه ومهماته.

وهؤلاء؛ لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، **غير** مشار إليهم، **ولا** متميزين برسم دون الناس، **ولا** منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي؛ كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة.

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات؛ فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، **ولزوم** الطرق الاصلاحية، **والأوضاع** المتداولة الحادثة، **هذه** هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله، **وهم** لا يشعرون.

والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، **والسير** إلى الله، وهم إلا الواحد بعد الواحد المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود.

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس فيه غيره، أو مشية لا يمشى غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، **وإن** كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، **مصدودون** عنه قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، **فأضحوا** عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة، وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق، **فإذا** ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ عد ذلك فضولاً وشراً، **وإذا** رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم، وعدوه غيراً عليهم، **فهؤلاء** أبعد الناس عن الله، **وإن** كانوا أكثر إشارة، والله أعلم].

التوضيح:

أما الجدل البيزنطي، جدل عقيم لا طائل من ورائه، **منسوب** إلى البيزنطيين الذين كانوا يتحاورون في جنس الملائكة، **أمن** تراب أو هواء، أو ماء، من أي جنس هم؟ **وكان العدوُّ** على أبوابهم، ولم يستعدوا لذلك فهم منشغلون بمثل هذه الأمور والمجادلات، **حتى** داهمهم العدو، **وأخذ** بلادهم، **وهذا** يشبه حالنا اليوم من الحركات والفصائل، **فيما بينهم** يتجادلون ويتشاتمون، **والعدو** بين الحين والحين يغير عليهم، **نسأل** الله السلامة، **فالجدل الضئيل** يصد عن السبيل.

أما هدي السلف؛ فمن هديهم أن يجتنبوا مثل هذه الأمور من كثرة الجدال والخصام، **وأن التوسع** في هذا الأمر فيه قلة للورع؛ كما قال الحسن البصري رحمه الله عندما سمع أناسا يتجادلون: **(هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول)**، لابد يريد أن يعبد الله، لكن كلام كثير كثير، وقل ورعهم، فتكلموا.

ويقول الشيخ المؤلف رحمه الله: **لا طائفية ولا حزبية** يعقد الولاء والبراء عليها، **فالولاء والبراء** على الإيمان بالله ورسله، **والولاء والبراء** على دين الإسلام، أما أشخاص وطوائف وحركات وأحزاب، **عقد الولاء والبراء** عليها هذا مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، **وهدي السلف** الصالح من الصحابة والتابعين، **والدليل على ذلك**؛ أن أهل الإسلام ليس لهم علامة تميِّزُهم فيما بينهم، **علامتهم** واحدة، **تميزهم** عن الكفار، **هم** مسلمون، **بإسلامهم** وتوحيدهم وإيمانهم.

فلذلك على طالب العلم أن يطلب العلم والعمل، **وأن** يدعوَ الله عز وجل على طريقة من سلف.

فينصحنا جميعا خصوصا الطلبة والشباب؛ **أن** لا نكون خَرَّاجين ولاَّجين؛ **مرة** مع حزب فلان، **ومرة** مع حركة فلان، **مرة** مع الفصيل الفلاني، **ومرة** مع كذا، **وهكذا** يكون خرَّاجًا ولاَّجًا.

فإذا صار الإنسان هكذا خرج من السعة؛ **سعة الإسلام** إلى ضيق الحزب أو الحركة أو الفصيل، هو لا يأخذ الإسلام إلاّ من هذه الناحية، **مسكين هذا! لماذا** لا يبقى في دائرة الإسلام العامة الواسعة، كما بين الشيخ رحمه الله؟!

فالإسلام كله لك جادةٌ وطريقٌ واضح ومنهج، **والمسلمون** جميعهم هم الجماعة، من مشرق الأرض إلى مغربها، إلى مغرب الأرض الذي يلتقي بالمشرق من الناحية الأخرى، كل من قال: **(لا إله إلا الله، وشهد أن محمدا رسول الله)**، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، **وجاء** بأركان الإسلام، **فهو منا** ونحن منه، على تفاوت في الأعمال الصالحات، **أو وقوع** في المحرمات أو المكروهات، **مهما** كان هذا، لا يمنع أن يكون مسلما، في مشارق الأرض ومغاربها، **وإنّ** يدَ الله مع الجماعة، **فلا** طائفية ولا حزبية في الإسلام.

أعيذك بالله أن تتصدّع وتتشتَّت، **فتكونَ نهَّاباً**؛ كلمةُ نهَّابا صيغة مبالغة، **فهذا** معناه أنك أنت تَنهبُ، **أما نهَّابًا** فقصد المؤلف أنك منهوبٌ، **يعني تنهبك** الفرقُ والطوائف، **والمذاهب** الباطلة والأحزاب الغالية، **وهي** التي عندها غُلوٌّ، **تعقدُ** سلطانَ الولاءِ والبراء، **الذي** جعلَ كلَّ دينِه واقفا على الولاء والبراء لغير الله، **ولغير** رسوله أو دين الإسلام، **هذا** يعتبر من الفرق والطوائف والمذاهب والأحزاب.

فكن طالبَ علمٍ على الجادَّة، فكيف أكون كذلك؟

قال: **تقفو** الأثر، **أثرَ** الصحابة والتابعين، **ومن** اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، **وأن** تتبع السنن، **وتدعوَ** إلى الله على بصيرة، **وعليك** أن تعرف لأهلِ الفضل سابقتهم وفضلَهم، **لا تنكر** ذلك يا عبد الله! **وإلا** إذا كان في طلبك للعلم خللٌ.

الحزبية ذات المسارات، **وصاحبة** القوالب المستحدثة الجديدة لم يعرفها السلف، **لم يعرفها** أبو بكر **ولا** عثمان ولا علي، **ولا** سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، **لم يعرفها** التابعون، **ولم يعرفها** الأوزاعي ولا الثوري، والسفيانان؛ ابن عيينة والثوري، **ولم يعرفها** أصحاب الكتب الستة، **والمذاهبِ** الأربعة وغيرهم، **لم يعرفوا** مثل هذه الأمور التي فيها مساراتٌ معينة، **ومناهجُ** معينة، لم يعرفْوها.

هؤلاء جاؤوا بشيء جديد، **وكذلك** القوالب لم يعهدها السلف، **فهذه** من أعظم العوائق عن العلم، **وتفرُّقٍ** عن الجماعة، **وكم أوهنت** من حبل اتحاد المسلمين ووحدتهم مع بعضهم، **هذه كالأسافين** التي تُدقُّ وتجعل المسلمين عدَّةَ أحزاب، **وعدة** جماعات، وعدة فرق، **والإسفين** هو عبارة عن حديدة مدببة تفلق الخشب والحطب إلى نصفين.

فالآن المسلمون لم ينفلقوا نصفين، **ويا ليت** كلَّ واحدٍ منهم يحبُّ أخاه، أو يعتذر له! أبدا، **بل** ربما يعامل الكافرَ أحسن من معاملة أخيه، **كما** جاء بعض الناس إلى بعض المناطق، **وذبحوا** بأنفسهم، **فسئلوا** لماذا؟ قالوا: **لأن ذبح** الناس حرام، **والجزار** وغيره كفار، **فنحن** نذبح بأنفسنا، **ما يعتبرون** من حولهم مسلم، **وبالفعل** ذبحوا لكن -كما أُخبِرْتُ- أن ما ذبحوه أنتن بعد ساعات، **وتغيّرَ** لونه، **وانبعثت** منه رائحةٌ كريهة، **نسأل** الله السلامة، **فلا داعي** لأن نعتقد اعتقادات أمثال هؤلاء: تكفير المسلمين.

فاحذر -رحمك الله أيها الطالب- أحزاباً وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، انتشرت في البلاد، ما أحدَ ينكرها أنها موجودة، **فما هي إلا كالميازيب**؛ والميازيب يقال: عنها بالعامية **(المزاريب)**، تجمع الماء كدراً، وتفرقه هدراً؛ **لا يستفاد** منه، وهو أصلا معطل عن النقاء والصفاء، إلا من رحمه ربك، **ومن الذي رحمه الله؟!** الذي صار على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابُه رضي الله تعالى عنهم.

يقول ابن القيم في العلامة الثانية من علامات أهل العبودية: [قوله: **(ولم ينسبوا إلى اسم)** أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق]. ([1])

فلم ينسبوا إلى اسم من الأسماء المبتدعة، **الاسم فقط**: إسلام ومسلمين، **أما التسمي** بأسماء أخرى، فلا! **وما أكثرها** في هذا الزمان، **والأسماء مجَّانية** لا تكلِّف أموالا، **ولو أنهم** يدفعون عليها أموالا لوجدت الناس يتقاعسون عنها، **كلّ يوم** نسمع حزب جديد، **وفرقة** جديدة، **وطائفة** جديدة، **وفصيل** جديد، **وجماعة** جديدة، **واسم** جديد، **وصفة** جديدة، **فنسأل** الله السلامة.

قال: **ولم يشتهروا** باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق، **يعني** إذا سمعت الاسم الفلاني تعرف كلّ المكونات من ورائه، **الفرقة الفلانية** كل المكونات والصفات هذا الاسم دل عليها.

[**وأيضا**، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، **فيعرفون** به دون غيره من الأعمال. **فإن** هذا آفة في العبودية، **وهي** عبودية مقيدة].

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا –أي السلف الصالح– بعمل واحد يجري عليهم اسمه، **بل** أعمالهم كثيرة، **فكلُّ** أعمال الإسلام يحاول الإنسان منهك قدر ما يستطيع يأخذ منها، **قال**: فيُعرَفون به دون غيره من الأعمال؛ **فإن** هذا أو هذه آفة في العبودية، **وهي** عبودية مقيدة، **يعني** الإنسان لا يعرف الصيام، ولا الحج ولا العمرة، **ويعرف** الصلاة فقط، غيرُها ما يعرف، **وآخر** ما يعرف الصلاة، **يعرف** الصيام فقط، **وآخر** لا صلاة ولا صيام، **لكن الحج** دائما يذهب يحج، **إلا** إذا منع، **لا يا أخي** نوّعْ كما نوع الله لك وعدد سبحانه وتعالى من النعم، **نعم** العبودية والعبادة، **وأكثِر** مما استطعت منه، **لكن** لا تختصر منه، **فتنحصر** في نوع واحد من العبادة.

([1]) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٦٥)

[وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، **فإنه مجيب** لداعيها على اختلاف أنواعها، **فله** مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، **فلا** يتقيد برسم ولا إشارة، **ولا** اسم **ولا** بزي، **ولا** طريق وضعي اصطلاحي].

فمع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ **لكن** لا يتقيد برسم ولا إشارة، **ولا** اسم **ولا** زي معين، **لكن** انظر إلى المسلمين اليوم أزياء معينة حسب القوميات، **فلبس** المصريين غير لبس الباكستانين، يختلف عن لبس أهل المغرب وموريتانيا، **فاللباس** لا يميز.

وإلا لو جاء الدين باللباس لفرض على الجميع أن يلبسوا لباسا معينا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر "**البس ما شئت، وكل ما شئت من غير إسراف ولا مخيلة**". ([1])، دون يكون هناك اختيال، **ودون** أن يكون هناك إسراف في الأمر، **فلم** يفرض علينا طعاما معينا، **كذلك** لم يفرض علينا لباسا معينا.

ولذلك أنصح في بلدنا بلباس قومنا؛ الفلسطينيين، الموجودين هنا، **فاللباس** هذا لا تدقِّق عليه كثيرا، ما شئت، **لكن** لا تجعل هذه الكلمة **(ما شئت)** مطاطة تبيح لك أن تقتدي ببعض الناس الذين تظن أن أصحاب هذا الزي الذين هم على الحق فقط، **كاللباس** الباكستاني، **فغالب الشباب** يظن أنه لباس السنة الذي لا ينبغي غيره!!.

[بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول].

وهنا إن سئل عن شيخه؟ ما في اصطلاح معين، شيخنا جميعا بل هو إمامنا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نبينا ورسولنا، **وقدوتنا** نرجع الأمور كلّها إليه، **عن** طريق علمائنا ومشايخنا.

([1]) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **(كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خُلَّتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ)**. (ش) (٢٥٣٧٥)، انظر المشكاة (٤٣٨٠)، هداية الرواة (٤٣٠٦).

وثبت مرفوعاَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **("كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا، وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ)**. (حم) (٦٦٩٥)، (س) (٢٥٥٩)، (جة) (٣٦٠٥)، صحيح الجامع (٤٥٠٥) صحيح الترغيب (٢١٤٥)، هداية الرواة (٤٣٠٧).

[**وعن طريقه**؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى].

الطريق والمنهج والشرعة؛ لأنّ بعض الناس يسأل ما هي طريقتك؟ نقشبندية أو شاذلية أو نهاوندية، ([1]) الطريقة الاتباع، **وعند الطرق** الصوفية يلبسونه الخرقة، **وأهل الحديث** يعطونك الإجازة، قد أجزتك في كذا وكذا من المرويات والكتب، **أجزتك** برواية كتبي، **وهناك** الخرقة، **فإذا** سألت عنها، فقل: لباسُ التقوى ذلك خير.

[**وعن مذهبه**؟ قال: تحكيم السنة].

إذا سئلت: **ما مذهبك؟** فقل: تحكيم السنة، مذهبنا مذهب السنة، سنة النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كنت شافعيا أو حنبليا أو حنفيا، فكلهم أخذوا من السنة.

أنت لست كُلَينيًّا، **فالكُليني** للشيعة، لا! أنت سني، **تأخذ** عن مذهب أهل السنة.

[**وعن مقصوده ومطلبه**؟ قال: **{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**. (الأنعام: ٥٢)].

ماذا تريد من أهل الدنيا وما مطلبك؟ يقول: وجه الله، **{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**.

[**وعن رباطه وعن خانكاه**؟ قال: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ}**. (النور: ٣٦)].

وعن رباطه وخانكاه؛ وهي تشبه الرباط، وتكون على الحدود، ويجلسون فيها وينقطعون للعبادة، رباط المسلم أين؟ {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ}، هذا هو الأصل، **"فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"** ثَلَاثًا. ([2]) أي وكررها ثلاث مرات.

[**وعن نسبه**؟ قال:

([1]) (البدء والتاريخ) للمطهر بن طاهر المقدسي، (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) (٦/ ٩٣).

([2]) (ت) (٥٢)، (س) (١٤٣).

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم]

وإن سألت عن النسب؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم

عندما راجعت هذا البيت وجدته لرجل من الخوارج يقال له: عيسى بن عاتك الخطّي، ([1]) وعاتك هذه أمه، هو عيسى بن حدير أحد بني وديعة بن مالك بن تيم الله، بن ثعبة بن عكابة، وهو أحد شعراء الخوارج، **لا يؤمن** بعلي رضي الله عنه ولا من معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، **فقط** الإسلام، **ويبتعد** عن جميع الأصول، **ويأخذ** من الكتاب والسنة مباشرة، **حتى** السنة ضعيفة حجة عنده، فيقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا ببكر أو تميمِ

كلا الحيين ينصر مدعيه *** ليلحقه بذي الحسب الصميمِ

وما حسب ولو كرمت عروق *** ولكن التقي هو الكريم

هذا من أقواله في معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة.

([1]) بينما في (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) (٧/ ٤١٧)، قال الشنقيطي: [وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ]. وكذا نسبه لسلمان (تفسير حقي)، ومثلهم في (البصائر والذخائر) أبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، (٨/ ٢٠٧)، بينما نسبه في (الكامل) للمبرد (٢/ ١٥٣) لنهار بن توسعة بن أبى عتبان، البشكريّ، وكذا في (الحلل في شرح أبيات الجمل) للبطليوسي. و (الشعر والشعراء) لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، (١/ ٥٢٨).

وفي (الحماسة البصرية) لعلي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (المتوفى: ٦٥٩هـ) (٢/ ٥١) قَالَ قراد بن أقرم الفزارى أموى الشّعْر:

(أَبى الْإِسْلَام لَا أَب لى سواهُ ... إِذا هتفوا ببكر أَو تَمِيم)

[وعن مأكله ومشربه؟ قال: "**ما لك ولها**؟ معها حذاؤها **وسقاؤها** ترد الماء **وترعى** الشجر، **حتى** تلقى ربها"].

إذا سئل هذا الإنسان عن مأكله ومشربه؟ قال: **مالك ولها**؟ هذا طرف من حديث النبي عن اللقطة عن الإبل والناقة، **إذا** ضاع وأنت وجدته، قال: **مالك ولها**، معها حذاؤها وسقاؤها، **الخف معها فيمكنها** من أن تدافع عن نفسها، وسقاؤها إذا شربت الماء يوما ممكن أن تصبر أياما، ترد الماء، **وترعى** الشجر، **حتى** الشجر المرتفع تستطيع أن تصله، **أما الغنم** وغيره فلا، دعها واتركها حتى تلقى ربها، صاحبها. (1)

واحسرتاه تقضى العمر وانصرمت *** ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد *** ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

واحسرتاه تقضى العمر وانصرمت، **أي تقطعت** وذهبت ساعاته بين ذل العجز والكسل، **وهذه** هي أحوال الناس اليوم، **نسأل** الله السلامة، **والقوم** قد أخذوا درب النجاة، **قوم** سلف الصالح، من سبقك، من مات، **وصار** على الهدي الصحيح، **ومن** بقي حيا وهو مجتهد ومجد، **هؤلاء** هم القوم الذين أخذوا درب النجاة، **وقد ساروا** إلى المطلب الأعلى على مهل، على راحتهم، **يقطعون** مسافات والكسلان يبقى جالسا، كالسلحفاة والأرنب.

قال ابن القيم: (**أولئك ذخائر الله حيث كانوا**)؛ الذخائر وذخيرة الملك هي ما يخبأ عنده، **ويذخره** لمهماته، ولا يبذله لكل أحد؛ **يبقيه** في الخزينة عنده، ووقت الحاجة يخرجه.

---

(1) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: «**اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ**» قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «**وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا**»، قَالَ: فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «**لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ**». (خ) (٩١).

هؤلاء القوم لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، **ما أحد** يعرفهم، إذ هم كالذخائر المخزونة، فلا يتميزون **برسم** دون الناس، **كصفات معينة** مما تشعر الناس بشيء معين نحوهم، **يخالفون** فيه المسلمين، **كذلك** لا ينتسبون إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي؛ **كانوا** بمنزلة الذخائر **والكنوز** المخبوءة.

هؤلاء أبعد الخلق عن الآفات؛ فإن الآفاتِ كلَّها تحت الرسوم؛ **يعني** يتمسك بهذه الظواهر ويتقيد بها، **ويلتزم** الطرق الاصطلاحية الموجودة في هذا الزمان، **ويلتزم** التزاما بالأوضاع المتداولة والمبتدعة الحادثة، **هذه** هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله عز وجل، وهم لا يشعرون.

فأهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، **أول الناس** الصالحون المعروفون بالطلب والإرادة، **والسير** إلى الله عز وجل، **وهم** إلا الواحد بعد الواحد المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود، **هم** إشارة إلى المتقاعدين والمتخاذلين والمتكاسلين والذين يهتمون بالزي والرسوم وما شابه ذلك.

لما سئل بعض الأئمة عن السنة؟ قال: هي السنة، قالوا لإنسان: **نريد منك أن تعرّف لنا الماء**، فغاب مدة من الزمن، وجاء بعد ما بحث، فقيل له: **عرَّفت الماء؟** قال: **نعم!** قال: ما هو؟ قال: (**الماء هو الماء**)، فكانت الحكمة الدارجة: وعرف الماء بعد الجهد بالماء. (١)

فما هي السنة؟ هي السنة، لا تحتاج إلى تعريف، **أما جماعة** كذا وحزب كذا وفصيل كذا وفرقة كذا،

إذا سئلت: ما هي الجهمية؟ أنت ما تعرف، **تحتاج** إلى تفصيل وبيان وتوضيح وشرح، وإتيان بأدلة.. **فالناس** منهم من يتقيد بلباس غيره، يحبُّ التقليد، **فالعربي** يقلد غير العرب في لباسهم.

---

(١) جاء في (أعيان العصر وأعوان النصر)، للصفدي (١/ ٣٦٦)، في ترجمة (أحمد بن محمد شهاب الدين المعروف بالحاجبي) –بحاء مهملة، وبعد الألف جيمٌ وباءٌ موحّدة– قوله:

أَقُول شبّه لنا جيد الرّشا ترفاً ... يَا معمل الْفِكر فِي نظمٍ وإنشاء

فظلّ يجْهد أَيَّامًا قريحتَه ... وشبّه المَاء بعد الْجهد بِالْمَاءِ

أو يقلد غيره بالجلوس في مكان لا يجلس فيه غيره، **أو مشية** لا يمشى غيرها، **كذلك** يتزيًّا بزي أو هيئة لا يغيِّرُها، **أو يتعبَّد** بعبادة لا ينتقل إلى غيرها، **وإن كانت** أعلى منها، **وإن كانت** أكبر، **وتأتيه** بأجر أكبر، وهو قادر على أن يأتي بها، **ويقول:** يكفيني أن أبقى هنا.

أو يذهب إلى شيخ معيّن لا يذهب إلى غيره، **ولا يلتفت** إلى غيره، **وإن** كان الشيخ الآخر أقرب إلى الله وإلى رسوله من شيخه الأوّل.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر **بالهدف** الأسمى، **والمطلوب** الأعلى، **وقد** صدتهم وقيدتهم العوائد المنتشرة، **والرسوم** المشتهرة، **كذلك** قيدتهم وصدتهم ووقفت حاجبا عن العلو والسمو، **الأوضاع** والاصطلاحات التي اعتادوها عن تجريد المتابعة وإخلاصها، **فالإنسان** يجرد المتابعة لله ورسوله، **ولكتاب** الله **ولسنة** رسوله صلى الله عليه وسلم.

لكنَّ الناس اليوم جعلوا حُجُبًا أخرى وحواجز شتى! **فما هي؟**

منها: أقوال العلماء، الذين يعتقدون فيهم العصمة.

أو أقوالٌ مبتدعةٌ صدرت ممن لهم في الصدور احترام وتوقير.

أو خزعبلات مخترعة، سار عليها شيخ أو داع مرموق.

أو الهوى أو الرأي.

فإن كان هذا العالم وذاك الشيخ والداعي يستفاد منه **وأنه** يوصلك إلى **مراد** الله **ومراد** رسوله صلى الله عليه وسلم، كان بها، **ولتتمسك** به.

لكن يتبعه ليوصلَه ذلك إلى هدفه، **وإلى** رأيه وهواه، **كان** ذلك فضولا وشرًّا.

لذلك هؤلاء الناس إذا جعل أحدهم الموالاة في الله، **والمعاداةَ** في الله، **وكان** عنده الأمرُ بالمعروف **والنهي** عن المنكر؛ **عُدَّ** ذلك عندهم فضولاً وشراً.

وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم، **وعدُّوه** غيراً عليهم أي إنسانا آخر، **فهؤلاء** أبعد الناس عن الله، **وإن** كانوا أكثر إشارة، **والكلُّ** يشير إليهم.

ذهب بعضهم ليصليَ عند أولئك القوم الطرقية، **الذين** يجلسون بعد صلاة المغرب مع بعضهم، **يقرأون** سورة الواقعة على نفس واحد، **كلُّهم** جميعا في آن واحد، **حتى** لو عطس الإنسان منهم أو كَحَّ لا يعيدُ بل يكمل معهم، **ويترك** كلمة أو آية أو أكثر، **فالظاهر** أنهم قدَّموه حتى يصليَ بهم، **فقرأ** بتمهُّل الفاتحة وسورة بعدها، **وبدأوا** بالتنحنح من خلفه، إعلاما له بأنه أطال الصلاة.

وبعد الصلاة قالوا له: أطلت علينا يا شيخ، **قال:** ثم جلست معهم، **فبدءوا** يقرءون سورة الواقعة، **وأطالوا** فيها أكثر من وقت الصلاة، **قال لهم**: الصلاة فرضٌ **ولابد** أن نتمهّلَ فيها، **فكيف** نطيل في هذه **وهي** ليست بفرض ولا سنة، **فنظروا** إليه نظرات غريبة، **أي** أنهم لا يريدونه أن يجلس معهم؛ **لأنه** يأتي بكلام غريب لا يوجد عندهم.

قال المؤلف رحمه الله:

[نواقض هذه الحلية

يا أخي! وقانا الله وإياكم العثرات، **إن** كنت قرأت مثلاً من حلية طالب العلم وآدابه، **وعلمت** بعضاً من نواقضها، **فاعلم** أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

١- إفشاء السر.

٢- ونقل الكلام من قوم إلى آخرين.

٣- والصلف واللسانة.

٤- وكثرة المزاح.

٥- والدخول في حديث بين اثنين.

٦- والحقد.

٧- والحسد.

٨- وسوء الظن.

٩- ومجالسة المبتدعة.

١٠- ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثامَ وأخواتها، **واقصُر** خطاك عن جميع المحرمات، **فإن** فعلت وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيف، لعاب، مغتاب، نمام، **فأنا** لك أن تكون طالب علم يشار إليك بالبنان منعماً بالعلم والعمل.

سدد الله الخطى، **ومنح** الجميع التقوى، **وحسن** العاقبة في الآخرة والأولى.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم].

التوضيح:

نواقض هذه الحلية، فقد تكلم المؤلف رحمه الله تعالى عن المحظورات، **التي** يجب على طالب العلم أن يحذرها، **وختمها** باختصار بنواقض هذه الحلية، **يعني** إنسان تحلَّى بما ورد في الأصول الستة، **ثم** ما الذي يفسدها وينقضها؟

مثلا؛ إنسان توضأ وضوءا كاملا، فلو جاء بمبطل واحد بطل وضوءه.

أقول: اغتسل غسلا كاملا، **وهو** طاهر جاهز للصلاة، **شيء** واحد لو فعله بطل غسله، **كإخراج** المني مثلا، **وهناك** إخراج الريح، **شيء** واحد يبطل العبادة.

وهذا الذي أريد أن أقوله؛ تعب الطالب في التحلي بالحلية، **ثم نقضها** بناقض من نواقضها، **كأنه** لم يتحلَّ بشيء، **نسأل** الله السلامة.

والمؤلف رحمه الله؛ يدعوك ويتحنن إليك، ويتقرب منك: **(يا طالب العلم)**، ويتحنن فيقول لك الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله: **(يا أخي!)** ويدعو هذا الدعاء الطيب: **(وقانا الله وإياكم العثرات)**،

هي جمع عثرة، **هناك** عثرة القدم، **وعثرة** اللسان، **وعثرة** القلم، **فعثرة** اللسان والقلم أشدُّ من عثرة القدم، **عثرة الأقدام** تبرأ بعد أيام، **أما عثرة** الألسنة والأقلام، **لا تبرأ** على مرّ الشهور والأعوام.

فإن كنت قرأت مثلاً من حلية طالب العلم وآدابه، **وتحليت** بها، **لكن** لابد أن تعلم من نواقضها حتى تحذرها، **وتبتعدَ** عنها، **فاعلم** أن من أعظم خوارمها والمفسدة لنظام عقدها:

١) **إفشاء السر**؛ وهذا يحدث كثيرا، بين الطلبة بعضهم مع بعض، أحدهم يؤمِّن الآخر، ثم هذا يفشي سره، **هذا** مفسد وما هو بطالب علم، **إفشاء السر** ليس من شيم طلاب العلم ولا صفاتهم ولا سماتهم، **ائتمنك** على شيء، **هذا** عهد **وأمانة** عندك، **فلا** ينبغي أن يخرج من عندك.

٢) كذلك **نقل الكلام من قوم إلى آخرين**، وهذا ما أكثره في طلبة العلم اليوم، **وشبابِ** هذا الزمان، **يجلس** عند أناس يتنصّت عليهم، **ويذهب** بالكلام إلى أناس آخرين، نمَّام ينقل.

وبعضهم يسجل بآلة ما يدور بين دعاة وعلماء، وينقلها بينهم. **أقول مثالا على ذلك:**

أناس في رفح، **وأناس** في بيت حانون، **جلس** النّمّام عند هؤلاء، **ثم** جلس عند هؤلاء، **والجوال** يسجِّل، **سجّل** ما تكلم هؤلاء في هؤلاء ودون إذن، **وصارت** فتنة عظيمة جدًّا، **ثم** اعترف بعد فوات الأوان، **وانتشار** الأمر، **وقال:** أنا مخطئ. **وهل الندم يطفئ نار الفتن؟!**

فلا تعرِّضَنّ نفسك لذلّ الاعتذار، **حاول** أن تجتنب ما يعتذر منه، **ليس** الاعتذار كلمة؛ أن إذا أخطأت تقول: **أخطأت،** ففي ذلك تعرض لذل الاعتذار، **ولكن العاقل** لا يأتي بسبب الاعتذار، للحديث: "... **وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ**". (١)

٣) **(والصلف واللسانة)**، وهذه في طلبة العلم منها كثير، الصلف والرياء، وفي كتاب اسمه (**الألفاظ المختلفة**) (١) يقول: (**الصلف الزهو والكبر، والتيه والتطاول، والبذخ والشموخ**)، هذا لا يكون طالب

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلاتِكَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ**"، =جدير وخليق= "**أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ**". أخرجه الديلمي (١/ ٤٣١، رقم ١٧٥٥) انظر صَحِيح الْجَامِع (٨٤٩)، الصَّحِيحَة (٢٨٣٩).

علم، **ما دام طالب** يأتي بهذه الصفة فلن يكون ما بعدها عالم. **وكذلك** (الصلف أيضا؛ النخوة، والصلف والعجب والبغي والخيلاء، والتجبر والابهة والاختيال، والاستطالة والتغطرس والكبرياء، والجبرية والطيش والعنجهية).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"**).

-قال الترمذي: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: **"لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"**. إِنَّمَا مَعْنَاهُ: لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، **وَهَكَذَا** رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"**. وَقَدْ فَسَّرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ التَّابِعِينَ هَذِهِ الْآيَةَ: **{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلْ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}**؛ فَقَالَ: مَنْ تُخَلِّدُ فِي النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ. ([٢])-

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: (**يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ قُسِمَ لِي مِنْ الْجَمَالِ مَا تَرَى، وَإِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنَةً، أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟!**)

قَالَ: (**"لَا! إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْكِبْرِ، إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ؛ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"**). ([٣])

-(**بَطَرُ الْحَقِّ**): دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا. ([٤])، (**غَمْطُ النَّاسِ**): اِحْتِقَارُهمْ.-

واللَّسانة وهي تسليط اللسان بالكلام الذي فيه خروجٌ عن الأدب أو فحشٌ في الكلام، أو ما شابه ذلك.

([١]) (الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة)، للإمام العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطيائي الجياني.

([٢]) (ت) (١٩٩٩).

([٣]) الحديث بزوائده: (م) (١٤٧، ١٤٨)- (٩١)، (ت) (١٩٩٩)، (د) (٤٠٩١)، (٤٠٩٢)، (جة) (٥٩)، (حم) (٣٦٤٤)، (٣٩١٣)، (١٧٢٤٦)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

([٤]) النووي (١/ ١٩٤).

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي؛ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**". ([1])

٤) كذلك **كثرة المزاح**، فإنها تسقط الهيبة، أما قلَّةُ المزاح فجائزة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: (**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا**)، قَالَ: ("**إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**"). ([2])

قَالَ أَبُو عِيسَى: مَعْنَى قَوْلِهِ: **إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا**: إِنَّمَا يَعْنُونَ: إِنَّكَ تُمَازِحُنَا.

تجلس مع واحد ما يضحك أبدا، ما يمزح أبدا، **مشكلة**، كما وصف بعضهم عبر الإذاعات الفضائية بعض السلفيين؛ **بأنهم** ما يضحكون حتى لزوجاتهم!

لابد من إدخال السرور والمزاح، **فلا** يكون الإنسان صلبا، **فأنت** إنسان بشر، **تحتاج** إلى شيء من هذا الأمر، **من** ترويح القلب **وإن** كان الأمر عسيرا على الناس.

لكن كثرة المزاح الذي يجلب كثرة الضحك، **حذر** منه صلى الله عليه وسلم فقال: ("**وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**"). ([3])

-إذا كانت كثرة الضحك تميت القلب، فإن كثرة الخوف والبكاء من خشية الله تحيي القلب. ع-

٥) كذلك **لا تدخل في حديث بين اثنين**، جالسين يتحدثان مع بعضهما لا تأتي وتدخل بينهما، وإلا تحمّل ما يأتيك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ("**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**"). ([4]) وفي رواية: ("**إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، قِلَّةَ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ**"). ([5])

([1]) (حم) (١٤٣)، (٣١٠)، (طب) (ج/ ١٨ ص: ٢٣٧)، ح(٥٩٣)، صَحِيح الْجَامِع (٢٣٩)، الصَّحِيحَة (٢٣٩).

([2]) (ت) (١٩٩٠)، (حم) (٨٤٦٢)، صحيح الجامع: (٢٥٠٩)، والصحيحة: (١٧٢٦).

([3]) (ت) (٢٣٠٥)، (جة) (٤٢١٧)، (حم) (٨٠٨١)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٤٥٨٠)، الصَّحِيحَة: (٩٣٠).

([4]) (ت) (٢٣١٧)، (جة) (٣٩٧٦)، (حم) (١٧٣٧)، (حب) (٢٢٩)، (المشكاة) (٤٨٣٩)، (الروض النضير) (٢٩٣) و (٣٢١).

([5]) (حم) (١٧٣٢).

والمثل يقول: (**من تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه**).

٦) كذلك **الحقد**، لماذا الحقد؟ **ويوجد** حقد شديد بين طلبة العلم، **والكلّ** يتوعّد الآخر، **على** ماذا يحدث كل هذا؟ **أين** التواضع والمحبة والألفة والمودة؟ **أين** هؤلاء من قوله صلى الله عليه وسلم: ("**وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**")؛ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ("**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**"). (١) المسلم أخو المسلم ولو اقتتلا، قال جل جلاله: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**. (الحجرات: ٩- ١١)

حتى لو صار اقتتال بين طائفتين **فكلهم** إخوة مؤمنين.

٧) **والحسد**، ما هو الحسد؟ تمني زوال النعمة عن الغير، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ**"). (٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**لَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا**") -أَيْ: لَا تَبْحَثُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَلَا تَتَّبِعُوهَا، قَالَ الله تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ يَعْقُوبَ عليه السلام: **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُف وَأَخِيهِ}**. (٣)-

---

(١) (م) ٣٢- (٢٥٦٤).

(٢) (حب) (٤٦٠٦) (س) (٣١٠٩)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٧٦٢٠)، صَحِيح التَّرْغِيبِ (٢٨٨٦).

(٣) (فتح الباري).

(**"وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا"**) –(**الْحَسَد**): تَمَنِّي الشَّخْص زَوَال النِّعْمَة عَنْ مُسْتَحِقٍّ لَهَا، فَإِنْ سَعَى فِي ذَلِكَ كَانَ بَاغِيًا. (1)–

(**"وَلَا تَنَافَسُوا"**)، -(**الْمُنَافَسَة وَالتَّنَافُس**): الرَّغْبَةُ فِي الشَّيْءِ، وَفِي الِانْفِرَاد بِهِ، وَنَافَسْتُه مُنَافَسَةً، إِذَا رَغِبْتُ فِيمَا رَغِب.

وَقِيلَ: مَعْنَى الْحَدِيث؛ التَّبَارِي فِي الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا وَحُظُوظِهَا. (2)–

(**"وَلَا تَقَاطَعُوا"**)، –القطيعة: الهِجران، والصَّد، وترك الإحسان.–

(**"وَلَا تَدَابَرُوا"**)، –قَالَ مَالِك: لَا أَحْسِبُ التَّدَابُرَ إِلَّا الْإِعْرَاضَ عن أَخِيكَ الْمُسْلِمِ، فَتُدْبِرَ عَنْهُ بِوَجْهِكَ. (3)–

(**"وَلَا تَنَاجَشُوا"**) –(النَّجْش) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُون الْجِيمِ: أَنْ يَزِيدَ فِي السِّلْعَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا، لِيَقَع غَيْرُهُ فِيهَا. (4)–

(**"وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ اللهُ"**). (5)

-**هذِهِ الْجُمْلَةُ** تُشْبِه التَّعْلِيلَ لِمَا تَقَدَّمَ، **كَأَنَّهُ قَالَ**: إِذَا تَرَكْتُمْ هَذِهِ الْمَنْهِيَّاتِ كُنْتُمْ إِخْوَانًا، وَمَفْهُومُهُ إِذَا لَمْ تَتْرُكُوهَا تَصِيرُوا أَعْدَاء، وَمَعْنَى (**كُونُوا إِخْوَانًا**): اِكْتَسِبُوا مَا تَصِيرُونَ بِهِ إِخْوَانًا مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُور الْمُقْتَضِيَة لِذَلِكَ؛ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا. (1)–

---

(1) (فتح الباري).

(2) النووي (8/ 357).

(3) (الموطأ): (1411).

(4) (فتح الباري).

(5) الحديث بزوائده: (خ) (4849)، (5717)، (5719)، (6345)، (م) 24- (2559)، 28، 30- (2563)، (ت) (1935)، (د) (4910)، (خد) (1287).

أما الحسد في الدين والعلم جائز، **كيف يكون ذلك؟** بأن تتمنى أن تكون مثل العالم الفلاني؛ لتعمل وتعلم الناس، أو تكون مثل الغني فلان لتنفق في سبيل الله سبحانه، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ("**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**"). (٢)

فحبّك أن تصبح كالشيخ فلان في العلم، أو كالصحابي فلان، **وهذه** صعبة، **سمع** أحد الناس العوام وهو صيدلي، **سمع** بعض الناس يدعو وهم على عرفة، **ويقول:** يا رب إيمان كإيمان أبي بكر، وكررها، **قال:** ما أطقت هذا الكلام، **وقلت له يا رجل:** أمستعد أنت لو روحت إلى بيتك أن تتبرع بكل مالك، وبكل ما تملك، ولا يبقى عندك شيء في بيتك؟ **قال:** كيف؟ فقال له: إيمان أبي بكر كان هكذا، **اتق الله** يا رجل، **لأنه** لا طاقة لك به.

٨) كذلك **سوء الظن**، وأنت تجد المحمل بحسن الظن بأخيك المسلم، أو للعالم، تجد محملا حسنا، تحسن فيه النية، هو ربما أخطأ في هذه، لكن نيته حسنة، وهو أخطأ في ظنك أنت، ربما هو مصيب، فلماذا تسيء الظن في أخيك المسلم؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَأْثُرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: («**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»). (٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ("**إِذَا حَسَدْتُمْ** (٤) **فَلَا تَبْغُوا** (٥) **وَإِذَا ظَنَنْتُمْ** (٦) **فَلَا تُحَقِّقُوا**"). (٧) -أَيْ: فلا تحققوا ذلك باتباع

(١) (فتح).

(٢) (خ) (١٤٠٩).

(٣) (خ) (٥١٤٣)، (٥١٤٤).

(٤) أَيْ: إذا تمنيتم زوالَ نعمةِ اللهِ على من أنعم عليه. فيض القدير (١/ ٤٢٤).

(٥) أَيْ: لا تعتدوا وتفعلوا بمقتضى التمنّي، فمَن خَطَر له ذلك، فليبادر إلى استكراهه، كما يكره ما طُبع عليه من حب المَنْهيَّات، نعم إن كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على المحرمات؛ فلا. فيض القدير (١/ ٤٢٤).

(٦) أَيْ: إذا ظننتم سوءا بمن ليس محلًّا لسوء الظن به.

(٧) الكامل لابن عدي (٤/ ٣١٥)، انظر الصَّحِيحَة: (٣٩٤٢).

موارده وتعملوا بمقتضاه، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}**. (الحجرات: ١٢)

ومَن أساء الظن بمَن ليس محلًّا لسوء الظن به، دلَّ على عدم استقامته في نفسه، كما قيل:

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظنونُه *** وصَدَّقَ ما يعتادُه من توهُّم

والظن أكذبُ الحديث، **أما من** هو محلٌّ لسوء الظن به، **فيُعامل** بمقتضى حاله كما يدل له الخبر: الحزم سوء الظن، **وخبر**: من حَسُنَ ظَنُّه بالناس، طالت ندامتُه.-(١)

٩) وكذلك **الجلوس مع الفرق والأحزاب** الذين عندهم تشدُّدٌ، **وبعدٌ** عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، **فكثرة** مُجالستهم تُعدِيك، **فلذلك قالوا**: كثرة الإلمام تقلُّ الإحساس، أي الشيء المتعارف عليه والمتعود عليه، يصبح لا تأثير له في النفس.

فالنجوم التي في السماء لأننا نراها في الليل دائما، **والشمس والقمر** شيء عادي، **لكن** لو غابت عنا سنة أو سنيتن، **وبعد ذلك** ظهر نجم واحد، **فانظر كيف سيكون شعور الناس؟**

لكن كثيرا ما يحثنا الله سبحانه على التفكر والتدبر، فقال: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**. (محمد: ٢٤)، **{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. (الجاثية: ١٣)

فلذلك مثل هذه المجالسة والمؤانسة مع أهل الزيغ والابتداع تجعل الإنسان يتميّع مع هذا الأمر، **فقد** كان من السلف من لا يجالسهم، **بل** لا يسمع منهم كلامهم، **ولا** يستمع لنصائحهم، **فما** عند أهل الهداية والاتباع من الخير الكثير يغني عما عند غيرهم، إلا عند الاضطرار، **كم هو حالنا في هذا الزمان**.

---

(١) فيض القدير (١/ ٤٢٤).

١٠) **ونقل الخُطَى إلى المحارم**، من مفسدات حلية طالب العلم، **والمحارم** هي الأشياء المحرمة، **فيذهب** أماكن تجمع البنات والنساء، **كالأسواق** التي خصصت لبيع ما تحتاجها النساء، **حتى** لو أراد شراء شيء لأهله، **فلا** يخطو نحو هذه الأسواق لئلا يقتدي به سيئ النية، **بل** يوكل غيره في ذلك.

قال: **فاحذر** هذه الآثام وأخواتها، **واقصُر** خطاك عن جميع المحرمات، **نفترض** إنسان فعل ونقل خطاه إلى المحارم، **إذا** فعل فهو رقيقُ القلب، **تؤثر** فيه الشهوات والشبهات، **رقيق** الديانة، **مما** يجره إلى اقتحام المعاصي، **خفيف** فلا يثبت على حال؛ **فمرة** مع هذا الحزب، **وأخرى** مع غيره، **لعَّابٌ** يستخدم مكره للطعن وتصيد الأخطاء، **مغتابٌ** نمام، **فما** يخطئه مجلس حتى ينقل من الكلام والأفعال ما يفرق به بين الأحب والأصدقاء.

كل هذه الصفات ستكون فيه، فأنّى لك أن تكون طالب علم وأنت على هذا من البعد؟!

بعد الوقوع يشارُ إليك بالبنان منعَّماً بالعلم والعمل، أين هذا؟

أعلَمُ المخلوقات على وجه الأرض مَن؟ **مِن** أعلمِها إبليس، **هل نفعه علمه**؟ أبدا، هذا أعلم المخلوقات بدون وحي، **لكن** الأنبياء بوحي، **لا** دخل لنا بهم، **لأنهم** اصطفاهم الله لهذا الوحي.

لكن العلم إذا كان بالاكتساب لا بالوحي، **فإبليس** أعلم، **ومع ذلك** ما نفعه ذلك.

سدّد الله الخطى، **خطانا** وخطاكم، **ومنح** الجميع التقوى في الدنيا للعمل بمقتضاها، **ولننالَ** أجرها **وذخرها** في الآخرة، **ونسأل** الله حسن العاقبة في الآخرة والأولى، **وصلِّ** اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولا تنسونا بدعوة صالحة بظهر الغيب؛ **للعبد** الفقير الذي أمامكم، **ثم لكل** واحد منكم لأخيه المسلم، **سواء** يعرفه أو لا يعرفه، **يخصه** دعوة صالحة، **فوالله** سيوكِّلُ الله لنا ملكا يقول: (**آمين، ولك بمثل**)، كما رواه مسلم. (١)... والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

---

(١) (م) ٨٧- (٢٧٣٢).